

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل
وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية
من القرن 10-13 هـ / 16-19 م

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ
الحديث

إعداد الطالب:
إشراف الأستاذ الدكتور:
محند آكلي آيت سوكي
بن خروف

عمار

لجنة المناقشة
الدكتور: أرزقي شويتام
الدكتورة: فلة قشاعي
الأستاذ الدكتور: عمار بن خروف
رئيسا
عضوا
مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 2006-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

**أتقدم بشكري وأنا أقدم هذا العمل العلمي
المتواضع إلى الأستاذ المشرف الدكتور عمار بن**

خروف، الذي لو لا جهوده في تتبع العمل، وإعداده، وتصحيحه، وتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة، والسهر على إخراجہ لما وصل إلى هذه النتيجة.

كما أتقدم بشكري أيضا إلى جميع أفراد العائلة، وأخص بالذكر الزوجة الفاضلة التي تحملت معي متاعب البحث، وشجعتني على مواصلة الدراسة. والأخ الفاضل الدكتور أرزقي شويتام الذي وقف إلى جانبي، وأمدني بكل ما أحتاج إليه، وأيضا الأخ الأستاذ توفيق دحماني، والأخ زيدین قاسيمي، وزملائي في العمل، خاصة الأساتذة: زين زاوش، وحيد عبد اللاوي، بوعلام وقطاف .

الإهداء

إلى روجي والدي الكريمين، وإلى زوجتي العزيزة، وأبنائي، عادل، محند البشير، أسامة الطاهر. وإلى كل من يسعى إلى خدمة الوطن الغالي أهدي ثمرة جهدي.

المقدمة

يتناول موضوع هذه المذكرة: تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل، وأدوارها، ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن العاشر الهجري، إلى القرن الثالث عشر الهجري (16/19م).

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع، لما لهذه الفئة من تأثير، في حياة المجتمعات، والأدوار التي لعبوها عبر الفترات التاريخية، سواء في الحياة الاجتماعية، أو الثقافية، أو السياسية، أو غيرها من الجوانب الأخرى. وهي الأدوار التي تظهر آثارها في المنطقة واضحة، على الرغم من كونها منطقة منغلقة على نفسها.

والعوامل التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع تتمثل أساسا، فيما

يأتي:

- 1- اهتمامي بظاهرة التصوف، منذ أيام الدراسة، في إحدى زوايا المنطقة. خاصة ما يتعلق بفئة المرابطين، الذين أدوا أدوارا بارزة، وتركوا آثارهم، وبصماتهم، في مختلف الجوانب الحياتية بمنطقة القبائل.
- 2- النقص الكبير الذي ما زالت تشكو منه الدراسات المتعلقة بالحياة الصوفية، في منطقة القبائل، خاصة في الفترة العثمانية. فعلى الرغم من أهمية مثل هذه الدراسات، في بناء الفكر الاجتماعي. إلا أن الظاهرة بالمنطقة، لم تنل حظها من اهتمام الباحثين. بالرغم من أن المنطقة قد عرفت التصوف، منذ القرن السادس الهجري، على يد أبي مدين البجائي، الذي ترك تأثيره في الحياة الفكرية بالمنطقة خاصة. وبمختلف مناطق المغرب الإسلامي عامة. فالدراسات التي قام بها الغربيون عامة، والفرنسيون خاصة. الهدف من

معظمها - حسب علمي - هو السعي إلى معرفة تأثير الظاهرة في السكان، من أجل تسهيل عملية احتوائهم.

3- الدور الذي لعبته القوى الدينية، في نشر التعليم العربي الإسلامي بالمنطقة، ومساهمة هذه القوى في إتمام تعريب الجهات الداخلية المنعزلة. وكذا تبسيط العقيدة الإسلامية للذين ليست لهم دراية بها.

4- رغبتني في إبراز الانتماء الحضاري للمنطقة، والدور الذي لعبته القوى الدينية، في التوازنات الاجتماعية خلال العهد العثماني خاصة، لكونها كانت تؤدي دور الوساطة بين السلطة المركزية، وسكان المنطقة. وهو الأمر الذي حاولت السلطات الاستعمارية استخدامه. لكنها لم تفلح فيه، بفعل الاختلاف الديني.

05- والإجابة على أسباب طول الفترة، يعود إلى أن تتبع التحولات والتطورات التي حصلت في المنطقة والمجتمع، وهي التحولات التي تركت تأثيرات لا يمكن أن تتبلور إلا بعد مضي فترات عليها. هذا إلى جانب شح المصادر التاريخية التي تناولت هذه المنطقة. إن هذا النقص، هو الذي دفعني إلى تناول هذه الظاهرة، رغم تشعبها، وتضارب الآراء حولها. إلا أن توجيهات الأستاذ المشرف، ودوره الكبير في اختيار العنوان، وتوضيح الفكرة. قد شجعتني كثيرا، في تجسيد هذه الرغبة، التي تتناول منطقة محدودة جغرافيا، وفترة زمنية طويلة نوعا ما. ولأن تتبع التأثير، والأدوار يتطلب ذلك. محاولا من وراء هذا البحث تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

- المساهمة ولو بقسط متواضع، في إمالة اللثام على هذه الفترة من تاريخ المنطقة، والتي هي مستهدفة أكثر من غيرها، من مناطق البلاد، وذلك بفعل الخصوصيات اللغوية التي جعلت المنطقة أكثر تميزا مقارنة بالمناطق الأخرى.

- محاولة تقديم صورة واضحة، وقريبة إلى الحقيقة، عن تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل، والأدوار التي لعبوها في مختلف الجوانب الحياتية بين سكان المنطقة. وذلك من خلال بعض المصادر المحلية، وكذلك التراث الشفوي، الذي بقيت بعض آثاره إلى اليوم، والعمل على تسجيل بعض تلك الآثار الشفوية، حتى لا تندثر مثلما اندثر الكثير من تراث المنطقة.

- تفسير العلاقة السائدة بين القوى الدينية، ومختلف الفئات الاجتماعية الأخرى.

وهذه الأهداف لا يمكن أن تتحقق، إلا بعد محاولة الإجابة على مجموعة من التساؤلات والتي تمثل في حد ذاتها إشكاليات البحث، وهي:

1- هل هناك علاقة بين خصوصيات المنطقة الجغرافية، واستقرار المرابطين المتصوفين فيها؟ أو بعبارة أخرى: ما هي العلاقة بين طبيعة المنطقة، وانتشار الزوايا التعليمية بها قبل العهد العثماني، وأثناءه؟

2- لماذا لم يتأسس بالمنطقة، حكم محلي، بالرغم من وجود زعامات قادرة على التحالف، ومواجهة الأخطار الخارجية. أم أن للعثمانيين دور في ذلك ؟

3- هل هناك عوامل محلية ساعدت على انتشار التصوف في المنطقة، وما هي الطرائق (الطرق) الصوفية الموجودة بها خلال الفترة الحديثة ؟

4- ما هو تأثير القوى الدينية في حياة السكان بالمنطقة، وهل هو تأثير إيجابي أم سلبي، مع إبراز ذلك من خلال بعض النماذج ؟

5- ما هو الدور الذي لعبته القوى الدينية عامة، والمتصوفون خاصة، في نشر التعليم العربي الإسلامي بالمنطقة، وهل كان لهم دور في تعريب الجهات الداخلية الجبلية بمنطقة القبائل ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، عملت:

أولاً: على جمع المادة الأولية من المصادر، والمراجع التي لها علاقة بعنوان المذكرة. فبعد أن اتضحت لي الفكرة العامة للموضوع، بدأت في وضع خطة المذكرة، وتفرع منها إلى فصول، ومباحث متبعا في ذلك، منهج المقارنة، وتحليل المعطيات، التي تمكنت من جمعها، بالأوضاع السائدة، أو بالأعراف، وتقاليده السكان. فحاولت بواسطة هذه المنهجية نقد بعض المصادر، والآراء، التي تناولت تاريخ المنطقة، خاصة منها الفرنسية، والتي وقع بعض كتابها في أخطاء، نتيجة عدم فهم طبيعة المجتمع المحلي، أو بفعل أهداف خفية يريدون تحقيقها.

ومهما اجتهد الباحث في الإلمام بالموضوع، فإن الموضوع يبقى مفتوحا يحتاج إلى إثراء مني، أو من غيري، نتيجة لتشعبه، وصعوبة تتبع آثاره. وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول، وكل فصل قسمته إلى مجموعة من المباحث، حاولت من خلالها الإجابة على التساؤلات المطروحة منها: الفصل الأول: تناولت فيه التعريف بمنطقة القبائل، وذلك بفعل خصوصيتها الطبيعية، والبشرية.

وهو الأمر الذي دفعني إلى تخصيص فصل كامل للتعريف بالمنطقة، والتعرف على خصوصياتها، من خلال:

المبحث الأول: الذي يتناول: الجانب الجغرافي للمنطقة، وكذلك العلاقة بين الطبيعة الجغرافية، وتأثير ذلك في معيشة السكان.

المبحث الثاني: وفيه حاولت إبراز المؤثرات البشرية، والاقتصادية، ودورها في العلاقة بين الفئات المختلفة من جهة، والقوى الدينية الفاعلة من جهة أخرى.

المبحث الثالث: خصصته للمؤثرات السياسية، التي عرفت بها المنطقة، وعلاقة ذلك بالتغيرات التي عاشتها فيما بين القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري.

الفصل الثاني: خصصته للقوى الدينية الفاعلة بالمنطقة، وعلى رأس هذه القوى المتصوفون الذين أثروا في السكان. وهو الفصل الذي قسمته إلى ثلاثة مباحث أيضا هي:

المبحث الأول: عبارة عن مدخل يبين مفهوم التصوف، وانتشاره في المنطقة، وكذا دخوله، وأسباب انتشاره.

المبحث الثاني: خصصته للتصوف في المغرب الأوسط عامة، ومنطقة القبائل خاصة. وذلك من خلال استعراض أقطاب التصوف الإسلامي بالمغرب الأوسط. وكذلك خصائص التصوف، والأسباب التي ساعدت على توغله في منطقة القبائل.

المبحث الثالث: تناولت فيه، أهم الطرق الصوفية المنتشرة في منطقة القبائل، بدءاً بالطريقة القادرية، ونهاية بالطريقة الرحمانية. الفصل الثالث: تناولت فيه تأثير القوى الدينية في الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

وقد جعلت لكل ظاهرة مبحثاً مستقلاً حيث: خصصت المبحث الأول: لتأثير القوى الدينية في الحياة السياسية. سواء تعلق الأمر بمواقفهم من الأحداث التي عرفتها المنطقة على المستوى الداخلي، أو على المستوى الخارجي.

المبحث الثاني: يعكس تأثير القوى الدينية، في الحياة الاجتماعية للسكان بالمنطقة، سواء فيما يتعلق بالجوانب الدينية، أو غيرها من أمور الحياة. المبحث الثالث: أبرزت فيه تأثير القوى الدينية، في انتشار الوقف (الحيس) على المؤسسات التعليمية (الزوايا)، وكذلك ظاهرة الشراكة، أو (ثغفارت)، وهي الظاهرة التي مازالت إلى الآن في بعض الأعراش-

الفصل الرابع: بينت فيه تأثير القوى الدينية في الحياة الثقافية بالمنطقة، وفيه حاولت إبراز دور القوى الدينية، في نشر التعليم العربي. من خلال الزوايا التي انتشرت في مختلف جهات المنطقة، وهي المؤسسات التي لعبت دوراً كبيراً في نشر التعليم، وترسيخ الثقافة الإسلامية بين الأوساط الشعبية، فكان ذلك سبباً في انتشار الشعر الصوفي، بين أوساط السكان، وحاولت فيه جمع بعض النماذج، التي تعكس التأثير الكبير للقوى الدينية الصوفية في سكان المنطقة.

أما خاتمة المذكرة، فهي عبارة عن النتائج التي توصلت إليها، من خلال هذه الدراسة، وكذلك بعض الاستنتاجات، التي من خلالها حاولت أن أجيب على التساؤلات المطروحة.

وللوقوف على الجوانب التاريخية، التي يتضمنها البحث. اعتمدت على مجموعة من المصادر التاريخية، والدينية، التي كانت لي سنداً في تحليل كثير من المواقف، والتعرف على جوانب هامة، من تاريخ المنطقة.

ومن هذه المصادر التي اعتمدت عليها:

1- **غزوات عروج وخير الدين**: لمؤلف مجهول، وهو المصدر الذي استفدت منه، فيما يتعلق بالجانب السياسي، خاصة في الفترة الأولى من الحكم العثماني للجزائر. ووصول الإخوة بربروس إلى السواحل الجزائرية، كما

ساعدني في إبراز العلاقة بين أمراء منطقة القبائل، والمجاهدين الأتراك العثمانيين، الذين حلوا ببلادنا. غير أن صاحبه أطنب في مدح خير الدين وعروج. وهذا ما يجعل الباحث يأخذ منه بحذر، ولا يسير مع صاحبه في إصدار الأحكام، وقد اعتمدت الكتاب، الذي نشره نور الدين عبد القادر بالجزائر 1984 وكذلك على المخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية، الذي نسخه محمد بن احمد بن قاسم في حدود بداية القرن 18 م.

2- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،

لصاحبه عبد الكريم بن العقون وهو الكتاب، الذي حققه الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، وقد ساعدني هذا الكتاب كثيرا في التعرف، إلى ظاهرة التصوف، خلال القرن السادس عشر. و أفادني في التعرف إلى بعض المتصوفين، الذين لهم علاقة بالمنطقة التي أبحث فيها.

3- بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار

سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار. لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الصباغ، والذي يعتقد أنه ألفه بين 952-963 هـ / 1545-1555م واستفدت منه، فيما يتعلق بحياة الملياني، وكذلك أماكن دراسته، ومشايخه. غير أنه يحتوي على بعض الكرامات، التي تجعل الباحث يأخذ منه بحذر. خاصة فيما يتعلق بحياة الشيخ الملياني.

4- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن

العاشر، والذي ألفه محمد بن علي الشفشواني. الملقب بابن

عسكر، الذي توفي في حدود سنة 986هـ/1578م، وهو الكتاب الذي استفدت منه فيما يتعلق بترجمة "ابن قاضي"، وكذلك بعض الجوانب المتعلقة بسياسة السلطة المركزية، في منطقة القبائل خاصة، و أيضا مواقف القوى الدينية من بعض القضايا السياسية.

5- كتاب إفريقيا. الذي ألفه الرحالة الأسباني "مارمول كربخال"

في القرن السادس عشر، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد حجي، وغيره، وهو المصدر، الذي ساعدني كثيرا في التعرف إلى المنطقة، وكذلك الإمارات المحلية، التي لعبت دورا كبيرا في العلاقات السياسية، بينها وبين السلطة المركزية.

6- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم

"والذي أفادني، في التعرف إلى تراجم الشخصيات، التي لها علاقة بموضوع البحث من العلماء، و المرابطين والمتصوفين.

7- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، و المشهور:

بالرحلة الورثيلانية، لصاحبها: الحسين بن محمد الورثيلاني، و التي قدمها: الأستاذ: ابن شنب، وطبعها سنة 1908 بالجزائر. وهو المصدر الذي استفدت منه كثيرا، وفي عدة مجالات سواء تعلق الأمر بالأدوار، التي لعبتها القوى الدينية، في المنطقة، أم التعريف بهم. إلا أنه يحتوي على بعض الجوانب، التي تحتاج إلى تمحيص، من قبل الباحث. بخاصة ما يتعلق منها بالكرامات، التي نسبها إلى الأولياء، و الصالحين، والمتصوفين.

8- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة

ببجاية، الذي ألفه أحمد أبو العباس الغبريني، من أهل القرن السابع الهجري /13م. والذي حققه وعلق عليه عادل نويهض. وكذلك الهوامش، التي وضعها لنفس المؤلف: الأستاذ راجح بونار، الذي استفدت منه كثيرا، فيما يتعلق بالعلماء والمتصوفين، الذين عرفتهم ببجاية، وبواديهما قبل القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي. فحتى، وإن كان عصر المؤلف سابقا لفترة البحث. لكنه يعطي خلفية جد هامة حول الحياة الفكرية بالمنطقة.

9- تاريخ ابن خلدون: المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. والذي اعتنى بطبعه، في مجلد واحد أبو صهيب الكرمي، بالأردن، وهو المصدر الذي تمكنت، من خلاله، الوقوف على كثير من الحقائق التاريخية، التي ساعدتني، على فهم وتحديد، مكونات مجتمع منطقة القبائل، وأصول بعض الأعراس، و القبائل، فهو من المصادر التي تساعد على فهم التاريخ الاجتماعي لسكان للمنطقة.

كما اعتمدت في دراستي - للمؤلف نفسه - على كتاب: شفاء السائل في تهذيب المسائل، والذي نشره، وعلق عليه الأب: أغناطيوس اليسوعي. وهو الكتاب الذي أفادني في التعرف إلى أوجه الخلاف بين المتصوفين، والصراع الذي حدث بين الفقهاء، والمتصوفين.

10- الوثائق، والمخطوطات: لقد اعتمدت في إثراء هذا البحث، على

مجموعة من المخطوطات التي اطلعت عليها والتي صنفتها في:

-المخطوطات الخاصة: وهي مخطوطات تمكنت من جمعها عند

الخواص بالمنطقة، وهي، في عمومها مفيدة للباحث، رغم النقص الذي يكتنف أغلبها، بفعل ضياع أجزاء منها، أو تلف بعض أوراقها، ولكنها تعطي صورة قريبة، من الواقع، لكونها كتبت من قبل بعض الشخصيات العلمية، التي عاشت في المنطقة. خاصة تلك الوثائق التي زودني بها " بودة عبد الكريم " من مدينة صدوق، والتي تعود إلى الشيخ الحداد. منها بعض العقود المتعلقة بتقسيم التركات، وكذلك عقود الحبس للأراضي. بالإضافة إلى مراسلات خاصة بين شيوخ وعلماء المنطقة، والتي أفادتني في الوقوف، على بعض الجوانب، التي لها علاقة بفترة البحث.

11- كما استفدت من المخطوطات القيمة، التي تحتوي عليها خزانة

الشيخ أو لحبيب بثلاثرارت- ناحية بني ورثيلان-، وهي مكتبة تحتوي الكثير من المخطوطات النادرة، والتي لها علاقة بفترة البحث، خاصة تلك التي تتناول علاقة القوى الدينية عامة، والمتصوفين خاصة. وتأثيرهم في مختلف مجالات الحياة.

12- هذا واعتمدت على مخطوط: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار

شرح وظيفة العارف بالله النبراس المختار، لمؤلفه الشيخ الحسين الورثيلاني من القرن 18 م . وقد استفدت منه، فيما يخص الحياة الفكرية، السائدة في المنطقة، خلال فترة البحث. كما يعد بمثابة نموذج لنوع، من المؤلفات،

والاهتمامات التي كانت سائدة بين علماء القوى الدينية، في المنطقة و خاصة المتصوفون، والمرابطون منهم.

13- **مخطوط سيرة الزواوة. لمؤلف مجهول**، والذي يعكس الحياة الاجتماعية، في منطقة القبائل. وكذا التأثير البارز للقوى الدينية في السكان. وهو المخطوط الذي استعنت به في كثير من الأحيان. خاصة ما يتعلق بالعادات والتقاليد المنتشرة بالمنطقة.

14- هذا إلى جانب المخطوطات الأخرى، خاصة التي لها علاقة بالتصوف، في المنطقة: كإعانة التوجه المسكين على طريق الفتح المبين، لأحمد زروق البرنوسي، وأيضا كتاب القواعد (قواعد التصوف) للمؤلف نفسه. الذي عاش في نهاية القرن التاسع الهجري، وهي المخطوطات التي استفدت منها فيما يتعلق بظاهرة التصوف، وعلاقتها بالحياة العامة في المنطقة.

15- **كتاب التصوف، للشيخ الحداد**، وهو عبارة عن كتاب، يعكس الحياة الصوفية في المنطقة خلال فترة حياته إلى غاية نهاية فترة البحث. أما **الوثائق الأرشيفية**، فقد عدت إلى أرشيف ولايتي بجاية، وتيزي وزو، غير أني لم استفد من وثائقيهما، لكون الوثائق الموجودة بهما، تناول الفترة الاستعمارية ما عدا بعض العقود الخاصة بالبيع في المزداد العلني، خاصة بعد 1871. أما الأرشيف الوطني، فالعقود الخاصة بالحبس، والمتعلقة بمنطقة القبائل، فهي قليلة جدا، وتخص بعض الأملاك بمدينة بجاية، والتي عثرت عليها ضمن سلسلة بيت البايك، علبة 80-83 وكذلك من العلبة 165- إلى العلبة 183، ومعلوماتها شحيحة، وغير مهمة كثيرا في تحديد ظاهرة الوقف بالناحية عامة.

هذا إلى جانب مصادر أخرى، ومراجع اهتمت بالمنطقة، سواء المعربة منها، أو المترجمة إلى اللغة العربية، أو المقالات التي كتبت في الفترة الاستعمارية، والتي تحتوي عليها المجلات المختلفة، وخاصة منها المجلة الإفريقية، والتي أذكرها في البيبلوغرافيا.

أما بالنسبة إلى الصعوبات، التي واجهتني، في جمع المادة العلمية الخاصة بالبحث، فهي كثيرة. منها قلة المصادر التاريخية المكتوبة، التي تناولت منطقة القبائل. مما دفعني إلى الاتصال ببعض المهتمين بتاريخ المنطقة للأخذ عنهم، خاصة ما يتعلق بالروايات الشفوية. إضافة إلى تداخل المصطلحات، والتعاريف.

حيث أن ظاهرة التصوف بالمنطقة غير منفردة بنفسها. بل نجد أن هناك المرابطية، التي لا تختلف عن التصوف. لذا أستعمل تارة مصطلح المرابطين، وتارة أخرى التصوف. وهي الظاهرة الهامة التي تكوّن القوى الدينية في المنطقة.

فتداخل الأفكار، وتشعب المعاني، أعاقني كثيرا. خاصة وأن تجربتي بالبحوث العلمية الأكاديمية قليلة. بل يمكن اعتبارها منعدمة، لأنني لم أتعود عليها، قبل تحضير لي لمذكرة الماجستير. إلا أن صبر الأستاذ المشرف الدكتور: عمار بن خروف، ووقوفه إلى جانبي، بنصائحه، وإرشاداته العلمية، والمنهجية السديدة، على الرغم من انشغالاته، وتعبه. قد ساعدتني إلى أبعد حد في

الوصول إلى إعداد هذا العمل. فله مني جزيل الشكر، وحفظه الله تعالى لنا، ولكل من يسعى إلى التحصيل العلمي النافع، للبلاد والعباد. فبفضل الله أولاً. وبتوجيهات المشرف ثانياً، تمكنت من تحويل هذه الأمانة إلى واقع. كما أتوجه بالشكر الجزيل، إلى كافة الزملاء الذين قدموا لي يد المساعدة، من قريب أو من بعيد. خاصة: الأخ الفاضل، الدكتور: أرزقي شويتم، الذي شجعني كثيراً، ووقف إلى جانبي، وفتح لي مكتبته الخاصة. فأخذت منه وقتاً، كان هو في أمس الحاجة إليه. كما لا أنسى الأخ توفيق دحماني، والمشايخ الذين زرتهم وقدموا لي ما تواتر إليهم من روايات شفوية، ساعدتني كثيراً في بناء مذكرتي هذه، ومن بينهم: الشيخ محمد الحسن عليلي، الباحث والمهتم بتراث منطقة القبائل، وكذلك الأب الروحي، الشيخ الفاضل: محمد الطاهر آيت علجت الذي أنار دروب الكثير، من الباحثين في التاريخ. أبقاه الله ذخراً لنا وأفادنا من علمه أمين.

وبالله التوفيق

قائمة المختصرات

بدون تاريخ	د.ت.:
مخطوطات المكتبة الوطنية الجديدة	مخ.م.و.
ديوان المطبوعات الجامعية	د.م.ج.
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	ش.و.ن.ت.
مخطوط شخصي	م.ش.
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.	موفم:

	R.A	Revue Africaine
R.O.M.M	Revue de l' Occident Musulman et Méditerranée	
	R.M	Revue Méditerranée
	T	Tome
	TRAD	Traduction
S.D	Sans date	

الفصل الأول التعريف بمنطقة القبائل

- المبحث الأول: المؤثرات والخصائص الطبيعية**
 أولاً: الموقع
 ثانياً: المظاهر التضاريسية
 ثالثاً: المناخ والنبات الطبيعي
المبحث الثاني: المؤثرات والخصائص البشرية
 • عناصر السكان
المبحث الثالث: المؤثرات والخصائص الاقتصادية
 -I الفلاحة
 -II الصناعة
 -III التجارة
المبحث الرابع: الخصائص السياسية
 أولاً: الحياة السياسية في منطقة القبائل
 ثانياً السياسة العثمانية تجاه منطقة القبائل

الفصل الأول: التعريف بمنطقة القبائل

المبحث الأول: المؤثرات والخصائص الطبيعية

أولاً: الموقع:

تقع منطقة القبائل في الوسط الشمالي الشرقي من الجزائر، حيث تمتد من وادي يسر غرباً، إلى وادي أغريون، وجبال البابور شرقاً ومن البحر المتوسط شمالاً إلى سلسلة جبال البيان، وهضاب سطيف، وسهول مجانة جنوباً⁽¹⁾. فهذه المنطقة تحتل معظم المساحة الواقعة إلى شرق مدينة الجزائر العاصمة، والتي تبلغ مساحتها حوالي 15000 كلم². كما تمتد من الغرب إلى الشرق على مسافة قدرها 150 كلم، وعمقها من الشمال إلى الجنوب يتراوح ما بين 70 إلى 100 كلم⁽²⁾.

أطلقت على هذه المنطقة تسميات عديدة، تميزها لها عن باقي المناطق الأخرى. ومن بين أهم هذه التسميات: بلاد الزواوة. التي جاء ذكرها في كثير من المصادر التاريخية. كابن خلدون الذي ذكرها، وخصها بالدراسة والتحليل من جميع الجوانب. فعرفها قائلاً: "فأما زواوة فهم من بطونهم، وقد يقال بان زواوة من بطون كتامة". كما انه حدد موقع زواوة بقوله: "ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجه، وأوطنوا منها جبلاً شاهقة متوعرة تنذر منها الأبصار... وجبلهم ما بين بجاية وتدلس"⁽³⁾. فبلاد زواوة محددة جغرافياً - حسب: ابن خلدون - من بجاية إلى تدلس. غير أن البعض يتوسع أكثر في تحديد امتدادها إلى القل شرقاً⁽⁴⁾، غير مبالين بالخصائص الطبيعية، واللغوية التي تتميز بها المنطقة المذكورة. فهي تضم عدة قبائل فأبو يعلى الزواوي يقول: «... والزواوة قبائل كثيرة ومشهورة ومواطنهم ومساكنهم بشمال افريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة بجاية إحدى عواصمهم وإلى جبل نصف دائرة»⁽⁵⁾.

بغض النظر عن معنى هذه التسمية، وأصلها فإنها تدل على منطقة جغرافية، وبشرية محدودة، وواضحة المعالم، ثم انتشرت تسمية أخرى تميز هذه المنطقة، وسكانها عن باقي المناطق الأخرى، وهي: "بلاد القبائل"، أو منطقة القبائل، وهي التسمية التي أطلقها العثمانيون على المناطق الجبلية الحصينة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر. فهذه التسمية هي التي أصبحت أكثر استعمالاً وبخاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

(1) يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995 ج2 ص:20.

(2) ناصر الدين سعيدوني: القبائل، محاضرة غير منشورة، 1992، ص 01. وكذلك: مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)، عمل ونشر في:

international congress on learning and education in the Ottoman world, Istanbul, 12-15 April, 1999, p-28

(3) عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون - العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى بطبعه أبو صهيب الكرامي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ب.ت، ص 1618.

(4) (J.M) Venture de Paradis: ALGER au XVIII, 2^{eme} Edition, Edition: Bouslama, tunis, s.d, p:14.

(5) تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 2005، ص90.

أما مصدر هذه التسمية، واصلها. فإن البعض يذهب إلى أنها مأخوذة من القبيلة، وجمعها قبائل⁽¹⁾. و البعض الآخر، يرى غير ذلك تماما. فهي مشتقة من القابلية للعناصر الأخرى، لكونهم تخلو عن لغتهم وقبلوا لغة أخرى⁽²⁾. ومهما يكن فإن تسمية سكان هذه المنطقة بالزواوة، أو القبائل الغرض منه، هو التمييز بين المناطق الجزائرية فقط. لكون المجتمع الجزائري مجتمع امتزجت فيه الدماء بين السكان الأصليين، والذين توافدوا إلى هذه المنطقة منذ فجر التاريخ، واستخدام هذه المصطلحات هدفها تحديد المناطق الجغرافية المراد دراستها. فمن أجل هذا ونظرا إلى صعوبة تحديد المصطلح بالدقة العلمية. فإني أرى أن المصطلح أو التسمية يمكن استخدامها لتحديد المنطقة الجغرافية، التي أريد دراستها. حتى وإن كانت كلمة " القبائل أو القبائلي " تعني في الأبجديات اللغوية - العربية، أو الفرنسية - سكان الجبال⁽³⁾. فإن المنطقة التي يجري البحث فيها، هي المنطقة التي حددت جغرافيتها سابقا. أما الخصائص الطبيعية لمنطقة القبائل، فيمكن تصنيفها في قسمين رئيسيين اعتمادا على البنية الجيولوجية لها⁽⁴⁾:

1 - القسم الأول: يقع إلى الجنوب من سلسلة جرجرة، ويتوغل إلى جبال البيان جنوبا، ويضم هذا القسم بين ثناياه حوض وادي الصومام (الساحل) الذي يتميز بخصوبته وانتشار الزراعات المختلفة فيه.

2 - القسم الثاني: هو الشريط الساحلي الممتد بين البحر شمالا، وسلسلة جبال جرجرة جنوبا، ويضم هذا القسم أيضا مظهرا تضاريسيا متميزا، يتمثل في حوض وادي سيباو، بقسميه العلوي والسفلي، والذي تتركز في أجزائه، مختلف أنواع الزراعات¹. فهذا السهل ينحصر بين السلسلة الساحلية، والكتلة المركزية لجبال جرجرة، ويبلغ عرضه حوالي ثلاثة كيلومتر². فالقسم الأول يشكل ما يعرف مجازا باسم القبائل الصغرى، والتي أعرفها القبائل الشرقية. أما القسم الثاني؛ فيكوّن القبائل الكبرى - القبائل الغربية - وهي التقسيمات التي انتشر استعمالها في الفترة الاستعمارية بشكل واسع، من أجل تقسيم المجتمع الجزائري. وللتعرف أكثر إلى منطقة القبائل من الناحية الجغرافية، يمكن تقسيمها إلى أقاليم جغرافية طبيعية، تبعا لتكوينها التضاريسي، ومظاهرها المورفولوجية.

ثانيا المظاهر التضاريسية:

(1) ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، بدون تاريخ، ص 541.

(2) (A) Mayer : origine de la dénomination de K'EB Ail, IN, R.A N° 3, Alger, 1858, p:366.

أنظر كذلك:

(L) JULES : Kabylie de Djurdjura, Paris ERNEST Leroux, Editeur, Paris, s.d, 1° livre, p :01

(3) MAHE : histoire de la grande Kabylie XIX° XX Siècles Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, Editions Bouchene, France 2002, p20

(4) سعيدوني: المرجع السابق، القبائل، ص 1 - 2 .

¹ هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج2، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1999.

² (A) Mahé : op.,cit, p,21.

أ - كتلة جبال جرجرة: تمتد هذه الكتلة على طول 150 كلم، وهي

بمثابة جدار جبلي يمتد من الغرب إلى الشرق. مشكلا قوسا منحنيا إلى الجنوب قليلا بداية من جبال بني خلفون، في الغرب (1028م)، إلى جبال أكفادو في الشرق (1646م)، مع امتداده إلى رأس كاربون بخليج بجاية.¹ ويبلغ أعلى ارتفاع في هذه الكتلة الجبلية بالقسم الأوسط في قمة حيزر (2164م) وتامدوين (2305م) و قمة لالا خديجة (2308م). وهي أعلى قمة في جبال جرجرة، وفي الأطلس التلي كله بالنسبة إلى الجزائر.² ويفصل بين هذه الكتلة الجبلية، والجبال الساحلية حوض سيباو. فالجبال الساحلية المحاذية للبحر. أقل ارتفاعا من جبال جرجرة. غير أنها أقدم تكوينا؛ كما أن أعلى قمة جبلية في هذه الجبال هي قمة (تامقوت)، (1228)، وتمتد من رأس جنات غربا، إلى بجاية شرقا. على طول حوالي 100 كلم.³ كما أنها تلتقي بجبال جرجرة في أكفادو.

إن التكوينات الجيولوجية للكتلتين مختلف؛ إذ نجد جبال جرجرة. تغطي على تكويناتها الجيولوجية الصخور الكلسية في عمومها، أما الجبال الساحلية فإن تكويناتها قديمة بركانية تغطي عليها صخور الغنايس والمكاشيست الكريتاسية الصلصالية.⁴

ب- حوض سيباو: يقع بين السلسلة الساحلية، والكتلة المركزية -

جرجرة - ويصل عرضه إلى حوالي ثلاثة كيلومتر، وهو عبارة عن حوض امتلا بالرواسب النهرية التي تصب في وادي سيباو.⁵ كما توجد بعض الأحواض الداخلية. مثل منخفض ذراع الميزان، وواضية، وإلى الغرب منها تلال و سهول يسر وذرع ابن خدة.⁶

ج- جبال البابور: عبارة عن مجموعة من الكتل الجبلية الممتدة، من

ملتقى وادي بوسلام والصومام غربا. إلى الجنوب الشرقي من بجاية شرقا، والذي يشكل حاجزا طبيعيا، يعيق التوغل نحو الجنوب، إلا إذا كان ذلك عبر المضائق، والخوانق، التي تشكلت بفعل الانكسارات، والعوامل الطبيعية الأخرى، كخوانق خراطة. كما أن هذه الجبال، ذات التربة الكلسية الفقيرة، يتراوح ارتفاعها ما بين 1000م و 1300م. وأقصى ارتفاع لها نجده في الجهة الشرقية المطللة على ناحية سطيف، جيجل، أي في جبال بابور (2004م).⁷ وتخرق هذه الكتل الجبلية، مجموعة من الأودية، والتي هي بمثابة ممرات طبيعية، تسهل عملية التنقل، والاتصال بالهضاب العليا، والمناطق الداخلية. ففي الجهة الشرقية تقع أودية: أغربون - الحد الطبيعي لمنطقة

¹ سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

² عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر: طبيعية بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، 1968، ص 49.

³ (A) Mahé, op.,cit, p 24.

⁴ سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

⁵ نفسه.

⁶ (A) Mahé : op.,cit, p,21 .

⁷ سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

القبائل الشرقية.¹ والزيتون، وجمعة. وفي الجهات الداخلية (وادي بوسلام 270 كلم)، والذي ينبع من الهضاب العليا بالقرب من مدينة سطيف، وبشكل رافدا هاما لوادي الصومام.²

د - جبال البيان: عبارة عن مجموعة من الجبال، التي تحد منطقة القبائل، من الجنوب. وهذه الجبال تربط بين جبال جرجرة غربا وجبال الحصنة، والبابور شرقا. فتحدها من الشمال الغربي - حاليا - ولاية بجاية، ومن الشمال الشرقي والشرق، ولاية سطيف ومن الشرق، والجنوب الشرقي ولاية برج بوغريج.³

وتعتبر جبال البيان وعرة التضاريس، لاحتوائها على مجموعة من الخوانق، كأبواب الحديد، وكذا عدة قمم جبلية تغطيها صخور كلسية، وتربة خفيفة، كما تخترقها مجموعة من الأودية كوادي محجر، الذي يحدها من الشرق، والذي يتصل بوادي سلام. وكذلك وادي تفرق، ووادي أولاد خليفة وغيرها. هذا إلى جانب احتواء هذه الجبال على مجموعة من الحمامات المعدنية، كحمام الضلعة في الجهة الغربية، وحمام البيان في الجهة الشرقية.⁴

هـ- حوض الصومام: يمتد من بني منصور غربا، إلى بجاية شرقا، وهو عبارة عن حوض امتلأ بالترسبات الغرينية الناتجة عن تعرية المناطق المنحدرة، و السفوح الجبلية لكل من جبال جرجرة، وجبال البيان، وهي ترسبات غنية بالمواد العضوية خاصة في الأجزاء السهلية القريبة من مشدالة⁵ وأقبو. يعتبر حوض الصومام، وكذا حوض سيباو، بمثابة منطقتين نموذجيتين للفلاحة البستانية، لما تتميز به تربة الحوضين من الخصوبة وكثرة المياه.⁶ ودون هاتين المنطقتين الزراعيتين فإن جل المناطق الأخرى يطغى عليها طابع الانحدار بفعل اتساع النطاق الجبلي بالمنطقة، وهو العامل الذي أثر سلبا في الإنتاج الزراعي.⁷

¹ حليمي: المرجع السابق ص 49.

² (ch), FERAUD : « Exploration nautique de la Soummam Bousellam », In, R.A, N°2, o.p.u, Alger, 1857, p273 .

³ يحي بوغريج: دائرة الجغرافة تاريخ وحضارة وجهاد. دار هومة، الجزائر، 2002، ص25.

⁴ نفسه، ص 26 .

⁵ مشدالة: كلمة مأخوذة من أمشدال، وهو نوع من النمل الخشن كناية عن دأبه وصبره وضموده في بحثه عن طعامه وفي التضامن فيما بين أقرانه، فيقال أمشدال بمعنى المقاوم الصامد، وسكان هذه المنطقة يسمونهم أمشدالين.

توضيح معالي وزير الشؤون الدينية السابق. انظر / تعقيب عبد الرحمن شيبان حول محاضرة الصلح في المجتمع الجزائري. منطقة القبائل نموذجا. قدمها محمد أرزقي فراد، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر-2005.

⁶ بوغريج: المرجع السابق، ص:21.

⁷ Rozet et Carette : Algérie , Etats tripolitains , 2^{ème} Edition, Edition: Bouslama, Tunis, s.d, pp :23-26.

وكذلك:

- HANOTEAU , et LETOURNEAUX : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN ,3 T, Edition Bouchene, Paris 2003, T 01, p.p : 28

- M.GAID : Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jusque à 1954 2^{ème} Edition, Edition : MEMOUNI , Alger : 1991, pp 11 – 14

ثالثا- المناخ والنبات الطبيعي: إن لموقع منطقة القبائل الجغرافي، وطبيعة تضاريسها الأثر الكبير في الخصائص المناخية، ونوعية النبات الطبيعي في بلاد القبائل: من الأقاليم المناخية المتوسطة المعتدلة المتميزة بالدفء، والأمطار شتاء، والحرارة والجفاف صيفا.

فموقع المنطقة المشرف، والمطل على حوض البحر المتوسط شمالا، والطابع التضاريسي المميز لهذه المنطقة، من العوامل الطبيعية التي جعلتها تتلقى كميات معتبرة من مياه الأمطار، والتي يتراوح متوسطها ما بين 600 ملم/س إلى أكثر من 1100ملم/س.¹

هذا إلى جانب تساقط كميات كبيرة من الثلوج، والتي تكسو القمم الجبلية لمدة معتبرة، وهو عامل ساعد، على انتشار الينابيع المائية الطبيعية المتدفقة، في السفوح الجبلية. وهي الظاهرة الطبيعية الهامة، التي شجعت على استقرار السكان بهذه المناطق الجبلية الوعرة، واهتمامهم بالفلاحة، وغراسة الأشجار المثمرة: كالتين والزيتون، اللتين تشتهر بهما المنطقة.² أما درجات الحرارة بالمنطقة؛ فإنها معتدلة عموما، إذ أن متوسطها السنوي يتراوح ما بين (6°م) في المناطق المرتفعة، و قمم الجبال. و(17°م) في المناطق الساحلية. وفصل الجفاف لا يزيد طوله عادة عن خمسة أشهر في السنة.³

وقد ساعدت الخصائص والمميزات المناخية، والتضاريسية، على تنوع الغطاء النباتي في المنطقة. فمن المراعي التي تتركز في سفوح الجبال، إلى الأشجار العالية الغابية التي تكسو معظم المناطق الجبلية، كأشجار البلوط، والصنوبر، والزان، والفلين، والأرز، وغيرها. هذا وتوجد في المناطق الجنوبية شبه القارية، أشجار تتحمل شدة الحرارة وانخفاض نسبة الرطوبة: كالديس والدفلة والصبار.⁴

فالتنوع النباتي بالمنطقة ظاهرة هامة، تسود المناطق الساحلية، وكذلك المرتفعات والمناطق الداخلية، إذ نجد منطقة القبائل متميزة بكثرة الأشجار، وصالحة لغراسه أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة إذ أن: «... بلدنا (القبائل الشرقية) كثيرة الشجر من زيتون، وعنب، وتين، كثيرة الفواكه إلا النخيل، والليم فليس فيها».⁵

إن العوامل الطبيعية المساعدة على التنوع النباتي بالمنطقة، قد أثرت تأثيرات كبيرة في انتشار أنواع مختلفة، من النباتات والأشجار المتنوعة الغابية، والمثمرة، وهي ظاهرة منتشرة في مختلف جهات منطقة القبائل، والتي مازالت إلى يومنا.

المبحث الثاني:

¹ حليمي: المرجع السابق ص 80 - 81.

² بوعزيز: المرجع السابق، ص 21.

³ سعيدوني: المرجع السابق، ص 3.

⁴ حليمي: المرجع السابق ص، 228.

⁵ الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تقديم محمد بن شنب، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1908، ص 81.

المؤثرات والخصائص البشرية:

تعتبر منطقة القبائل من المناطق المكتظة بالسكان في الجزائر، على الرغم من صعوبة تضاريسها، وفقرها إلى الأراضي الزراعية الخصبة الواسعة، وندرة الثروات الطبيعية بها. إلا أن ظاهرة ارتفاع الكثافة السكانية، في هذه المنطقة واضحة، نتيجة عوامل تاريخية، وسياسية قديمة.¹

تعود أصول سكان منطقة القبائل إلى العنصر الأمازيغي، الذي يصعب تحديد تاريخ بداية وجوده بها، فعلى الرغم من محاولات المؤرخين و الباحثين، وعلماء الأنساب تحديد أصل هؤلاء السكان، إلا أن الاختلاف ما يزال قائما، لكون بعضهم أعاد أصولهم إلى الشرق.² والبعض الآخر يرى أن أصلهم محلي.³ والبعض يعيد أصولهم إلى أوروبا وغير ذلك، فإن البحث في أصل سكان هذه المنطقة من الأمور الصعبة، نتيجة الأحداث التاريخية التي عرفتھا المنطقة المغاربية عامة، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي لها، وهو عامل ساعد كثيرا على التمازج السكاني، وأصبح من الصعب التمييز بين العناصر السكانية، فكان لعامل الزواج وعامل الهجرة، أثرهما الكبير في اختلاط العناصر السكانية بالجزائر عامة. غير أن للاعتبار اللغوي، واحتفاظ سكان منطقة القبائل - الزواوة - بلغتهم وعاداتهم مقارنة بغيرهم من السكان في الجهات الأخرى. من الأمور التي تسهل، وتساعد على تحديد بعض الخصوصيات السكانية، والاجتماعية، التي حاول البعض الاعتماد عليها: كالملاح العامة، والنشاط، والسلوك. فنجد بأن هؤلاء السكان يصفهم البعض بأنهم " شعب أبيض لهم قامة معتدلة... وهم قوم نشطون يتسمون بالحيوية و الآداب في المعاملة، وذوو مزاج لائق."⁴

فهذه الصفات مازالت موجودة إلى الآن بين السكان، غير أنها لا تقتصر على سكان هذه المنطقة دون سواهم، بل نجد أنها صفات منتشرة بمختلف مناطق البلاد خاصة الشمالية.

فعلى الرغم من محاولة بعض الأوروبيين، تخصيص سكان هذه المنطقة بالصفات الحميدة، لأنهم يعتقدون بأن أصولهم تعود إلى بقايا الوندال، الذين احتلوا شمال إفريقيا.⁵

فإن هؤلاء نسوا بأن انعدام الصلة اللغوية بين الجنسين، ينفي هذا الافتراض. بل يجعلنا نؤكد بأن السكان الأصليين بالمنطقة، كانوا متواجدين بها قبل الوندال، والرومان، وغيرهم من الشعوب، التي كان لها احتكاك بالأمازيغ، وهو الاحتكاك الذي أدى إلى التفاعل بين السكان، والتنوع البشري بالمنطقة - حسب اعتقادي - يعود إلى الهجرات الخارجية التي توجهت نحوها عبر مختلف

¹ سعيدوني: المرجع السابق، ص 6

² ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1597-1601. : أنظر كذلك : الزواوي : المصدر السابق، ص 90-101.

³ - S.A Boulifa : le Djurdjura a travers l'histoire (depuis l'antiquité jusque 1830),organisation et independence des Zouaoua (grande Kabylie), imprimeur éditeur,Alger, 1925, pp 379 – 384.

⁴ وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 - 1824)، تعريب و تقديم و تعليق: إسماعيل العربي ش.و.ن.ت الجزائر 1982 ص 113.

⁵ شالر: المصدر السابق: ص 113.

مراحل التاريخ البشري، سواء كانت هذه العناصر المهاجرة من الشرق، أو من الغرب، أو من الجنوب، والتي وجدت بالمنطقة ملاذاً آمناً، وملجأً منيعاً، ومجتمعاً مرحباً بالقدام إليه.¹

فبحكم موقع بلاد القبائل، وحصانة تضاريسها. فإن المنطقة عرفت استقبال عناصر أجنبية وفدت إليها، وامتزجت بالسكان الأصليين، ومن هذه العناصر التي حلت بها، وامتزجت بالسكان نجد:

* عناصر السكان:

1- العنصر العربي: إن التواجد العربي بشمال إفريقيا عامة، و المغرب الأوسط خاصة، بدأ منذ الفتح الإسلامي. إلا أن الفترات الأخيرة من حكم الموحدين، شهدت استيطان الكثير من القبائل العربية بالمنطقة، ولعل أبرزها قبائل بنو هلال، وفروعها، وكذا بنو سليم، الذين وصل فرع منهم إلى تكوين إمارة الثعالبية.²

وفي العهد العثماني، أضحت العنصر العربي، أحد العناصر المنتشرة في كثير، من جهات المنطقة. سواء كانوا من العلماء، أو المرابطين والأولياء، أو من التجار، وحتى من البسطاء. فتواجد العنصر العربي بالمنطقة، وتمازجه بسكانها من الأمور الواقعية، خاصة بعد القرن 10هـ/16م، بحيث أصبح من الصعب أن يفرق الواحد بين القبائلي، والعربي، خاصة في مناطق التماس، سواء تعلق الأمر بالقبائل الشرقية، أو الغربية.³ ولو أن الجهة الشرقية أكثر انفتاحاً على العنصر العربي. وذلك نتيجة العوامل الجغرافية، وكذا استقرار العديد، من الأسر الأندلسية بمدينة بجاية، عكس الناحية الغربية.

وعلى كل، فإن العنصر العربي، قد ترك بالمنطقة تأثيراً كبيراً. وما انتشار الزوايا في هذه الجبال و القرى.⁴ إلا دليل على ذلك، حتى أصبحت المنطقة مقصداً لكل متعطش، إلى العلم قبل العهد العثماني، أو أثناءه. فتخرج من زواياها الكثير من العلماء الذين تركوا آثارهم مشرقاً ومغرباً.⁵

¹ ابن خلدون: المصدر السابق ص 1604.

² إمارة الثعالبية: تنتمي أسرة الثعالبية إلى أعراب المعقل بن ربيعة، من بني الحارث، نزلوا بالجزائر في أواسط القرن الخامس الهجري، وهم من ولد ثعلب، معقل، وكان محمد بن عبد الله بن تومرت سبباً في إسناد إمارة متيجة والمدينة، ومقاطعة التيطري لهم - بعد استقرارهم ببسر- وذلك سنة (548هـ / 1153م) أنظر عن ذلك:

عبد الرحمن بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ج 2، ص 300 - 301.

³ محمد شريف سيدي موسى: الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر (13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000/2001، ص 39.

⁴ الزواوي: المرجع السابق، ص 117 - 125 وكذلك:

- باعيز بن عمر: " الزوايا بالزواوة"، في، الشهاب، ج 1، الجزائر، جانفي 1933، ص 15- 17 أنظر عنهم:

⁵ أحمد أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية، حقق وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات الآفاق الحديثة، الطبعة 02، بيروت، 1979. وكذلك: عبد الكريم بن الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، لبنان، د.ت.

كما عرفت المنطقة توافدا للكثير من الناس، ومن مختلف الجهات، والمناطق القريبة منها، أو البعيدة عنها، وذلك نتيجة طبيعتها الجغرافية الصعبة، التي تجعل المحتمي بها قادرا على صد أي عدو أو هجوم خارجي. كما أن لطبيعة سكان المنطقة، الأثر الكبير في استقرار الكثير من المهاجرين بها، لما لمسوه، وعاشوه من السكان الذين يتميزون بـ: « إطعام البائس الفقير... بحيث لا يبيت الإنسان الأجنبي عندهم بلا شيء وعنايتهم بالأجنبي أكثر أيا كان ».¹

هذا إلى جانب ميزه أخرى هامة جدا، والتي تتمثل في: ظاهرة الاحتماء بالعائلات القبائلية، والمتمثلة في مبدأ " العناية " إذ أن التجاء المتابعين، الفارين من العقوبات، أو الملاحقات، التي فرضت عليهم، نتيجة أعمال، أو مخالقات، ارتكبوها في مناطق سكناهم الرئيسية.² من بين العوامل التي جعلت الناس تفتد إلى هذه المنطقة، رغم صعوبة العيش بها، وطبيعتها الجبلية. هذا إلى جانب امتداد المنطقة الساحلية على حوض المتوسط، ووجود إحدى الحواضر المغاربية الهامة بها، و المتمثلة في مدينة بجاية، عاصمة المغرب الأوسط الحمادية، والحاضرة العلمية، العالمية، التي استقبلت العديد من العلماء، والأسر التي استقرت بها، ومن بين العناصر المستقرة بالمنطقة عامة، وبجاية خاصة، والتي تركت تأثيراتها الفكرية والثقافية نجد:

2 - الأندلسيون (الموريسكيون): ارتباط التواجد العثماني ببلاد

المغرب، بضعف الدويلات المحلية، وزيادة التحرش الاسباني، على سواحل المنطقة، في إطار ملاحقة، ومتابعة المسلمين الفارين، من الاضطهاد النصراني من الأندلس، والذين استقروا بالمدن الساحلية المغاربية عامة، والقبائلية، خاصة في المدن الساحلية كدلس، وأزفون، التي توجد بها قرية تحمل اسم: أث وَأَنْدَلُوسٌ⁽⁵⁾. وكذلك في حاضرة بجاية، التي عرفت تواجد الكثير من الأسر الأندلسية، والتي استقرت بها قبل مجيء ووصول الإخوة بربروس. وهو الشيء الذي يشير إليه

(برانشفيك ، BRANSCHVIC)، الذي أعاد بداية الهجرة الأندلسية نحو مدينة بجاية، إلى العهد الحمادي حيث " كانت بجاية محط الأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها. ولما ألحقت بالدولة الحفصية، اعتبرت عاصمة إقليمية وبابا لإفريقية الحفصية على الأندلس"³.

وأكدت مصادر أخرى، ومنها ابن خلدون أن: منطقة القبائل عامة، وبجاية خاصة، من بين المناطق التي استقبلت أعدادا كبيرة، من القادمين، من العدو الأندلسية، وفي فترات متعددة ومختلفة، ويعود هذا - حسب ظني - إلى الدور الذي لعبته هذه المدينة، في الحياة الفكرية. بالعالم الإسلامي عامة وفي شقه الغربي خاصة.

¹ الزواوي: المصدر السابق، ص. 107.

² مجهول: " سيرة الزواوة " مخ.م.و، رقم 3012 ، ورقة: 12 ظهر.

⁽⁵⁾ محمد أرزقي فراد: أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 50.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن أمراء بجاية وقفوا في وجه الإسبان، وفعلوا كل ما في وسعهم من أجل إنقاذ المسلمين الفارين من الأندلس، والوقوف في وجه الإسبان الذين حاولوا مرارا، احتلال السواحل المغربية، وإحياء الحروب الصليبية ضد المسلمين في المغرب. وهذا ما دفع بالأمير الحفصي ببجاية (أبي العباس عبد العزيز) إلى تجهيز جيش بجائي لمساعدة إخوانه المسلمين، والوقوف في وجه الهجمات الإسبانية، التي كانت تتعرض لها، بعض المدن الساحلية الجزائرية. وقد قاد بنفسه هذه الجيوش، كما كلف حاجبه (محمد بن عبد الله الكناني) بقيادة قوات بحرية متوجه نحو الغرب لإنقاذ مدينة المرسي الكبير.¹

وعندما تزايد الضغط المسيحي على المسلمين، بعد سقوط آخر دويلة إسلامية بالأندلس، وهي دويلة بني الأحمر بغرناطة، وذلك سنة 897-898هـ / 1492م، زادت الهجرة نحو مدينة بجاية، خاصة فئة العلماء، والفقهاء الذين وجدوا المساعدة، من الأمراء الحفصيين في الاستقرار بها، إذ تذهب إحدى المصادر التاريخية، إلى أن: (الأمير فارس بن عبد العزيز).² الحفصي حرص على تخصيص المؤونة اللازمة، والمدد الكافي لتشجيعهم على الوقوف في وجه النصارى.³

وكان لهذه الهجرة نحو منطقة القبائل عامة، ومدينة بجاية خاصة، الأثر الكبير في الازدهار الثقافي والفكري، الذي عرفته المدينة قبل الاحتلال الإسباني. وبعد الطرد الجماعي، للمسلمين الأندلسيين في سنتي 1609 و 1611 استقرت أعداد كبيرة من الأسر الموريسكية الوافدة في معظم المدن الساحلية الجزائرية، ومن بينها دلس، وأزفون و بجاية.⁴ وقد ترك استقرار الأندلسيين بالمنطقة، أثره الكبير في مختلف الميادين الحضارية، خاصة منها العمرانية، والصناعية، والفكرية. حيث تأثرت المنطقة بالوافدين إليها، خاصة وأن هؤلاء يحملون أفكارا، وثقافة مختلفة عن أفكار وثقافة السكان المحليين. وهو عامل ساهم، في بروز أنشطة جديدة. يتضح ذلك من خلال الذوق العالي، الذي عرفته صناعة الخيزران بنواحي دلس، وأزفون، كما ظهرت تأثيرات الأفكار الجديدة، من خلال الموشحات الفنية التي اشتهرت بها مدينة بجاية، وهي مازالت دالة على ذلك التأثير إلى الآن، من خلال الفن الأندلسي.

¹ سيدي موسى: المرجع السابق ص 31 - 32 .

² الأمير فارس بن عبد العزيز: حكم والد السلطان عبد العزيز (عزوز) المتوكل فما بين 796 - 838 هـ / 1393 = 1434م أنظر: علي أمقران السحنوني: هذا الشيخ المجهول أبو زكرياء يحي العيدالي 881هـ / 1476 م ، في: مجلة الدراسات التاريخية، ع4، جامعة الجزائر، 1408 / 1988، ص 40 .

³ - ابن أبي دبنار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد الشام، الطبعة 3، المكتبة العتيقة، تونس: 1967، ص 153.

⁴ نصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، م، و، ك الجزائر، 1984، ص 132. وللتوسع أكثر حول العلماء الذين استقروا ببجاية، أنظر:

- مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط: 2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 48، 51.

يلاحظ على هذه الفئة، بأنها سرعان ما تفاعلت مع السكان، الذين آوهم وذلك نتيجة، العامل الديني. فامتزجت هذه العناصر السكانية، وأصبحت تستعمل لغات مختلفة خاصة منها الأمازيغية.¹ وبعد الاحتلال الاسباني للمدينة، وتخريبها خرج الكثير من البجائين منها، خاصة الأسر العريقة، فاتخذوا من المناطق الداخلية، والجبال المنيعة مقرات إقامتهم.

3 - السودانيون: إن تواجد العنصر السوداني - أو الزنجي - بمنطقة

القبائل، يعود إلى فترات سابقة عن العهد العثماني، سواء كان هؤلاء مقيمين أحرارا، أو عبيدا عند الأسر القبائلية، خاصة البجائية الارستقراطية منها. غير أن فترة العهد العثماني، ساهمت بصفة مباشرة، في استقرار جماعات من السودانيين، في عدة أماكن من منطقة القبائل، وكان أول من عمل على تكوين تجمعات يقيم فيها هؤلاء هو (علي خوجة)، وبعده ابنه (محمد)، اللذان استقدا مجموعة من السودانيين إلى منطقة القبائل، وذلك في حوالي 1720م (1133هـ)، بغية حماية، ومراقبة الأبراج التي أنشأوها بالمنطقة، في محاولة منهم لإخضاعها.

يعود أساس استقرار، هذا العنصر في الواقع، إلى عامل عسكري، وهو العامل الذي جعلهم يتمركزون حول الأبراج العسكرية، التي أنشئت من أجل مراقبة سكان جرجرة، والسيطرة على المناطق الخصبة المتواجدة بها، كحوض سيباو، مثل برج حمزة، وبرج بوغني، وهذا الأخير أنشئ من أجل مراقبة المناطق الغربية لبلاد القبائل. وقد ضم حامية من الجند قدرت بحوالي 400 فرد، واستقروا بعين الزاوية.²

كما أن هناك قرى، وتجمعات خاصة بهذا العنصر الوافد إلى منطقة القبائل، والذي نجده يتركز في التجمعات القروية التالية:

- **عين الزاوية:** وهو أول تجمع أنشئ في المنطقة، من أجل مراقبة قرى، وسكان الجهة عامة، وكذا ضمان فصلها عن الجهات الغربية القريبة إليها.
- **عبيد شمال:** أنشأ الباي محمد، زمالة عبيد شمال، بمنطقة وادي عيسى الغنية، والقريبة من مدينة تيزي وزو - الحالية - وكانت مهامها تتمثل في:
 - فرض السيطرة على حوضي سيباو العلوي والسفلي.
 - جمع الضرائب من الفلاحين والسكان الخاضعين لقيادة سيباو.
 - مراقبة وحماية الطريق البري الواصل بين سيباو الغربية، وجمعة الصهاريج.

غير أنه ما لبث، أن عرف هذا التجمع انشطارا وتفرعا، فظهرت ثلاثة أقسام، وفروع له، اتخذ كل فرع منطقة إستراتيجية قريبة إلى حوض سيباو المتميز بخصوبة تربته، وصلاحياتها للزراعة. وحتى يبقى ولاء هذه القواعد للسلطة المركزية قائما، وافق الداوي (إبراهيم باشا) على أن تقطع لهؤلاء الوافدين إلى المنطقة أراض زراعية يزرعونها، ويستغلونها في نشاطاتهم

¹ M. GAID : op.cit, p :34.

² (H) Aucapitaine ;Les colonies noires en Kabylie in, R.A., N° 4 ; Années 1859-1860, o.p.u, Alger, p 74.

اليومية.¹ وبذلك أصبح هذا العنصر مالكا جديدا للأراضي الزراعية، واعتبر امتدادا لقبائل المخزن.² التي استخدمتها السلطة المركزية كأداة قوية لتأديب كل من يحاول عصيان أوامرها، أو التمرد عليها، فهي " تمثل المحور الأساسي الذي تتركز عليه سياسة الأثراك مع باقي سكان إيالة الجزائر".³ وقد أصبحت لهذه القبائل المخزنية امتيازات خاصة في المناطق التي لهم عليها نفوذ. غير أن ذلك ساهم في تغذية تمرد سكان المنطقة، ونفورهم من السلطة المركزية، في معظم فترات الحكم العثماني للجزائر. إذ أن السكان في المنطقة يتميزون بشدة تمسكهم، وارتباطهم بالأرض التي نشئوا فيها.⁴ هذا إلى جانب استخدام العنصر السوداني للسلاح، والقوة العسكرية في قمع السكان الذين ترسخت كراهيتهم لهؤلاء، وظلت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للمنطقة. وبذلك تحولوا إلى ملاك حقيقيين للأراضي الزراعية، التي كانت تابعة لأملاك البايك، وتملكوا كذلك العقارات. وهو الأمر الذي تضمنه شعر الشيخ: محند وامحمد في أشعاره التي تبين كيف تمكن الوافدون الجدد من السيطرة على بعض أحواز المنطقة.

وقد كانت هذه القبائل المخزنية، تعمل مباشرة تحت نفوذ الباي، أو الأسر النافذة في منطقة القبائل، حيث نجد مثلا أسرة أوقاسي من تامدة لبلاط في حوض سيباو، وأسرة أولاد رابح بفناية وأسرة أوشلال ببني وغليس.⁵ تستخدم كلها العنصر السوداني، وتستعين بهم في جمع الضرائب، وتنظيم المحلات بالجهات الخاضعة للسلطة المركزية، سواء بحوض سيباو، أو بحوض الصومام. ففي هذا الأخير استقر كذلك العنصر الزنجي (السوداني) في الأبراج التي أنشأها الحكم كبرج حمزة، وفي بعض الزمالات المنشأة والمستحدثة بها، ولعل من أهمها ممر شعبة لحمرة⁶ بالقرب من أقبو، وكذا في الحدود الجنوبية، والشرقية: كبرج زمورة، وبرج مجانة.

وعلى كل فإن لهذا العنصر تأثيرا هاما في أوضاع المنطقة الاجتماعية والاقتصادية، والفكرية والسياسية. فحتى وإن كان دورهم سلبيا فيما يتعلق بتغذية الصراع بين السكان والسلطة المركزية. فإن لهم دورا فكريا لا يستهان به، والذي يظهر ويتضح من خلال الدور الذي لعبته العشائر السودانية، والقبائل المخزنية في نشر اللغة العربية بالمناطق التي استوطنوا بها، فتركوا تأثيرهم في السكان الذين كانوا يتكلمون القبائلية، كما هو حال جهة سيباو، ومرتفعات قرقور.⁷

¹ M. GAID : op.cit, p :39

² عبارة عن عشائر كانت تحصل على امتيازات استغلال الأراضي الزراعية مقابل خدمة السلطة. انظر / سعيدوني، المرجع السابق، ص 114.

³ نفسه، ص 113.

⁴ Rozet et Carette, op.cit, p 39.

انظر كذلك / - ألفرد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط 03، بيروت، 1987، ص 52 وما بعدها.

⁵ Aucapitaine, op.cit, p 76.

⁶ GAID, op.cit, p 39.

⁷ سعيدوني، المرجع السابق، ص 125.

4 - الذميون: إن التواجد الذمي - المسيحي واليهودي - في منطقة

القبائل كان مركزا على مدينة بجاية قبل تخريبها من قبل الاسبان، أما بعد احتلالها، فقد تراجع تواجدهم بشكل كبير وملفت للانتباه، وذلك نتيجة فقدان المدينة لدورها الثقافي والاقتصادي¹. وبعد تحريرها من قبل صالح راييس في 13 ذي القعدة 962هـ/28 سبتمبر 1555م.² منع الأتراك العثمانيون دخول الأوروبيين إليها إلا في حالات خاصة.³

وقلة النصارى في المنطقة عامة يشير إليه أبو يعلى الزواوي عندما يذكر محامد الزواوة، فيقول: "...ولهذا لا تجد في الزواوة يهوديا ولا نصرانيا"⁴. وهذا ما يؤكد قتلهم بالمنطقة عامة.

ولا نملك إحصائيات عن وجود اليهود في بلاد القبائل خلال العهد العثماني، ويبدو أن عددهم تراجع بعد فقدان مكانة مدينة بجاية في ذلك العهد. أما في القرى، والمناطق الداخلية الجبلية، فإن اليهود المتميزين بالمهارة في صناعة الحلي والجواهر قد استقروا ببعض القرى الداخلية، متخذين من منازلهم ورشات لهذه الصناعة، كما هو الحال بالنسبة لعرش بني يني بالقبائل الغربية، وبني عيدل وبني وغيليس بالقبائل الشرقية، وهي الظاهرة التي استمرت إلى فترة الاحتلال الفرنسي فتفرقت هذه الأسر اليهودية واندثر نشاطها.⁵

وهناك إشارات في المصادر، والمراجع الأخرى، إلى الأعمال التي كانوا يمارسونها كالفلاحة، وتربية الحيوانات أو المتاجرة بها. وهو الأمر الذي ذكره مالتسان (*Maltsan*) في بداية الاحتلال عندما زار مدينة بجاية.⁶ ولعل العامل الذي ساعد، في توغل العنصر اليهودي داخل المجتمع الجزائري في منطقة القبائل هو إتقانهم للغات البحر المتوسط، ومنها القبائلية، بفعل الاحتكاك بالسكان الذين يتعاملون معهم. غير أن المعلومات التي توصلت إليها، واستخلصتها من خلال الوثائق الأرشيفية، تبين بأن: الذميين عامة، سواء كانوا من المسيحيين، أو اليهود. لم تكن لهم بالمنطقة عقارات مسجلة بأسمائهم، عكس ما هو موجود في المدن الأخرى كالجزائر العاصمة، أو البليدة، أو وهران، أو غيرها. وتعود أسباب ذلك إلى:

- طبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة.
- طبيعة السكان الذين ينفرون من التعامل مع هذه الطائفة، لكونهم كفارا في نظرهم.

¹ عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر لميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2006، ج 01، ص 18-19.

² Haedo (F.D.), Histoire des rois d'Alger, trad. Française de H.de Grammont, Alger, 1881, pp 92-95.

³ مالتسان، المرجع السابق، ص 113.

⁴ المصدر السابق ص 109.

⁵ تروي الرواية الشعبية، بأن هناك تواجد لبعض العائلات اليهودية، في قرى بني عيدل. غير أن هذه العائلات المشغلة في صناعة الفضة، قد انقطعت الأخبار عنها، وهاجرت المنطقة دون العودة إليها مرة أخرى.

⁶ المرجع السابق، ص 116.

- طبيعة تواجد الذميين في المنطقة، والمرتبطة بنوعية النشاط أكثر منها في الاستقرار.
- وهذه العوامل جعلت استقرار اليهود في المنطقة قليلا جدا، والسكان يعاملونهم معاملة سيئة ويكونون لهم العداة.¹
- إن التنوع البشري الذي عرفته المنطقة، قد خلف أثارا، ونتائج على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والفكرية في أوساط المجتمع القبائلي نذكر منها:
- 01- الصراع العنيف الذي نشب بين فئتين، من السكان تمثلان رأس التنظيم في المنطقة وهما:
- **فئة العلماء:** وأقصد بهم أولئك الذين تأثروا بالنهضة الإسلامية، وعملوا على ترسيخ التعاليم القرآنية الصحيحة فوقفوا في وجه الأعراف والتقاليد التي ابتدعها البعض، والتي تتعارض مع النصوص الشرعية كالميراث والاختلاط إلخ. ومن بين الذين عملوا على مواجهة هذه المظاهر: الشيخ الورثيلاني في القرن 12هـ/18م.²
- **فئة المرابطين والطرفيين:** الذين وقفت السلطة إلى جانبهم، وآزرت أفكارهم - خاصة في العهد العثماني - بغية استمالتهم، واستخدامهم كأداة لتحقيق مآربهم وأغراضهم، وهم بمثابة وسيلة تستعين بهم في إخضاع المنطقة، فانتشرت الطرق الصوفية بالمنطقة، وأصبح للتصوف تأثير في مختلف جوانب الحياة.
- وبفعل هذا الصراع الفكري داخل المجتمع، انعدم التوازن بين الإرث الحضاري للسكان، وما جاءت به الشريعة الإسلامية.³
- 02- انقسام سكان المنطقة إلى فئتين متباينتين، القبائل والمرابطين، وهو التقسيم الذي ساعد على بروز الصراع الطبقي داخل المجتمع القبائلي.⁴

¹ مارمول كبرخال، إفريقيا، 3ج، تعريب محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط 1984، ج2، ص 375.

² الورثيلاني: المصدر السابق: ص 701. 702.

³ (A) Mahé: op cit, p:10.

⁴ حول هذا الصراع انظر: ابن تونس مخلوف: المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل - تحليل نفسي واجتماعي، رسالة ليل شهادة الماجستير - جامعة الجزائر 1998/1999.

المبحث الثالث المؤثرات والخصائص الاقتصادية

I- الفلاحة:

إن تضاريس بلاد القبائل، التي تتميز بالجبال التي تحدها من الجنوب، و الشرق، والبحر المتوسط، من الشمال، كما أن الطابع الجبلي الطاغى على معظم مساحتها قد تركت آثارها واضحة في سلوك المواطن بالمنطقة، ونشاطه فاختص بـ: " الميل إلى حب العمل قبل أي شيء آخر، ومهما كانت مكانة الرجل الاجتماعية، فهو يعمل على استغلال الموارد الطبيعية المختلفة المتوفرة حتى يتمكن من تحدي الطبيعة وتعويض نقص الأراضي الزراعية".¹ خاصة وأن النشاط الزراعي تحديداً، والفلاحي عامة. من أهم الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة منذ فجر التاريخ، لكون الإنسان المتوسطي يميل إلى هذه الأنشطة بالإضافة إلى حرف ونشاطات أخرى.

كما أن مناخ بلاد القبائل المتميز باعتداله وتساقط كميات معتبرة من الأمطار، و الثلوج على المنطقة.² قد ساعد إلى حد كبير، الفرد القبائلي في الاشتغال، والعمل في القطاع الفلاحي، ليوفر ما يحتاج إليه من محاصيل زراعية غذائية. ولهذا ارتبط القبائلي بأرضه، واستغلها إما استغلالاً، فأعطت إنتاجاً وفيراً. مونت به المناطق المجاورة لها، بل حتى عرب البوادي.³ وذلك رغم قلة المساحات الزراعية الواسعة، لكن الاستغلال الجيد للأراضي، وإتقان الفلاح لفنون الحراثة، جعل المنطقة تنتج أنواعاً شتى من مختلف المنتجات كالحبوب مثل: " البر، والشعير، والجلبانة، والبشنة، وكذلك أنواعاً من الفواكه المختلفة".⁴ التي تفيض على الاستهلاك المحلي، فيبيعونها أو يقايضون بها السلع التي يجلبها التجار من الأسواق الداخلية، كالحبوب من الهضاب العليا. فحسب المصادر التاريخية.⁵ وطبيعة المنطقة، ونشاط سكانها، الذين يسعون إلى إنتاج كل ما يحتاجون إليه، فإن المنتجات الزراعية يمكن تصنيفها في:

1. إنتاج الحبوب: تنتشر زراعة أنواع مختلفة من الحبوب، في حوض سيباو، والصومام، وكذلك السفوح الجبلية، وفي الأحواض الداخلية مثل حوض ذراع الميزان، وواضية، وحوض البويرة.⁶

¹ - Rozet et Carette : op, cit , p28 .

² - A. Mahé : op.cit, p.p:21 – 23 .

³ مارمول : المصدر السابق ج 1 ص 16 .

⁴ مجهول: المخطوط السابق، ورقة: 16 ظهر.

⁵ يمكن العودة إلى:

- مارمول: المصدر السابق، ج 1 ص 16 - 17
- شالر: المصدر السابق، ص 115.

⁶ - A. MAHE : op.cit, p28.

أما في المنحدرات الجبلية، والمناطق الفقيرة إلى التربة، فإن نوع الزراعة بها زراعة معيشة، تتبع في استغلالها طرق بدائية، ووسائل تقليدية، وهذا ينعكس على نوعية الإنتاج، وكمياته الموجهة أساسا إلى الاستهلاك المحلي العائلي.

فنوعية الإنتاج الزراعي، وكمياته تعكسها نوعية اللزمة التي يدفعها قائد سيباو عن قيادة المنطقة إلى دار السلطان.¹

2. إنتاج الفواكه: أثرت العوامل الطبيعية، تأثيرا كبيرا، في تهيئة ظروف استغلال المنحدرات الجبلية، في زراعة الأشجار المثمرة المختلفة، والتي من أهمها:

- **التين والزيتون:** إن إنتاج المنطقة من التين والزيتون يشكل أساس منتجات الفلاحة عامة

بالمنطقة، فتزرع أشجارهما، في جهات واسعة، ومختلفة من المنطقة، سواء القبائل الشرقية، أو الغربية. وهي من الزراعات القديمة التي كانت منتشرة منذ العصور القديمة.² أما إنتاج المنطقة من التين والزيتون فإنه يسد حاجات سكانها، ويقاىض به الفائض في أسواق الهضاب العليا، مقابل الحصول على ما يحتاجه السكان، لتعويض نقص إنتاجهم من الحبوب. وعلى الرغم، من اهتمام السكان بها إلا أن كمياتها قليلة، خاصة: " ما يتعلق بالتفاح، والأجاص، والمشمش، والخوخ، غير أن الرمان فيوجد منه الكثير وكذلك العنب."³

3. تربية الحيوانات: يمارس السكان بالمنطقة هذه الحرفة منذ القديم، للاستعانة بالحيوانات في خدمة الأرض، أو استعمالها في الترحال، أو استهلاك لحومها، واستخدام جلودها، وصوفها، وشعرها ونتيجة ذلك يولي لها الفرد أهمية كبيرة، إذ لا تجد بيتا خال منها. تربي في المنطقة أنواع مختلفة من الحيوانات فنجد: الماعز، والأغنام، والأبقار والثيران، إضافة إلى وسائل النقل التقليدية، كالحمير والبغال، والخيول، وهذه الأنواع كلها تتركز تربيتها حسب ظروف المنطقة الطبيعية. فيظهر وكان السكان جميعا رعاة أغنياء، وهذا ما جعل أحد المؤرخين، يصنفهم بأنهم أغنياء بزروعهم ومواشيهم، وبما يملكون من الخيل المعدة للقتال.⁴ فتربية الحيوانات في المنطقة حرفة قديمة، موجودة في المنطقة منذ القدم، وقد عملوا على استغلالها، والاستفادة منها للتغلب على صعوبة طبيعتهم، وتعويض النقص الذي يعانونه. فنجدهم يعملون دائما على تحقيق الاكتفاء الذاتي وذلك من خلال استغلال مختلف الإمكانيات التي تتوفر عليها بيئتهم، فإذا كان حبهم لأرضهم وارتباطهم بها، أمر مفروغ منه. فإن سعيهم إلى

¹ ROBIN : " Soumission des BANI YALA", in : R-A, N° 42, Année 1898, o.p.u, Alger, pp 23 – 57.

² MAGALI Zurcher : la pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, Paris – s l'Édition les belles lettres, France, 1948, p 14.

³ مجهول: المخطوط السابق، ورقة: 16 ظهر.

⁴ مارمول : المصدر السابق، ج 1 ص 93.

تسخير الإمكانيات المختلفة من أجل خدمة الأرض واستغلالها، من أهم الجوانب الناتجة عن هذا الارتباط بين الأمازيغ والأرض.

II- الصناعة:

* أنواعها:

تتوفر المنطقة على ثروات، ساعدت إلى حد ما على قيام هذا النشاط، إذ نجد كثير من المناطق التي تتوفر على معادن مختلفة مثل: الحديد، والرصاص، والمحاجر التي تقلع منها الأحجار المستخدمة في صناعة الرحي. ¹ التي لها شهرة كبيرة. هذا وتتوفر المنطقة على ثروات سطحية أخرى، كالأخشاب في مرتفعات (تامغوط)، والتي حاولت السلطة المركزية استغلالها والاستفادة منها. غير أن موقف السكان من ذلك كان الرفض القاطع مما ساعد على توتر العلاقات بين الطرفين. ²

إذ أن الحاجة البشرية إلى الأشياء من أهم العوامل المساعدة على البحث والاختراع. فهذه الحاجة جعلت سكان المنطقة، يعملون على صناعة ما يحتاجون إليه من وسائل يومية، تعينهم على استغلال إمكانياتهم الطبيعية، وخاصة أنهم يتميزون حسب (شالر w. Shaler) بـ: " الذكاء والشجاعة والنشاط" ³ وهي عوامل ساعدت على قيام بعض الصناعات مياها:

أ - الصناعات المعدنية: اختصت كل قبيلة من قبائل جرجرة بصناعة معدنية معينة. ⁴ وذلك حسب الثروات الطبيعية المتوفرة، وحاجة السكان إلى نوع ما من أنواع الإنتاج الصناعي. فقبيلتي بني عباس وفليسة وهذا - حسب رأي - يعود إلى طبيعة القبيلتين في المنطقة، إذ أن قبيلة بني عباس، بمثابة قبيلة عسكرية، برزت في إطار الصراع الحفصي الإسباني، وكذلك في فترة الصراع بين المقرانيين فيما بعد، والسلطة المركزية، وقد غذى هذا الصراع الاهتمام بالصناعة الحربية. ⁵

أما قبيلة فليسة البحرية، فعلى الرغم من عدم اهتمامهم باستغلال الثروات البحرية، فإن تعرضها إلى الخطر الخارجي جعل أهلها يولون أهمية كبيرة بالصناعات العسكرية بوجه عام، سواء ما تعلق بصناعة السيوف، أو الخناجر، أو غير ذلك.

ب - صناعة الحلي: تعد منطقة القبائل مشهورة بهذا النوع من الصناعات الفنية، غير أن بعض قبائلها اكتسبت شهرة واسعة لما لهذه القبائل

¹ عثمان بن حمدان خوجة: المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبير، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982، ص 66-67 وكذلك:

- مار مول: المصدر السابق، ج3 ص375.

² أحمد ساحي، الزاوية من القرن 16 حتى 18، عهد الإمارة 1512-1767، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1999، ص 116.

³ المصدر السابق، ص 117.

⁴ سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 - 1830)، ش. و. ن. ت، الجزائر 1970، ص: 35.

⁵ Y. BEN OUDJET, La Kalaa des Béni Abbas du 16 siècle, Edition Dahlab, Alger, 1993, pp 69-75.

من اهتمام بالغ بها، ومثال ذلك قبيلة بني يني، التي توارث سكانها هذه الصناعة منذ القديم.

ج - استخراج المعادن: إن توفر المعادن في بعض نواحي المنطقة، جعل سكانها يهتمون باستخراجها، مثل: قبائل بني سليمان التي تعمل على استخراج هذه المعادن، وتحولها إلى قبيلة بني بوهالي لمعالجته¹، وذلك للاستفادة منها، وتحويلها إلى وسائل يستخدمونها، في حياتهم اليومية، سواء تعلق الأمر بصناعة الأواني المنزلية، أو الفلاحية، أو غيرهما. إن الصناعات المعدنية التي كانت تصنع في منطقة القبائل، خلال العهد العثماني، كانت موجهة أساسا إلى الاستغلال المحلي، سواء من أجل الدفاع عن المنطقة، أو للاستعمالات اليومية في الأغراض التي يحتاجون إليها. فحتى وإن كانت هذه الصناعة، تعتمد أساسا على وسائل بدائية قديمة، إلا أنها ذات جودة عالية نتيجة توفر صناع ماهرين، يجيدون صناعة السيوف والخناجر والرماح.²

د - صك النقود: إن الحاجة إلى النقود، دفعت بالسكان إلى إقامة ورشات محلية لصك العملة، وقد اشتهرت الكثير من المناطق بصكها، غير أنهم امتازوا بتزويرها مما جعل التجار، والمتعاملين معهم يخشون عملتهم هذه³.

هـ- الصناعة الغذائية: وتتمثل أساسا في صناعة الزيتون، وذلك نتيجة توفره في مختلف جهات المنطقة، مما جعلها إحدى الصناعات الهامة المنتشرة في مختلف القرى بفعل وفرة المادة الأولية من جهة، وجودتها العالية من جهة أخرى. كما أنها تدخل في صناعة الصابون الذي يشبه الصابون الفرنسي.⁴

إن اهتمام السكان بزراعة الزيتون، وصناعته جعله يمثل أهم دخل لسكان منطقة القبائل في فترة العهد العثماني.⁵

و - صناعة النسيج: إن الصناعة النسيجية تعد من الصناعات المنزلية، التي تقوم بها النسوة، اللاتي احتكرن هذا النوع من الصناعة النسيجية المنتشرة، في مختلف القرى. وهي في أساسها تعتمد على مادة أولية محلية، تتمثل في الصوف بالدرجة الأولى، وتتنوع المنسوجات المنتجة بالمنطقة، وتتميز ببساطتها. غير أن هناك نواحي اشتهرت بأنواع معينة من المنتجات النسيجية. ومن أهم هذه النواحي: ناحية بني عباس، التي تشتهر بالصناعات الصوفية، وعلى رأسها "برنوس" بني عباس الذي يضرب به المثل.⁶ وكذلك: بني ورثيلان. التي أخذ إنتاجها مكانة هامة بين المنتجات النسيجية المحلية،

¹ سعيدوني: المرجع نفسه، ص: 35.

² مار مول : المصدر السابق، ج 3 ص 375 .

³ مجهول: المخطوط السابق، ورقة: 16 ظهر.

⁴ Rozet et Carette : op, cit , p31

⁵ Hanotiaux et letournaux . op , cit T1 p :417

⁶ Rozet et Carette : op, cit , p30

على المستويين الداخلي، وحتى الخارجي.⁷ وما يلاحظ على هذه المنسوجات، هو أن معظمها موجه أساسا إلى الاستهلاك المحلي.

ز- الصناعات الأخرى: من بين الصناعات التي تشتهر بها منطقة

القبائل عامة، وبعض أعراشها خاصة، نجد -إضافة إلى ما ذكر - صناعة البارود، التي احتكرتها بعض أعراش، وقبائل المنطقة كقبيلة، أغبالو (إغبولين). وذلك بسبب توفر المادة الأولية المتمثلة في ملح البارود الذي يعد أساسيا في هذه الصناعة. أما الكبريت، الذي كان استيراده محتكرا من قبل السلطة، فإن بعض التجار يتحصلون عليه، ويستوردونه من الخارج - خاصة من فرنسا.¹

ولم تكن هذه الصناعة مقتصرة على عرش واحد، بل نجد عروشا أخرى اشتهرت بهذا النوع من الصناعة مثل: آث لربعاء، بني يني، بني عباس.² فكانت هذه الصناعة منتشرة بشكل واسع، مما جعل مارمول يرى بأنه: " لا يوجد بيت يخلو من أدوات صناعة البارود في المنطقة".³

هذا إلى جانب صناعات أخرى هامة، كالصناعات الخشبية مثل النجارة وصناعة أدوات الفلاحة والأواني المنزلية وكذا صناعة الحدادة، والصبغة والدباغة، إلخ⁴

وهذا ما جعل ميناء بجاية يشتهر بتصدير بعض هذه المنتجات، نحو أوروبا التي كانت تقبل على شراؤها، لما لها من جودة عالية.⁵

إن النشاط الصناعي في منطقة القبائل كان مزدهرا رغم بساطته، وكل الوسائل المستعملة في صناعته، غير أن توفر المواد الأولية من جهة، وحاجة السكان إلى إنتاج ما يساعدهم في تحدي الطبيعة من جهة أخرى، جعل الحركة الصناعية بالمنطقة تزدهر، بل وتصل في بعض الجوانب إلى تصدير الفائض نحو المناطق القريبة وحتى البعيدة عنها.

III- التجارة:

وتعتبر من بين الأنشطة الاقتصادية الهامة، التي لعبت دورا في تطور الشعوب، وهي من بين المظاهر التي تعكس مدى تطور أي شعب، أو أمة خلال الفترة الحديثة.

فمنطقة القبائل خلال العصر الحديث، ساهمت في هذا النشاط إذ أن موقعها الوسطي بين بايلك الشرق، ودار السلطان، جعلها تتحكم في الطريق السلطاني الذي يمر بأجزاء واسعة منها (كبرج حمزة، وقلعة بني عباس، وكذا مجانة). فهذا الموقع جعل منها منطقة عبور للقوافل التجارية، بين شرق الجزائر، ووسطها. كما أن إشرافها على الشريط الساحلي، فتح أمامها إمكانية

⁷ Rozet et Carette : op, cit , p31

¹ مارمول : المصدر السابق، ج 3 ص 375

² Hanotaux et letournaux . op.cit T1 p :417 .

³ مارمول : المصدر السابق، ص 375 .

⁴ Hanotaux et letournaux . Ibid, pp 412 - 442 .

⁵ أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وفرنسا (1492 - 1792) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ش، و، ن، ت، الجزائر، ب، ت ص 137.

الانفتاح على العالم الخارجي عبر الموانئ البحرية التابعة للمنطقة كميناء: دلس، وأزفون، وبجاية.

فهذه العوامل ساهمت في النشاط التجاري، سواء كان ذلك على الصعيد الخارجي، أم على الصعيد الداخلي.

أ - التجارة الخارجية: تقوم بالتجارة الخارجية عادة الحكومات، أو الهيئات الممثلة لها. كما يقوم بها بعض الأفراد⁶. من خلال الشركات التجارية، التي ينشئونها. ونظرا لكون منطقة القبائل تابعة إداريا، إما لبايلك الشرق، بالنسبة للجهة الشرقية، وإلى دار السلطان، بالنسبة للجهة الغربية⁷. فإن حكومة الدايا، هي التي تشرف على التجارة الخارجية مباشرة، أو عن طريق ممثليها، أو الشركات المحتركة لبعض أنواع الصادرات، والواردات كشركة اليهوديين بكري، وبوجناح المشهورة⁸. التي اتخذت من قسنطينة مقرا لها، منذ أواسط القرن الثامن عشر، فإنها كانت تعتمد أساسا في تصدير بضائعها على موانئ عنابة، وسكيكدة، والقل فبقي ميناء بجاية بعيدا إلى حد ما، عن الاستغلال الذي كان عليه قبل سقوط المدينة في يد الإسبان، بالرغم من العلاقات التجارية، التي كانت تربطها مع القارة الأوروبية⁹. وكثير من دولها. إلا أن ذلك عرف تراجعا كبيرا في العهد العثماني، نتيجة اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة للدولة، ومقرا للمؤسسات والشركات، فانتقلت إليها الأسر الثرية التجارية، وبذلك تراجع دور ميناء بجاية. والشيء نفسه بالنسبة إلى الموانئ الأخرى كميناء أزفون، وميناء دلس. فهذه الموانئ لم يكن لها دور كبير ما عدا فترة بروز إمارة آل القاضي، التي استخدمت هذه الموانئ للاتصال بالعالم الخارجي⁵.

وعلى العموم، فإن منطقة القبائل عامة، وموانئها خاصة قد تراجع دورها التجاري فيما يخص التجارة الخارجية خلال هذه الفترة، وهذا الذي جعلها لم تواصل في لعب الدور التجاري، الذي كانت عليه في العهود السابقة، كالعهد الحفصي الحمادي. ولم تساهم في إحداث ثورة داخلية⁶، وانقلاب اقتصادي مثل الدور الذي لعبته التجارة في أوروبا، خلال الفترة الحديثة. إلا أن حاجة المنطقة، وحيوية موقعها جعل الموانئ الساحلية لمنطقة القبائل تحاول استرجاع مكانتها التجارية في الحوض المتوسطي عامة، على الرغم من الاتجاه العام للسياسة المتبعة من قبل الدولة، والتي تعتمد على الغزو البحري في إثراء خزيرتها، أي أن هذه الموانئ كانت قد ساهمت في نشاط الحركة التجارية، وأصبحت أكثر استعمالا للأغراض العسكرية، منه للأغراض التجارية.

⁶ محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة ما بين 1792 - 1830، الطبعة الثانية، م.و.ك، الجزائر 1984، ص 77 .

⁷ انظر الخريطة المرفقة في الملاحق.

⁸ الزبيري، المرجع السابق، ص 83.

⁹ مارمول، مصدر سابق، ج 01، ص 377.

⁵ ساحي: المرجع السابق، ص 118.

⁶ الزبيري : المرجع السابق، ص 111 .

ب - التجارة الداخلية: عرفت المنطقة نشاطا كبيرا، وتبادلا واسعا

للسلع، بين مختلف مناطق البلاد، وذلك نتيجة العوامل التالية:

- تحقيق الفائض في بعض المنتوجات و المحاصيل الفلاحية، كالزيتون، وهو الأمر الذي جعل سكان المنطقة يعملون على نقله، إلى الأسواق الداخلية، واستبداله بالمنتجات التي تحتاج إليها المنطقة¹.
- وجود بعض المنتوجات الصناعية الرائدة بالمنطقة، والتي لها سمعة كبيرة، مما جعل التجار يعملون على نقلها، إلى الأسواق الداخلية، خاصة: صناعة المنسوجات الصوفية، والأسلحة، والأدوات الفلاحية.
- حاجة السكان إلى السلع غير المنتجة محليا.
- سهولة الاتصال بين السكان، والانتقال بين أسواق البلاد، نتيجة عدم تعرض السلع إلى الرسوم الجمركية، ما عدا الضرائب التي تفرض على بعض المنتوجات.

- تدخل السلطة في تنظيم الأسواق التجارية، وتوزيعها، والإشراف عليها. تنتشر الأسواق في مختلف أنحاء منطقة القبائل، وتأخذ أسماءها، من القرى التي تعقد بها، أو من الأيام التي تحدد للسوق، فمثلا يوم السبت يكون السوق في عرش بني يحيى، ويوم الأحد: بإرجن، ويوم الأربعاء بني واسيف ويوم الاثنين بأقبولخ.

فهذه الأسواق يتم الاتفاق عليها بين السكان، والأعراش القريبة إليها، وتحدد نوعية السلع التي تباع فيها، والأيام التي تعقد خلالها، حتى يتسنى للمواطنين قضاء مآربهم المختلفة.

إن تدخل السلطة في تنظيم الأسواق، من بين أهم العوامل التي ساعدتها، في مراقبة السلع، وفرض الضرائب عليها، خاصة الأسواق الأسبوعية²، التي تكون أماكن انعقادها قريبة، إلى أبراج المراقبة، كسوق حمزة، وسوق مجانة، وجمعة الصهاريج وغيرها.

أما بالنسبة إلى نوع آخر من التجارة الموجودة بالمنطقة، فهي التجارة المتنقلة، التي يقوم بها تجار يتنقلون بواسطة دوابهم، أو حملا على ظهورهم، بين القرى، والتجمعات الريفية، والتي تختص عادة بالعطور، وبعض المستلزمات اليومية، والتي ذكرها صاحب سيرة الزواوة بقوله: " فكثره تجارتهم يشتررون العطرية من المدن، ويبيعونها في بلاد العرب، والبعض يبدلها بالصوف"³. هذا ويبين كذلك نوعية هذه المواد التي يشتريها هؤلاء التجار المتجولون، ويعيدون بيعها، إضافة إلى كيفية نقلها⁴.

المبحث الرابع: الخصائص السياسية

لقد تركت العوامل الطبيعة، تأثيراتها في سكان المنطقة، فجعلتهم يميلون إلى حب الحرية، ويسعون إلى الاستقلال عن أية سلطة سياسية منذ

¹ Aucapitaine : op.cit p :74

² سعيدوني، دراسات... المرجع سابق، ص 108 .

³ مصدر سابق، ورقة 15 وجه.

⁴ نفسه.

القديم. فالسكان لا يرضون بالأجنبي خاصة إن كان غازيا محتلا لبلادهم، سألوا لحرياتهم، لأنهم اعتادوا العيش الطليق¹. وما تسميتهم بالأمازيغ إلا دليل على ذلك. إذ ذهب أحد الباحثين إلى تعريف الكلمة بكونها تعني الرجال الأحرار. والآخر قد فسر الكلمة بالسيادة النبلاء².

وعلى كل، فإن القبائلي يحمل في نفسه شعورا قويا بالاستقلال³. عن السلطة السياسية، منذ القديم، وظلت كذلك إلى أن هبت على البلاد المغاربية شوارق الفتح الإسلامي، فانضم السكان إلى فلول المجاهدين، وساهموا في نقل الإسلام إلى أوروبا، بل شاركوا في التفاعلات الدينية التي عرفتها الدولة الإسلامية.

وفي عهد الفاطميين الذين تمكنوا بفضل الجيش الكتامي، من تأسيس ودخول القاهرة⁴. وهو الحدث البارز الدال على بداية التفاعل السياسي بين المغرب الإسلامي، والمشرق⁵.

فاستمر هذا التفاعل إلى غاية، بداية قيام الحكم المحلي، سواء في عهد الحماديين الذين اتخذوا مدينة بجاية عاصمة لهم، بعد القلعة في عهد الناصر بن علناس. وفي عهد الموحديين، كانت المنطقة خاضعة لهم. إلا أن أفول الحكم الموحد من شمال إفريقيا، جعل بلاد المغرب، تعرف انقسامًا سياسيًا، وتجاذبا على السلطة دام مدة قرن كامل⁶. انتهى بانقسامه إلى ثلاث إمارات متصارعة فيما بينها، فكان المغرب الأوسط محل تجاذب وتصادم بين القوى المتصارعة.

أولا: الحياة السياسية في منطقة القبائل قبل القرن 10هـ/

16م:

لقد كانت المنطقة مقسمة بين الحفصيين⁷ الذين كانوا يحكمون الجهة الشرقية منها، متخذين في البداية بجاية قاعدة لإمارتهم الغربية⁸. والزيانيين⁹ الذين يشرفون على الجهة الغربية من منطقة القبائل مباشرة، أو من خلال إمارة الثعالبة التي كانت تحكم متيجة وضواحيها. وهذا ما جعل المنطقة محل صراع بين الدولتين مدة من الزمن منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ 13م¹⁰.

¹ مار مول : المصدر السابق، ص 377.

² الحسين بن الشيخ أث ملويا: القانون العرفي الأمازيغي، ج 3، دار هومة، الجزائر 2000، ج 1، ص 27

³ شالر، المصدر السابق ص 116

⁴ موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ش. و. ن. ت. الجزائر 1979، ص 458 - 476.

⁵ نفسه ص 480.

⁶ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ج 2 ص 7

⁷ تنسب الدولة الحفصية إلى: زعيم قبيلة هنتاته المصمودية، التي كان أبناؤها، ولاة الموحدين على تونس، وبضعفها استقلوا بالحكم في عهد أبي زكرياء يحي (625/1228 - 1251 /649) أنظر عنها: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون... ص 1695 وما بعدها.

⁸ الجيلالي: المرجع السابق، ج 2 ص 308.

⁹ تنسب هذه الدولة إلى زيان بن ثابت. وهم من قبيلة بني عبد الوادي، إحدى بطون زناتة. حولها أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1842 وما بعدها.

¹⁰ الجيلالي: المرجع، ج 2 ص 18.

إن الأحداث السياسية المتعاقبة على المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة القبائل خاصة، جعل سكانها يتشبهون أكثر بتنظيماتها الخاصة، والتي توارثوها عبر الأجيال، والعصور، والتي تقوم على كون السلطة السياسية تمثلها القبيلة، أو العرش، أو القرية. وهذا ما جعل الولاء السياسي يكون لشيخ القبيلة أو الأكبر سناً في العائلة.¹

ومن نتائج ذلك أن، القانون العرفي لا يعترف بالحدود الجغرافية للقبيلة، أو العرش، خاصة إذا تعلق الأمر في البحث عن الموارد الحياتية الشحيحة التي تتوفر عليها المنطقة.²

لقد تضافرت مجموعة من العوامل الطبيعية، والسياسية على بروز القوانين المستمدة، من عادات وتقاليد السكان، وهي القوانين العرفية التي تدير شؤون المنطقة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وقد عرفت هذه القوانين تطوراً مع مرور الزمن.³ وتحولت إلى تنظيم سياسي يسير عليه سكان القرية، أو القبيلة أو العرش، وهذا ما أثر سلباً في عدم بروز تنظيمات إدارية، وسياسية حديثة في منطقة القبائل، فبقي السكان يعتبرون الأسرة، بمثابة الخلية الأساسية في النظام السياسي المحلي ويسيرها الأب، أو الأكبر سناً فيها. والقرية تكونها مجموعة من الأسر أو العائلات، وتسييرها يكون من طرف الجماعة (ثاجماعت)، التي تضم جميع البالغين، الذين يترأسهم رئيس، أو أمين يفرض نفسه إن كان مؤثراً.⁴

ومن هذا يظهر نوع النظام السياسي السائد في المنطقة و الذي يشبه إلى حد ما الأنظمة الحديثة، رغم كونه نمطاً تقليدياً. غير أن معالمه تجعله حديثاً، لما يتضمنه من حرية الرأي في مناقشة المسائل التي تعرض عليها، وهو الأمر الذي يؤكد عليه " شالر " عندما وصف نظام الحكم في المنطقة قائلاً: " حكومة منطقة القبائل عبارة عن مزيج بين الديمقراطية و الأرستقراطية ".⁵

فهذا النظام المبني على الديمقراطية، في معالجة المسائل المشتركة بين أفراد العرش، أو القبيلة، يحمل مظاهر الأرستقراطية فيه، لأن رئيس الجماعة يخضع له السكان، بفعل القوة، أو النفوذ اللذان يستمدهما من عصبية. فهذا النظام مبني على قواعد بسيطة تتلاءم مع طبيعة المنطقة وسكانها.⁶

هذا وقد كتب حول هذا التنظيم السياسي بالمنطقة الأمير نيكولاس بيبسكو " N - BIBESCO " يصف هذا النظام قائلاً: " إنه نظام جمهوري فيدرالي، دون أن يكون هناك حكم مركزي. ويضيف: بأن الوحدة السياسية والإدارية للمجتمع كانت تمثله القرية - ثادرت - وكل قرية تمثل جمهورية حقيقية مستقلة."⁷

¹ بيل: المرجع السابق، ص 52.

² ساحي: المرجع السابق، ص 18

³ Marcel Planiol, Traité élémentaire de droit civil, L.D.J, Paris, 1950, T1, pp 50-51.

⁴ Zurcher : op. cit.:p 42.

⁵ المصدر السابق: ص 113

⁶ Rozet et Carette : op., cit.,p, 28 .

ومهما يكن، فإن هذا النظام يظهر في مجلس القرية، أو الجمعية القروية - تاجماث - التي تلزم كل الأطراف بحدود، ومبادئ عامة، تخضع في كل خلاف أو تنازع إلى فتوى علمائها، وشيوخها ومنظومتها العرفية والدينية.¹ وهذه هي الوضعية السياسية العامة السائدة في المنطقة، خلال مطلع القرن التاسع الهجري (15م). فلا وحدة سياسية قوية وحدت المنطقة، ولا قوة عسكرية قادرة على مواجهة الخطر الخارجي، الذي أضحى يهدد السواحل المغاربية عامة، والمحلية خاصة، فكانت المنطقة مسرحا للتحويلات التي عصفت بشمال إفريقيا عامة.

ثانيا: الأوضاع السياسية في المنطقة في القرن 16م :

لقد كان للضعف الذي آلت إليه الدويلات المغاربية، أثره في غزو الاسبان للسواحل المغاربية عامة، والذين تمكنوا من احتلال عدة مراكز من بينها: احتلال مدينة بجاية في 915هـ / 1510م.²

وبعد ذلك استسلمت المدن الساحلية الأخرى، ومنها مدينة دلس، وبذلك أصبحت المنافذ البحرية للمنطقة تحت السيطرة الاسبانية. كما أن الاحتلال الاسباني لمدينة بجاية، قد ساهم في تفهقر أهميتها الحضارية وذلك راجع إلى خروج معظم السكان المسلمين منها.³ ولجؤهم إلى المناطق الداخلية، و الجهات الجبلية القريبة إليها.

كما أن خروج الأمير الحفصي " عبد العزيز " وأخويه بعد فشله في صد الحملة الاسبانية على المدينة.⁴ وتوجههم إلى المناطق الداخلية.⁵ لتنظيم المقاومة قد زاد في فقدان المدينة لمكانتها الحضارية، وذلك في محاولة منهم لاسترجاع حكمهم ونفوذهم على المدينة. غير أن ذلك لم يتم رغم المحاولات المتكررة من قبل السكان، الذين أخرجوا منها، فاحتموا بشعاب المنطقة وجبالها، ولما يئسوا من تحريرها، تفرقوا على مختلف القرى، والجهات الداخلية القريبة إليها.⁶ ولم يبق أمام السكان، والمجاهدين والمرابطين في الثغور، ورباطات المنطقة، إلا الاستنجاد بقوة إسلامية قادرة على صد هذا الزحف على كامل المغرب الإسلامي. فتوجهت الأنظار إلى الإخوة ببربروس،

⁷ " Les kabyles du Djurdjura, la société kabyle avant la conquête", in, R. M. Impremrie , J.chaye année 1865, T56, p 568.

وعن دور تاجماث في تسيير أمور سكان المنطقة أنظر:
- Ch. DEVEAUX: Les kbailes du Djurdjura, études nouvelle sur les pays vulgairment appellis la grande Kabylie, librairie éditeur challimac, Paris, 1859, p6

وكذلك:

-P. Bourdieu: sociologie de l'Algérie que sais je? 6^{eme} édition, P.U.F, Paris, 1858, pp 18 -19

¹ ساحي: المرجع السابق، ص 131

² مارمول: المصدر السابق، ج 2 ص 377-379.

وعن تاريخ احتلال الاسبان لبجاية يذكر " فيرو" (Feraud) بأن الاحتلال وقع سنة 1509 ، وبقاءهم فيها دام 46 سنة (ست وأربعين سنة). انظر:

(CH)FERAUD: " note sur Bougie...",op., cit., P: 45

³ مالتسان: المصدر السابق ص 114.

⁴ مارمول: نفسه ص 378

⁵ ben oudjit: op.cit, p 68.

⁶ M. GAID: op.cit 117

الذين ذاع صيتهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط. فكاتبهم أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي¹، الذي وجه لهم رسالة استنجد ذكرها الإفرائي، ومما جاء فيها: "... أن بلادنا بقيت لك ولأخيك - خير الدين وعروج أو للذئب، فأقبل الترك نحوه مسرعين، وجعل هو يحض الناس على إتباعهم والانخراط في سلكهم، دخل الترك الجزائر وتلمسان".² والشيء نفسه بالنسبة إلى الأمير عبد الرحمن، والأمير عبد العزيز اللذان طلبا المساعدة من الإخوة بربروس لاسترجاع ملكهم الضائع.³ فلبى الإخوة بربروس النداء، وتوجهوا لإنقاذ المدينة، ومعهم حوالي خمسمائة جندي تركي⁴. فوجدوا الأمير "الموفق" ابن الأمير عبد الرحمن، وكذلك أحمد بن القاضي بقواتهما، فحاصروا المدينة دون تمكنهم من فتحها، وذلك سنة 918 هـ/1512. فتراجعوا عنها وتوجهوا إلى مدينة جيجل التي كانت محتلة من قبل الجنويين، واتخذوها قاعدة للجهاد البحري ضد النصارى. وفي سنة 921 هـ/1515 أعاد عروج الكرة لتحرير مدينة بجاية، غير أنه فشل كذلك في تحقيق هدفه، وبعد عودته إلى قاعدته بجيجل، وجه إليه سكان، وأهالي مدينة الجزائر، وأميرهم سليم التومي الدعوة لإنقاذهم، فاستجاب لندائهم وذلك سنة 1516م، وتمكن بعدما هاجم حصن البنيون، أن يعلن نفسه حاكما عليها، بعد اغتيال سليم التومي، الذي ساءت العلاقة معه⁶. بذلك بدأت الجزائر تعرف تغييرات سياسية جديدة متمثلة في ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، وقيام إمارات محلية في جهات عديدة من مختلف مناطق الجزائر، كإمارتي " آل القاضي " بجبال جرجرة، وإمارة " بني عباس " بجبال البيان.⁷

وبعد أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، أصبحت منطقة القبائل مقسمة بين بايلك الشرق، وبايلك التيطري، فتارة تابعة لدار السلطان، كما هو حال مدينة دلس، ويسر.⁸ إلا أن الملاحظ على الإدارة العثمانية أنها حافظت على النظم السائدة في المنطقة، ولم تدخل أية تعديلات على الحياة السياسية، بل حافظت على الأوضاع السياسية، والتنظيمية التي كانت سائدة بها، وتعود أسباب ذلك إلى:

¹ هو أحد أحفاد القاضي أبو العباس الغبريني، الذي كان قاضي قضاة بجاية في عهد الملك الحفصي أبي البقاء الذي قتله بسبب وشاية ضده. حوله أنظر:

- ابن عسکر الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، الطبعة الحجرية، 1309، ص ص 92 - 93.

² محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صححه هوادس، مطبعة بوردين، وشركاه 1888-angers - ص 17

³ (S.A) Boulifa :op. cit. pp 140 et 150 – 153

⁴ (M) GAID : op, cit, p , 124

⁵ Haedo: op.cit, pp 10 -12

⁶ ابن خروف المرجع السابق، ص 21

⁷ ابن خروف المرجع السابق، ص 16

⁸ سعيدوني: القبائل. مرجع سابق ص: 15.

- عدم خضوع المنطقة كلية إلى السلطة المركزية، وهذا ما جعل الأمر عسير، في تدخلها لتغيير التنظيمات السياسية، والاجتماعية المحلية القائمة على القوانين العرفية.¹
- اكتفاء السلطة المركزية، بمحاولات استمالة السكان بأساليب سياسية، أولا، وهذا ما يظهر من خلال سياسة القائد العثماني بجاية بعد تحريرها، والذي لم يكن نفوذه يتعدى حدود المدينة.²
- اعتماد السلطة المركزية على مراقبة المنطقة، من خلال الأبراج العسكرية التي أسسوها بها، خاصة الحساسة منها، كبرج بوغني، وبرج منايل، وبرج سيباو، وبرج دلس، وبرج حمزة، ومجانة.³
- ومن خلال هذه الأحداث يتبين لي بأن:
- قدوم الأخوة بربروسة إلى المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة القبائل خاصة، كان تلبية لاستنجد سكانها وأعينها بهم. ولم يكن احتلالا كما تذكره بعض المراجع الغربية و التي يؤكدتها فيرو.⁴
- أوضاع المغرب الأوسط عامة، والمنطقة خاصة غير قادرة، على مواجهة التحرشات الأيبيرية، ولا حتى تأمين حالها من أي اعتداء خارجي، أو اضطراب محلي.
- السكان لم يجدوا قيادة محلية يلتفون حولها، مما جعلهم يحاولون تجنب مواجهة الأخطار الأجنبية الخارجية، التي بدأت تحوم حول البلاد عامة حسب رأي مارمول.⁵

ثالثا: السياسة العثمانية تجاه منطقة القبائل:

يرجع تاريخ الوجود العثماني في منطقة القبائل إلى سنة 1516، حيث تمكن خير الدين من أن يدخل مدينة دلس الساحلية، ويضمها إلى المنطقة التي فرض عليها سيطرته، والممتدة من هذه المدينة شرقا إلى مدينة الجزائر غربا.⁶ ومنذ هذا التاريخ بدأ العثمانيون ينظرون إلى هذه المنطقة نظرة خاصة لا من أجل ثرواتها لكونها منطقة جبلية فقيرة، وإنما لقربها من العاصمة، ولموقعها الاستراتيجي، الذي يتوسط الطريق بين بايلك الشرق، وبايلك الغرب، فاهتموا بها وعملوا على استمالة القوي السياسية والدينية المؤثرة فيها نحوهم. فتحالف خير الدين في بداية الأمر بإحدى الأسر النافذة في القبائل الغربية، والمتمثلة في الأسرة القاضوية.⁷ كما تحالفوا مع أسرة أخرى في القبائل

¹ القوانين العرفية: يعرفها أصحاب القانون بكونها: "اعتياد الناس على سلوك معين في ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية- بحيث تنشأ منه قاعدة يسود الاعتقاد بأنها ملزمة..." أنظر حولها: عبد المنعم فرج الصدة: مبادئ القانون دار النهضة العربية للطباعة والنشر لبنان، 1982، ص 88 .

² M. GAID :op ,cit , p :42.

³ (H) Aaucapitaine : « notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titerie »,in,R.A, n°9, o.p.u, ALGER, 1865, p 280.

⁴ op.cit, p 196 .

⁵ أنظر عن ذلك : المصدر السابق.

⁶ E. WATBLED « Etablissement de la domination turque en Algérie IN : R.A N° 11 Année 1873, o.p.u, p :356.

⁷ محمد الصغير فرج: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954 ، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر 2002، ص 34.

الشرقية، وهي أسرة آل عباس.¹ وهاتان الأسرتان قدمتا دعما كبيرا للأخوة بربروس في حصارهم لمدينة بجاية، كما قدموا لهم دعما آخر في توسعهم نحو الجنوب - تقرت وورقلة - بل حتى في محاولات فتح تلمسان.² غير أن هذا التحالف، لم يدم طويلا، بل سرعان ما ظهرت الخلافات الجوهرية بين الطرفين، وهي الخلافات التي أدت إلى نشوب مجموعة من الحروب، سواء مع أث القاضي بالقبائل الغربية، والتي أسفرت على مقتل سلطان أمارة كوكو " أحمد بن القاضي " عام 1527.³ أو مع أمير بني عباس، الذي وقف في وجه التوسع العثماني بناحية القبائل الشرقية.⁴ وهذا ما جعل التوسع العثماني يتوقف لمدة قصيرة من الوقت.

وفي عهد حسن بن خير الدين (951هـ/1544م - 958هـ/1551).⁵ أولى العثمانيون، من جديد، اهتماما خاصا بالمنطقة، وكان التقسيم الإداري للجزائر، قد تم في عهده.⁶ وقسمت المنطقة فيما بين بايلك الشرق وبايلك التيطري. وبدأت السلطة المركزية تعمل على إخضاع منطقة القبائل بشتى الوسائل، وفي مقدمتها إنشاء الأبراج العسكرية في المناطق السهلية، مما يوحى، وكأن السلطة كانت تهدف في سياستها التوسعية، السيطرة على الأراضي الخصبة التي تعد المورد الرئيسي لمعيشة السكان، خاصة إذ علمنا بان موقع هذه الأبراج يسمح بمراقبة حركات السكان في المنطقة، حيث تقام الأسواق الأسبوعية. وهذا ما يساعد على استخلاص الضرائب من أولئك الذين يترددون عليها. ولو أن هذه الضريبة في حد ذاتها بسيطة، ولكنها تعتبر في نظر السلطة رمزا للتبعية. وقد ترتب على التوسع العثماني في هذه المنطقة، خاصة السهلية منها، انسحاب مجموعة كبيرة من السكان إلى المناطق الجبلية، فارين من الضرائب التي تفرض عليهم. وهذا ما جعل السكان في المنطقة ينقسمون إلى:

1 - السكان الخاضعين إلى السلطة المركزية وهم الذين بقوا مستقرين في وادي يسر غربا إلى وادي سيباو شرقا، مما ساعد على تحويل هؤلاء إلى قبائل مخزنية كقبيلة عمراوة وأث قاسي.⁷

2 - السكان الممتنعون: وهم المستقرون في المناطق الجبلية سواء في جرجرة، أو فليسة، أو البيان، أو البابور. فكان لحصانة هذه القبائل من العوامل التي ساعدتهم على عدم الخضوع للسلطة المركزية، التي حاولت شن حملات عسكرية دائمة ضدها، إما لإخضاعها، أو على الأقل لإرغامها على دفع الضرائب رمزا للتبعية. وهؤلاء كانوا تابعين لسلطة أمير كوكو، أو سلطة أمير بني عباس.

¹ - M. GAID : l'ALGÉRIE SOUS LES TURCS. Edition Mimouni, 2eme Edition, Alger, 2002, p 51.

² يحي بوعزيز: ثورة 1871 (دور عائلي المقراني والحداد) ش.و.ن.ت، الجزائر، د.ت. ص 46.

³ M. GAID; op ,cit , p :51 .

⁴ Boulifa : op, cit pp 152 -153.

⁵ ابن خروف، المرجع السابق، ص 34

⁶ M. GAID op ,cit , p

⁷ فرج: المرجع السابق، ص 45 - 47.

-لقد بقي تأثير، ونفوذ أسرة بني القاضي، في القبائل الغربية عامة، وجهات جرجرة الجبلية خاصة، إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري (17م). وبعد ذلك دخل أمراء الإمارة في سلسلة من الصراعات الداخلية، مما أدى إلى انقسام الأسرة إلى قسمين.¹ فاضطر أحد القسمين إلى الانضمام والتحالف مع العثمانيين. فقد ورد في المصادر التاريخية، أن أحمد بن عمر بوختوش طلب المساعدة من العثمانيين بعد مقتل والده، وكان له ذلك إذ نقلوه إلى تونس، وبعد أن مكث بعض الوقت هناك عند أخواله، عاد إلى الجزائر على رأس فرقة عسكرية، محاولاً استرجاع عرش أبيه المقتول.² وبفضل المساعدة التي قدمها هذا الأخير إلى العثمانيين، تمكنوا من دخول عدة قرى. كما احتلوا مقر الإمارة القاضوية، فقام " أحمد بوختوش " بنقل مقر إمارته إلى أشلام الواقعة في سفح الجبل.

هذا وقد استعمل بعض حكام الجزائر، أسلوب المصاهرة مع هذه الأسرة. فتوترت العلاقات بين السكان، وأمراء المنطقة، مما أثر سلباً في بعض أعراش المنطقة، وبتخليهم عن ولائهم للإمارة القاضوية. بذلك بدأ يتراجع التأثير الذي كان لهذه الإمارة في سكان المنطقة.

كما كان لتأثير القوى الدينية كذلك، دوره في الخروج عن طاعة الأمراء، وأحسن دليل على ذلك الدور الذي لعبه سيدي منصور الجنادي، الذي حرص عرش بني جناد على عدم تلبية طلب أمير كوكو.³

وبعد أن ثبت العثمانيون مراكزهم في حوض سيباو، كان بايات التيطري يقيمون ببرج سيباو تارة، وبمدينة المدية تارة أخرى. ونتيجة لاتساع مساحة البايلك وقيام بعض الثورات والانتفاضات في ناحية سيباو، وكذلك في جنوب البايلك، كانتفاضة قبائل أولا نايل. أصبح من الصعب على الباي التحكم في أوضاع هذا البايلك، وهذا ما دفع بالحكام إلى إعادة النظر في التقسيم الإداري لبايلك التيطري، وتقرر فصل منطقة يسر، وسيباو عن بايلك التيطري، وتحويلها إلى قيادات، ثم ربطها إدارياً بالجزائر تحت قيادة أغا العرب مباشرة، وكان ذلك التقسيم في سنة 1775م.⁴

أما عن الأساليب المتبعة في إخضاع المنطقة فتتمثل في:

أ - استمالة بعض القبائل المحلية، وتحويلها إلى قبائل

مخزنية: اتبعت السلطة المركزية هذه الوسيلة، خاصة في المناطق السهلية، وأمثلة ذلك:

- استمالة قبيلة قشطولة: والتي كانت من قبائل الرعية، والواقعة في ناحية بوغني.⁵

¹ Boulifa :op.cit pp, 213-215

² - HANOTEAU ET LETOURNRUX : op., cit. T2 pp : 4 -5

³ رسالة الشيخ سيدي منصور الجنادي أنظر - Boulifa , op.cit pp 410

⁴ (M) guin: "Guechtoula, guerre entre cheikh Gacem et son fils Ramadan" , in R.A, N° 5, Année:1861, o.p.u, Alger, p 308

⁵ (M) guin: " notes historiques sur les Nezlioua, cercle de DRA EL MIZAN", in, R.A , N° 6 , Année, 1862, p 424.

- استمالة قبيلة نزيوية: القاطنة في أعالي وادي يسر، وهي القبيلة التي كانت تشكل مع رجال قشطولة فرق الصبايحية، والتي وضعت تحت تصرف قيادة بوغني المشرفة على القبائل التالية: قشطولة، و بني صدقة، و بني عبد المؤمن، وقسم من معاتقة.¹

وباستمالة هاتين القبيلتين، تمكن العثمانيون من فتح الطريق السلطاني الذي يربط مدينة الجزائر بقسنطينة مروراً بجسر بني هني.²

- استمالة قبيلة عمرواة: والتي كانت تقيم في أعالي وادي سيباو، وقد تمكن العثمانيون من استمالتها، وأصبحت تشرف على سهل سيباو، إلى الغرب من تيزي وزو. هذا وقد استعان العثمانيون في إحلال الأمن بهذه الناحية بجلب فرق العبيد، الذين كانوا في عين الزاوية، بالقرب من برج بوغني إلى برج سيباو. وعرف عدد فرق الزمالة ارتفاعاً ملحوظاً في عهد الباي محمد (1746 - 1754).³ خاصة بعد أن أسسوا مستوطنة لهم بعبيد شمالاً، فأسندت لهم مهمة حماية الطريق الرئيسي الذي يسلكه الجيش العثماني، من برج تيزي وزو، إلى جمعة الصهاريج مروراً بمقلع.⁴

ب - الاستعانة بالقوى الدينية: لم تتوقف الأساليب المتبعة في إخضاع المنطقة على أسلوب واحد. بل تعدى ذلك إلى الاستعانة ببعض المرابطين، والشخصيات التي لها تأثير في المنطقة، مقابل منحهم بعض الامتيازات، مثل بناء المساجد، ومنحهم الهبات، والأراضي الزراعية لزواياهم.⁵ بالإضافة إلى تكليف بعض من أفراد هذه القوى بجمع الضرائب والغرامات من قبائلهم. وقد كانت هذه الظاهرة أكثر انتشاراً في حوض وادي الساحل (الصومام) التي يظهر فيها تأثير القوى الدينية واسعاً.⁶

وهذا الأمر هو الذي جعل الحكام يستعينون ببعض القوى المحلية المؤثرة، كأولاد أورابح وابن علي الشريف، وأولاد مقران.⁷ وبواسطتهم تمكنوا من استمالة المنطقة.

ولقد انتبه العثمانيون منذ البداية إلى الدور الذي يلعبه المرابطون خاصة، والقوى الدينية عامة في المنطقة. مما جعلهم يحاولون التقرب إليهم، ونيل ودهم وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها.⁸ وذلك من أجل استمالة هذه القوى بمنطقة القبائل، والتي أصبحت سندا قويا ومعينا لهم في

¹ (J.N) Robin, " le Bey mohemed ", in R.A, N° 17, o.p.u, Alger, 1873 , p 267.

² (A) Berbrugger : Les époques militaires de la grande Kabylie , bastide libraire- éditeur Alger, 1857,p 125.

³ الباي محمد (1746- 1754) : هو محمد بن علي، الملقب بالسفاح: يعتبر من القادة المشاهير الذين تعاقبوا على برج سيباو، ولد بالبليدة في بداية القرن الثامن عشر وتعلم بزاوية آيت عمار بعدني، وهي قرية من قرى بني إيراشن. وقدم تم تعيينه قائداً على سيباو في 1737 خلفاً لعمه حسين بن عثمان خوجة. انظر حوله: محمد الصغير فرج : المرجع السابق ص 40 -41.

⁴TAUXIER : " une expédition des turcs contre les flissa" in R.A N° 19, o.p.u, Alger, Année 1875, p 335.

⁵ أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2005-2006، ص 187..

⁶ (J.N) Robin : op p 205.

⁷ (ch) feraud : « notes sur bougie»,op.cit, p 299.

المرور بالمنطقة. حيث تذهب بعض المصادر التاريخية إلى القول بان: " الدولة العثمانية لا تستطيع المرور بجبال البيان، وجرجرة دون أخذ ضمانات، وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة. أمثال الشيخ مولود من بني يجر، وشيوخ شلاطة في إيلولة.¹

ج - الحملات العسكرية: من الوسائل التي استعملها الحكام العثمانيون، في إخضاع منطقة القبائل شن الحملات العسكرية، ففي القبائل الغربية شنت السلطة المركزية مجموعة من الحملات العسكرية على مختلف قبائل الناحية ومن أهمها:

1 - حملة الباي محمد بن علي على المنطقة: تعتبر من أشد الحملات العسكرية، التي شنّها العثمانيون على منطقة القبائل، وذلك سنة 1167هـ/1754-53،² والتي قادها الباي محمد الذي عرف بالذباح، والذي حقق مجموعة من الانتصارات على قبائل ذراع الميزان، وبني دواله، وبني واقنون، غير أنه انهزم عندما تقدم نحو المنطقة الجبلية، محاولاً إخضاع بني ايراثن، ف وقعت معركة بين الطرفين أسفرت عن مقتل الباي محمد.³ وبذلك توقف التوسع العثماني في المنطقة، ولم يتمكنوا من مد نفوذهم نحو القبائل المتحصنة في جبال جرجرة.⁴

2 - الحملات التي شنتها على قبائل " فليسة " وذلك نتيجة موقعها، الذي يعتبر بمثابة جبهة أمامية لقبائل الزواوة الغربية عامة، وأهم الحملات التي وجهتها السلطة المركزية إلى هذه القبائل حملة 1767 التي وقعت في عهد الداوي محمد بن عثمان (1766 - 1791). وقد تم تجنيد حوالي إحدى عشر ألف محارب بقيادة الآغا، إلا أن الحملة منيت بالفشل، وفي السنة الموالية (1768) جهز الداوي حملة ثانية، وأسند قيادتها إلى باي قسنطينة بمساعدة باي التيطري، ولكنها فشلت مثل سابقتها، وقد قدر عدد قتلى هذه الحملة حوالي 1200 قتيل في الجيش العثماني، وحوالي ثلاثة آلاف (3000) قتيل في صفوف أهالي المنطقة.⁵

وكانت هاتين الهزيمتين، من العوامل التي ساعدت على ظهور حركات تمردية أخرى، في المنطقة، خاصة تلك التي تجددت في عهد الداوي أحمد (1805-1808)، حيث استغلت قبائل فليسة، انشغال الداوي بتجهيز حملة عسكرية لغزو تونس. فأعلنت القبيلة الحرب على الداوي، ولكنه تمكن من استمالتها إلى صفة ولو لمدة قصيرة، حيث ثارت مرة أخرى سنة 1814.⁶ ولكنه توصل بعد فترة إلى إبرام معاهدة سلم مع القبيلة، والتي تنص على

¹ FERAUD Ch, Exploitation des forets de la Krasta dans la Kabylie orientale sous la domination turque IN , R.A, N° 13, o.p.u, Alger, Année 1869, p 36 .

² Robin, op.cit, p 141.

³ (H) Aucapitaine : « une expéditions turque aux beni – rathen » IN :R.A N° 20, o.p.u, Alger, Année 1876 p48.

⁴ Robin : la grande Kabylie sous le régime turc, presentation et notes de Alain Mahé, Edition Bouchene, Paris, 1998, p 69.

⁵ (v) De paradis : op.cit, p, 229.

⁶ (j.n) Robin : Notes sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie, in, R.A N° 17, o.p.u, Alger, Année 1873 p 140.

إعفاء قبائل فليسة من الضرائب، بل يكتفون بدفع مبلغ رمزي للسلطة المركزية، وهي المعاهدة التي لم تكن لصالح أهالي قبائل فليسة. إذ بمجرد أن انتهى الصراع الخارجي، عرفت قبائل فليسة صراعات، وفتن داخلية، وكان ذلك بطبيعة الحال لصالح العثمانيين، الذين كانوا يساندون صفا ضد صف آخر¹. وبعد هذا الانتصار الذي حققه عرش بني ايراثن. توجه زعيمهم الروحي المرابط (الشيخ أعراب) إلى دار السلطان، فوعد الداوي، بأن قبائل بني ايراثن لن تقوم من هنا فصاعدا، بالإغارة على القوات العثمانية المرابطة في سهل سيباو، وأسواقه، ومقلع، وتامدة، وجمعة الصهاريج. وطلب في المقابل من الداوي أن يرفع على قبيلته الضرائب، وأن لا تقوم القبائل المخزنية المتمركزة في الجهة بمضايقة أهل القبيلة، الذين يمارسون الفلاحة في سهل سيباو، وكذا الذين يترددون على الأسواق الواقعة في الجهات السهلية، كسوق سبت علي خوجة بضواحي تيزي وزو. فوافق الداوي على هذه الشروط، وعين على قيادة سيباو " مصطفى صفطة " قائدا عليها، مما جعل المنطقة تشهد تحسنا في علاقتها بالسلطة المركزية، لم تعرفها من قبل. وظلت هذه العلاقات الحسنة بين الطرفين، حتى تعرضت الجزائر إلى الغزو الفرنسي، فشارك السكان إلى جانب الداوي حسين في صد الهجوم، ومقاومة الاحتلال². وهذه هي الأوضاع السياسية التي عاشتها القبائل الغربية، خلال هذه الفترة، منذ دخول العثمانيين إلى الجزائر سنة 1516 إلى غاية الاحتلال الفرنسي في 1830.

أما القبائل الشرقية، والذين كانت معظم جهات المنطقة تحت حكم إمارة بني عباس في القلعة، فإنها لا تختلف كثيرا في علاقتها مع السلطة المركزية. وهي العلاقات التي يمكن تقسيمها إلى فترتين متباينتين هما:

1 - الفترة الأولى: وهي الفترة التي تميزت بتحالف أمير بني عباس، والإخوة بربروس، وذلك منذ محاولة عروج الأولى لتحرير مدينة بجاية من الاسبان³ إلى غاية عودة الأمير عبد العزيز، وصالح ريس (959 - 963 هـ / 1552-1556م) من حملتها على تقرت، وورقلة سنة 1552م.

وتميزت هذه الفترة بما يلي :

- التحالف بين خير الدين، وأمير بني عباس: يبدو بأن هذا التحالف، بدأ منذ ظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وذلك بفعل وجود خطر مشترك يهدد المنطقة الغربية، من العالم الإسلامي عامة، والذي يتمثل في الخطر الصليبي بعد سقوط آخر دولة إسلامية في الأندلس سنة 1492. و هم الاسبان .

كما أن العلاقات المضطربة بين خير الدين، وابن القاضي، جعلت الأول يتقرب إلى أمير بني عباس، بعد أن ثار ابن القاضي عليه سنة 926 هـ / 1520م.⁴ استغل الأتراك العثمانيون، الصراع بين الإماراتين، فتقربوا إلى بني عباس،

¹ Robin : op,cit p 141.

² Rozet et Carette, op.cit, p 11.

³ عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 45.

⁴ E. Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, T 03, Paris, 1891, p 28.

واستمالوا أميرها إليهم، وبذلك اتجهوا إلى القضاء على ابن القاضي الذي ينافسهم الحكم.¹ واستطاعوا بفضل هذا التحالف القضاء عليه سنة 934هـ/ 1527م، وهو الذي كان حليفا لهم في بداية تواجد العثمانيين بالجزائر.² بل أكثر من ذلك فقد أسند خير الدين إليه حكم القبائل الشرقية.³ غير أن سلطان تونس قد تمكن من استمالاته إليه، وتأليبته ضد خير الدين.⁴ مما جعل العلاقة بينهما تتوتر، و تتحول إلى عدااء بين الطرفين.

- مشاركة أمير بني عباس إلى جانب حسن بن خير الدين خلال ولايته الأولى (951هـ/ 1544 - 1551م) في حملته على تلمسان سنة 957هـ / 1550م.⁵ وهي الحملة التي تكمن فيها الجيش العثماني، المدعم من طرف جيش بني عباس، من تحقيق أمور عظيمة في هذه الحملة،⁶ والقضاء على بقايا الحكام الزيانيين فيها، و ذلك سنة 1551م.⁷

- الوقوف إلى جانب صالح راييس (959 - 963هـ / 1552 - 1556م).⁸ الذي عرف ما للأمير عبد العزيز من قوة، ونفوذ، فعمل على ربط الصلة به، وأشركه في حملته على تقرت وورقلة سنة 1552م. وحسب مارمول⁹ فإن الأتراك، لو لا مساعدة الأمير عبد العزيز لهم، لما استطاعوا أن يقوموا بهذه الحملة.⁹

ولما تمكن صالح راييس، أن يفرض على سكان تقرت وورقلة ضريبة، ظلوا يدفعونها للخزينة خوفا من بطش الأتراك بهم.¹⁰ كما أن هذه الحملة قد عادت بغنائم كثيرة، ذكرها عزيز سامح أتر، والتي أعتقد أنه بالغ فيها،¹¹ غير أنها كانت، على ما يبدو، سببا لبداية الاختلاف بين الأمير عبد العزيز، وصالح راييس .

2 - الفترة الثانية: وهي الفترة التي تلت مشاركة صالح راييس في توسعه، نحو الجنوب ، وقد استمرت إلى غاية ضعف الإمارة وانقسامها على نفسها إلى عدة فروع . و اتسمت هذه الفترة، بفسخ التحالف الذي كان قائما بين الطرفين، والذي تعود أسبابه إلى:

- أن الأمير عبد العزيز لم يرض بما ناله من الغنيمة التي عاد بها من الجنوب.
- الدسيسة، والوشاية التي أوشى بها حسن قورصو إلى صالح راييس بعد مشاركته في غزو تلمسان.¹³

¹ شويتام، مرجع سابق، ص 175.

² مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، رودسي قدور، الجزائر، 1934، ص 60.

³ نفسه، ص 44.

⁴ نفسه، ص 50.

⁵ يحي بوعزيز، ثورة 1871، مرجع سابق، ص 46.

⁶ مارمول، المصدر السابق، ج 02، ص 386.

⁷ ابن خروف، مرجع سابق، ص 36.

⁸ نفسه، ص 100.

⁹ مصدر سابق، ص 386.

¹⁰ - Haedo, op.cit, pp 86-87.

- Feraud, " Les Beni Djelab", in R.A, N°23, o.p.u, Alger, 1879, pp 269-270.

¹¹ المرجع السابق، ص 185.

¹² نفسه، ص 185، وكذلك سعيدوني، القبائل، المرجع السابق، ص 14.

¹³ مارمول، المصدر السابق، ج 02، ص 426-425.

غير أنه، لا يمكن أن أعتبر هذين السببين كافيين لسوء العلاقات بين الطرفين، وإنما أعتقد بأن دواعي هذا التوتر في العلاقات يعود إلى:

- نهاية المعارضة القاضوية للعثمانيين، بعد مقتل أحمد بن القاضي، الذي كان يشكل حدثها.

كما أن تراجع التهديد الإسباني للسواحل الجزائرية تهديدا لخير الدين في منطقة القبائل، وبذلك أصبحت دواعي التحالف المحلية قد تراجعت عامة، قد يكون من الأسباب المساعدة على توتر العلاقات بين الطرفين خاصة وأن صالح ريس كان يرى، بأنه لا يمكن أن يستتب له الأمن في الجزائر، مع بقاء الإمارات المحلية ولذا رأى من الضرورة إخضاع هذه الإمارات كلها إلى سلطته بالجزائر، وهذا ما جعله يغير علاقته بإمارة بني عباس.¹ لكونه قد تمكن من تأمين الحدود الغربية، بعد القضاء على الزيانيين بتلمسان، وعمل على إضعاف آل القاضي بجرجرة. كما تمكن من وضع يده على الطريق التجاري الرابط بين ورقلة، وبلاد السودان الغربي، بعد إخضاع ورقلة.²

وبعد ما حقق أهدافه بقيت تواجهه إمارة بني عباس، فعمل على إخضاعها ولو باستخدام القوة العسكرية. وجرى عليها حملة عسكرية، لم يتمكن من إخضاعها، بعد أن انهزمت قواته في جبل بوني³. فقتل في هذه الحملة عددا كبيرا من جنود صالح ريس، كما قتل أخ الأمير عبد العزيز (سيدي فضال)⁴. مع جمع من قواته، وأتباعه. وبذلك دخلت الإمارة مرحلة من الصراع مع السلطة المركزية. فتوالى الحملات عليها من أجل إخضاعها بقيادة محمد بن صالح ريس، ثم حملة أخرى بقيادة سنان ريس، وأخرى بقيادة حسن بن خير الدين، في ولايته الثانية (1557-1561). لكن شدة المقاومة، ومناعة المنطقة، اضطرت حكام الجزائر بالتسليم بسلطة آل مقران أمراء القلعة. وبنفوذ عائلة آل القاضي على المناطق الجبلية من بلاد القبائل بعيدا عن مجال الحكم العثماني المباشر بحوض سيباو ونواحي بجاية⁵. أما هايدو (Haëdo) فذهب إلى القول إن "حسن بن خير الدين إعترف بأمير بني عباس أميرا تابعا دون أن يكون مجبرا على دفع الضرائب، بل أنه أقام تحالفا دفاعيا معه"⁶. وهو الأمر الذي يؤكد ذلك بوليفة (BOULIFA) من خلال قوله بأن: "الأمير عبد العزيز جهز حوالي اثني عشر ألف رجل ليشارك بهم مع حسن ابن خير الدين في محاولة استرجاع وهران من الاسبان سنة 1563"⁷.

وظلت العلاقات بين الطرفين على هذه الحالة، رغم تحرير بجاية من الاسبان في 13 ذي القعدة 962هـ/28 سبتمبر 1555.⁸ إلا أن استمرار أمراء

¹ _ Boulifa: op. cit. pp:152.153

² ابن خروف: المرجع السابق، ص 101.

³ - جبل بوني: يقع بالقرب من قلعة بني عباس، ضمن سلسلة جبال البيان، ويتميز بكثافة غاباته، وصعوبة تضاريسه.

⁴ مارمول: المصدر السابق، ج 2، ص 387.

⁵ - سعيدوني: القبائل، مرجع سابق، ص 15.

⁶ _ OP.CIT; P;120.

⁷ - OP,CIT,P,P160_163. et: PP278_279.

⁸ -Haëdo, op, cit;PP,92.95.

بني عباس في الاتصال بالإسبان، ومحاولة التعاون معهم ضد العثمانيين، جعلت "خضر باشا" بعد تعيينه حاكماً على الجزائر فيما بين (1589-1592)، يعمل على إنهاء تهديداتهم، وسيطرتهم على الطريق السلطاني الرابط بين بايلك الشرق، ودار السلطان، وكذا سيطرتهم على سهل مجانة. فجهز حملة على الإمارة سنة 999هـ/1590م، وفرض الحصار على القلعة مدة شهرين، وتمكن في الأخير من فرض هدنة معهم، والتوقيع على صلح بينهم ينص على قبول آل بني عباس بدفع ضريبة للسلطة المركزية قدرها مائة وخمسون ألف فرنك.¹ وبعد ذلك تمكن الأتراك من التدخل في شؤون الإمارة الداخلية، وضربوا صفا بصف، فتعرضت الإمارة إلى التفكك.²

ومن خلال هذا يظهر بأن منطقة القبائل المتميزة بتكوينها الجغرافي، وطبيعة تضاريسها، التي تظهر بأن سكانها حافظوا على الإرث الحضاري للمنطقة، وذلك نتيجة انغلاقها، وصعوبة الحياة فيها، قد انعكس كل ذلك على جوانب الحياة بها .

كما أن طبيعة السكان، وتشبثهم بالأرض، ورفضهم للسلطة السياسية الأجنبية، من العوامل التي ساعدت على صعوبة إخضاع المنطقة للسلطة المركزية، رغم الأساليب المتبعة من قبل الأتراك العثمانيين في جعلها تحت سلطتهم السياسية. إلا أن المنطقة لم تتمكن من تشكيل قوة سياسية موحدة، بفعل الصراع الداخلي، بين الزعامات المحلية من جهة، وكذلك سياسة الحكام القائمة على تأييد صف على صف آخر. وهو الأمر الذي حال دون الوصول إلى تشكيل حكم محلي موحد بالمنطقة.

¹ -IBDEM, pp:213-217. et - MERCIER: op.cit t3,p,p 161_167.

²- MERCIER: " LE BACHAGA MOKRANI et les causes de l' insurrection de 1871", extrait du bulletin de la réunion Algérienne,Paris, Beaugecey,imp. J.LAFFARY 19, Août, 1900, pp,11-14.

الفصل الثاني:

القوى الدينية في منطقة القبائل بين القرن 10 إلى القرن 13 هـ/ 16-19م

المبحث الأول: لمحة حول التصوف والقوى الدينية في المنطقة:

أولاً: مفهوم القوى الدينية والتصوف.

ثانياً: انتشار التصوف وتطوره

ثالثاً: أنواع الطرق الصوفية في المنطقة:

رابعاً: دخول التصوف إلى المغرب الأوسط عامة والمنطقة خاصة.

المبحث الثاني: أسباب دخول التصوف إلى المنطقة

أ- أسباب سياسية.

ب- أسباب اجتماعية.

ج- طبيعة القوى الدينية ونشاطها

المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية في المنطقة.

01- الطريقة القادرية.

02- الطريقة الشاذلية.

03- الطريقة الرحمانية.

04- الطرق الأخرى.

الفصل الثاني: القوى الدينية في منطقة القبائل بين القرن 10-13 هـ (16-19م)

المبحث الأول : لمحة حول القوى الدينية والتصوف في

المنطقة :

عرفت منطقة القبائل دخول الإسلام إليها في القرن الأول الهجري، غير أن الأحداث التي عرفها العالم الإسلامي عامة، ومغربه خاصة. جعلت القوى الدينية تلعب دورا كبيرا في حياة الشعوب الإسلامية. وفي فترة تراجع القوة المغاربية خاصة بعد سقوط الموحدين، عاشت المنطقة بروز قوى دينية متمثلة في المتصوفين، الذين حلوا بالمنطقة، سواء قدموا إليها من المغرب في اتجاه المشرق، أو عكس ذلك.

أولا : مفهوم القوى الدينية والتصوف:

قد عرفت المنطقة منذ بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي توافدا لعدد من العلماء والأولياء والمرابطين الذين قدموا من المغرب الأقصى، واستقروا بالمنطقة. غير أن انعزال هؤلاء في المناطق الجبلية، والمناطق الداخلية، وابتعادهم عن ملاذ الدنيا، والزهد فيها، جعلت السكان يعدونهم من المتصوفين لما يتصفون به من علامات التصوف، لان العالم الذي يختار العزلة ويكتفي بالقليل من انعم الحياة واهبا نفسه لخدمة العلم، والتعليم، والإرشاد، فهو لا يختلف عن ذلك الصوفي الزاهد في الدنيا.

ولهذا أرى بان القوى الدينية في المنطقة تمثل المتصوفين والمرابطين والزاهدين في الحياة، الذين فضلوا الآخرة عن الدنيا، ولذا فإن هذه القوى يمكن جمعها في المتصوفين بالدرجة الأولى. ومن خلال هذا أرى من الضروري قبل كل شيء البدء بتعريف التصوف كظاهرة دينية وثقافية، وكذا انتشار هذه الفئة، التي تمثل أهم القوى الدينية في المنطقة، وأهم المراحل التي مرت بها، وكذا معظم القوى الصوفية الفاعلة في المنطقة خلال فترة البحث.

- **مفهوم التصوف:** قد اختلف العلماء في تفسير مصطلح التصوف. فمنهم من يعيد أصوله إلى بيئة غير عربية، ومنهم من يرى بان أصل الكلمة عربي يرتبط بالرسالة المحمدية.¹

وهذا الاختلاف لا يقتصر على الجانب اللغوي، بل يتعداه إلى اختلاف المتصوفين أنفسهم حول اشتقاق الكلمة، ومدلولها، فالهجويري.² يرى بان

¹ حول تعريف التصوف أنظر:

- علي بن عثمان بن أبي علي الغزنوي (الهجويري): كشف المحجوب، دراسة و تحقيق و ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1980، ص: 708.
- إبراهيم بسيوني: نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف المصرية، مصر، 1969، ص: 09.
- ابن خلدون: المصدر السابق، ص: 244.
- دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت ألفندي و آخرون، المجلد الخامس، ص 266-265.
- أسعد السحمراني: التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص: 21...13

- EVELYNE YAMINA GOUBA: soufisme et psychanalyse, préface: MOHAMED LAHLOU, l'interdisciplinaire, Lyon Limonest, 2004, pp: 16-19.

² الهجويري: هو علي بن عثمان بن أبي علي الغزنوي، متصوف يكنى بأبي الحسن، توفي سنة (465 / 1073م) وهو من أصل فارسي. أنظر:

الاشتقاق اللغوي لكلمة تصوف غير ممكن، باعتبارها اسما جامدا غير مشتق.¹ أما ابن تيمية فرفض الاشتقاق اللغوي للكلمة، لكنه يميل إلى نسب التصوف إلى لبس الصوف.² وهو الرأي نفسه الذي مال إليه ابن خلدون.³ وبالرغم من تضارب الآراء حول مفهوم الكلمة، إلا أن المتصوفين يرتضون بهذه الكلمة لكونها لا تنقص من شأنهم.⁴ ولا تدم أحوالهم.⁵ وهناك تعاريف كثيرة لكلمة التصوف أغلبها يجمع على أنها: « حالة وجدانية خاصة

يصعب التعبير عنها بألفاظ اللغة ». ⁶

واستعرض فيما يلي بعض التعاريف، التي لها علاقة بالفترة المدروسة: فالشيخ زروق عرف التصوف بقوله: « إن نسبة التصوف في الدين، نسبة الروح من الجسد، وإن هذا العلم لا يؤخذ من الأوراق، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق. ولا ينال بالقليل والقال. وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال. وكما قالوا: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ». ⁷ فهذا التعريف يبين طبيعة العلاقة بين المتصوف والخالق سبحانه. فالشيخ أحمد زروق البرنوسي عرف التصوف- في نهاية القرن التاسع الهجري/ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي- بكونه عبارة عن: « تمرين النفس لإثبات حسن الأخلاق ودفع سببها ». ⁸ فمن خلال هذا التعريف، يعتبر التصوف بمثابة طريقة سلوكية أساسها التقشف والزهد و ترك ملاذ الدنيا، وبذلك يحصل التعلق بالإله الأعلى.

بينما نجد شرحا اصطلاحيا للكلمة من أحد متصوفي المنطقة، ومقدمي الطريقة الرحمانية، الذي يرى بأن: « الاعتقاد أصل كل خير، والانتقاد أصل كل شر ». وهو الذي يرى بأن التصوف: « مبني على التسليم والتصديق ». ⁹ فالتصوف في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، يعتمد على الابتعاد عن ملاذ الدنيا، والتعلق بالإله الأعلى، معتمدا على صيغة: (التخلي و التحلي) ، وذلك تجنباً للفساد المنتشر بفعل الترف الذي انتشر بين

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين. جمعه و أخرجه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1411/ 1993 م. ج 2، ص 475.

¹ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق و إعداد معروف رزق، و علي عبد الحميد أبو الخير، ط2، دار الجيل للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، بيروت، 1995، ص: 279.

² الفتاوى: مكتبة ابن تيمية، ط3، 1403 هجري، ج11، ص: 6.

³ المصدر السابق، ص: 244.

⁴ P.j Andre: contributions a l'étud des confréries religieuses musulmanes, préface Soustelle, la maison des livres, Alger, 1956, p: 35.

⁵ ساعد حميسي: حول حقيقة التصوف، في: محلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. ع12، رجب 1423، سبتمبر 2002، دار البعث، الجزائر، ص: 77_78.

⁶ عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف و الباراسايكولوجيا، مقدمة أولى في الكرامات الصوفية، و الظواهر النفسية الفائقة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الأردن، 1994، ص: 19.

⁷ الشيخ محمد السيد عبد الكريم الكسنزاني: التصوف الأنوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، مكتبة مدبولي، مصر، 1990، ص: 21.

⁸ كتاب القواعد: مخ. ب: م.و.ج، رقمه: 2230، ورقة: 16 وجه.

⁹ محمد أمزيان بن الحداد: كتاب التصوف، مخ ب: مكتبة الشيخ محمد الشريف بن الشيخ، بجاية، غير مطبوع، ص: 8.

المسلمين. أما في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فإن الأوضاع التي أصبح يعيش فيها العالم الإسلامي عامة ومغربه خاصة، جعلت الفقهاء و العلماء يعتمدون على إتباع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ قال: **(خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء: حسن الظن بالله تعالى وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء: سوء الظن بالله تعالى، وسوء الظن بعباد الله).**¹ و بذلك طبقوا على أنفسهم القول المعروف: اعتقد و لا تنتقد.² فالتصوف في نظر المتأخرين لا يعتبر بدعة دينية مستقلة، ولا نمطا فلسفيا.³ لكون مبادئه لم يبق منها إلا الاسم، إذ تراجعت العناصر الأساسية للتصوف، وتحول إلى اسم دون ممارسة، وهذا ما جعل بعضهم يرى بأن الزمن الذي وصفه المصطفى صلى الله عليه و سلم قد أدركنا. "حيث لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و لا من القرآن إلا رسمه."⁴ لأن التصوف في بداية أمره، كان عبارة عن ممارسة وحقيقة، دون أن يتخذ له اسم معين في الغالب، وبفعل انحراف معظم الطرق الصوفية عن أصلها، و هذا ما جعلها تفقد خصوصياتها الروحية في هذه الفترة. أي ما بين القرن العاشر والثالث عشر هجري/ السادس عشر و التاسع عشر ميلادي. بينما صارت في العهد العثماني عبارة عن اسم دون ممارسة وحقيقة، فقدت خصوصياتها الروحية في هذه الفترة. أي ما بين القرن العاشر والثالث عشر هجري/ السادس عشر و التاسع عشر ميلادي، بفعل انحراف معظم الطرق الصوفية عن أصلها⁵

وعلى العموم فإن خلاصة تعاريف ومفاهيم التصوف قبيل القرن 10هـ/ 15م، كانت تصب في كونها أخلاقا تقتدي بالشرع في ظاهرها.⁶ و تهدف إلى صفاء باطن المتصف بها من أجل بلوغ الحقائق. فسمي المتصوفون بأهل الباطن. وكانت العلوم التي تبحث في هذا الجانب تعرف بعلوم الباطن، و العلوم التي تقابلها تعرف بعلوم الظاهر.⁷ وحتى أضع هذا الموضوع في سياقه التاريخي، يستلزم عليّ البحث في نشأة التصوف عامة، و متى دخل إلى المغرب الأوسط، ومنطقة القبائل خاصة. بالإضافة إلى الميزات التي ميزت مراحلها بالمنطقة.

ثانيا: انتشار التصوف و تطوره:

¹ نفسه، ص: 09

² _ نفسه، ص: 8.

³ - (L) RINN: MARABOUTS et KHOUAN Etude sur l'islam en Algérie, Adolph, Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1884, p: 25.

⁴ حديث شريف نصه: "عن علي بن أبي طالب (ض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه. ولا يبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم أشر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود. أخرجه البيهقي في: شعب الإيمان، ج4، ص423

⁵ حميدة عميراي: الطرق الصوفية والسياسية في: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، السنة الأولى، العدد الأول، الجزائر، جمادى الأولى 1419، سبتمبر 1998، ص: 211.

⁶ خميسي: المرجع السابق، ص: 79.

⁷ نفسه، ص: 79.

ظهر التصوف في بداية الأمر بشبه الجزيرة العربية، لكونه يرتبط بالزهد في الحياة، وكون الزاهد في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد. يظهر في ذلك المتعبد الورع الذي يسعى لإرضاء المولى تبارك وتعالى في دار الآخرة.¹ فهو عبارة عن علاقة تربط بين العبد وخالقه.² وبعد ذلك عرفت ظاهرة الزهد انتشاراً بين المسلمين، وتوسعت وانتشرت هذه الفكرة، حتى تحولت إلى ما يعرف بالتصوف السني.³ وخاصة عندما انتشر الاهتمام بالدنيا، حيث يقول ابن خلدون: «و لما فشى على الدنيا في القرن الثاني، و ما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة».⁴ وبهذا يظهر السبب في انتشار التصوف، وازدياد الإقبال عليه.

كما كان لاتساع الدولة الإسلامية، واحتكاك العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى، الأثر الواضح في تغير أساليب الحياة. فانتشر البذخ، والترف من جهة. واتسع الصراع بين الطوائف الدينية، والفرق الإسلامية من جهة أخرى، فكان لاختلاف الناس، وتباين المراتب، « وفشا الميل عن الجادة والخروج عن الاستقامة، ونسي الناس أعمال القلوب وأغفلوها، وأقبل الجم الغفير على إصلاح الأعمال البدنية والعناية بالمراسيم الدينية، من غير التفاف إلى الباطن، ولا اهتمام بصلاحه... ثم طرقت آفة البدع... هذا معتزلي ورفضي وخارجي... فانفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب المقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة، والظاهرة وسموها بالصوفية».⁵ فكان لخصال المتصوفين الدور الكبير في تزايد عدد الأتباع، في كل مناطق العالم الإسلامي. فكان السعي إلى تنظيم هؤلاء الأتباع، من الأمور الضرورية، خاصة وأنها تتصف بصفات عقائدية وتنظيمية مختلفة عن بعضها البعض. فكان ذلك بمثابة البداية الحقيقية لظهور الطرق الصوفية.⁶

كما ساعد الاضطراب الذي عرفته الدولة الإسلامية بعد عصر الخلفاء على انتشار التصوف، وظهور فئة من المتصوفين الذين ادعوا انتسابهم إلى الأشراف.⁷ فبدأ تقديس الأولياء.⁸ وبدأ التصوف ينحرف عن التعاليم الإسلامية الصحيحة، وهذا ما فتح المجال لظهور صراع قوي بين المتصوفين

¹ ألفرد بل:، ص 371، 372.

² أحمد زروق البرنوسي: الكناش، م.م.و.ج، رقم 581، ورقة 94.

³ Louis Massignon (TARIKA) in: *encyclopédie de l'islam*, t6, (s.z), layd, librairie et Imprimerie, C. KSSIEK, Paris, 1934,p:700.

وعن نشأة لتصوف وتطوره انظر / آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد الهادي أبو ريدة، 02 ج، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ج 02، ص 468.

⁴ المصدر السابق، ص: 244.

⁵ عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل في تهذيب المسائل. نشره وعلق عليه الأب: أغناطيوس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 2002، ص: 51.

⁶ صلاح المؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر- تاريخها ونشأتها، دار البرق، لبنان، 2002، ص: 51.

⁷ عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط4، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، 1993، ص: 51.

⁸ A. BEL: L'Islam mystique, Jules CARBONAL, imprimeur éditeur, Alger, 1928, p14.

والفقهاء، وهو الصراع الذي ترك أثره في الحياة الفكرية. ¹ وأدى إلى انقسام التصوف إلى قسمين هما:

أ- التصوف السني: الذي سار مقتديا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والاهتمام بالعبادة، والزهد في الدنيا. ² فهذا النوع من التصوف قد عرف انتشارا واسعا بين الفئات المثقفة من السلف الصالح. الذي استمد إلهاماته من الكتاب، والسنة النبوية الشريفة. ³

ب- التصوف الفلسفي: وهو التصوف الذي أصبح أتباعه يعتمدون في وصف أحوالهم على الاستبطان، وعلى لغة الإشارة دون لغة العبارة، وعلى التلميح دون التصريح. ⁴ وهذه الظاهرة هي التي أدخلت التصوف في مناظرات فلسفية، حولته إلى علم قائم بذاته.

ثالثا: أنواع الطرق الصوفية:

إن الطرق الصوفية من حيث طبيعتها تنقسم إلى:

01- الطرق الصوفية الخلواتية: وهي الطرق التي يدعي شيوخها

معرفة أسرار الغيب الدينية، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يدعون بالمريدين، أو الفقراء أو الإخوان. ⁵ وتفرض عليهم أذكار تدعى (الورد) ، الذي يتلونه يوميا فرادى أو جماعات، وفي أوقات معينة.

وهذه الظاهرة، هي التي جعلت شيوخ هذه الطرق يعرفون بالطرقين. لأن كل واحد منهم له طريقة خاصة ذات تقاليد ، وأشكال، وأوراد معينة. يفرضها على أتباعه من المريدين والإخوان والفقراء. ومثال ذلك ذكر الاسم الأعظم (الله) في الخلوات الخاصة والحضرات الجماعية عند الرحمانيين. ⁶

02- الطرق غير الخلواتية: وهي التي لا يدعي شيوخها معرفة أسرار

دينية معينة ، ولكن يتخذون لأتباعهم ورادا معينة من الأذكار، والصلوات يتلونها عقب كل صلاة. ويتصدون لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية ، وتفرض على أتباع هؤلاء المشايخ، بعض الأذكار الخاصة والتي تعرف (الهيللة).

ومن هنا يمكن اعتبار هذا النوع من الطرق بغير الخلواتية، وهي بمثابة كتاب قرآنية يعبر عنها بالمعمرات في المنطقة. ⁷

رابعا: دخول التصوف إلى المغرب الأوسط عامة والمنطقة

خاصة:

¹ العقبى: المرجع السابق، ص: 53.

² الغبريني: المرجع السابق، ص: 19.

³ الكسنزاني: المرجع السابق، ص: 20.

⁴ الراوي: المرجع السابق، ص: 19.

⁵ Depont octave et Coppolani xavier: Les Confréries Religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie Adolphe Jourdan , Alger, pp 193 etc.

⁶ يحي بوعزيز، " أوضاع الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 م " في، جريدة الشعب اليومية، ع 7661، 13 06 1988م.

⁷ بوعزيز، نفسه.

تعتبر الظاهرة الصوفية في المغرب الإسلامي، امتدادا للتصوف في المشرق. ولذلك لا يمكن دراسة التصوف المغربي عامة، ومنطقة القبائل خاصة، دون التعرض إلى خلفيات الظاهرة بشكل عام، وهذا نتيجة التأثير المباشر للمتصوفين المغربيين الذين تكونوا في المشرق الإسلامي، بداية بالفترة التي سبقت القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي.¹ فالتصوف بالمغرب الإسلامي، تأثر بشكل كبير وواضح بالتغيرات التي عرفها العالم الإسلامي خاصة مشرقه. ومن خلال هذا يمكن أن أستخلص بأن نشأة التصوف المغربي ناتج عن التصوف الإسلامي بالمشرق. فهو إذا امتداد طبيعي للتصوف الإسلامي عامة. وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يجمعون على أن الحركة الصوفية انتشرت في المغرب الإسلامي بداية من القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، إذ انتشرت آراء الغزالي من خلال كتابه الأحياء.² وهو العامل الذي ساعد على ظهور الكثير من الزهاد، وأقطاب التصوف، قبل القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي مثل: أبو مدين البجائي.³ وابن مشيش.⁴ وأبو الحسن الشاذلي.⁵

فالظاهرة الصوفية لم تكن جديدة على المنطقة، بل كانت لها جذور قديمة قبل مجيء العثمانيين، وذلك من خلال المتصوفين الذين مروا ببجاية، أو استقروا بها أمثال: ابن عربي.⁶ الذي حل ببجاية في حدود القرن السادس

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (20-16)، ج2، ط2، م.و.ك، الجزائر 1985، ج1، ص: 464.

² - Abdalah LAROU: L'histoire du Maghreb, essai de synthèse, collection MASPERO, Paris 1976, p: 160.

³ أبو مدين البجائي: هو شعيب بن الحسن الأندلسي، سيد العارفين وقودتهم، عرّف به الكثير من العلماء الذين أجمعوا على قطبانيته. وعزارة علمه وصدق ولايته، وهو من الأندلس، حل بالمغرب ثم سكن ببجاية التي فضلها على الكثير من المدن، وتوفي سنة (594هـ) بالقرب من تلمسان. حول شخصيته أنظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج 01، ص 125-126. وعن دوره في نشر التصوف بالمنطقة انظر/ - G. Marcais, La Berbérie Musulmane et orient, in, Moyen age, édition, montagne, Paris, 1946, p 293.

⁴ هو عبد السلام بن سليمان الملقب بمشيش ابن مالك بن علي، كانت ولادته حوالي سنة 559هـ وهو من أكابر الأولياء العارفين بالله، وقد أخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن المدني. وراح ضحية مؤامرة دبرها أعداؤه سنة 622هـ. انظر /

- عبد الصمد العشاب، القطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، د.ت

⁵ الشيخ الإمام وشيخ مشايخ الإسلام حجة الصوفية، وقُدوة أهل الخصوصية، وأستاذ الطريقة، وسلطان أهل الطريقة. يعود نسبه إلى الإمام علي (رضي) ويعتبر مؤسس الطريقة الشاذلية، نسبة إلى شاذلة، وهي قرية من قرى المغرب، انظر عنه:

_ محمد بن محمد الأندلسي، الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، 02 ج، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1984، ص 832-833،

⁶ هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي المرسي، والذي يعرف بابن عربي محي الدين، وهو الشيخ الأكبر حكيم المتصوفة في عصره، توفي سنة 638هـ/1240م. انظر عنه/ - إدريس عزوزي، الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه عدة المرید الصادق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1998، ص 278.

هجري/ الثاني عشر ميلادي, وكذلك ابن السبعين.¹ والششتري.² فتركوا تأثيرهم في التصوف في المنطقة, لكونهم «لم يكتفوا بالعبادة والسلوك الأخلاقي, وإنما كانوا يدرسون نظريات المعرفة للوصول إلى الحقيقة الإلهية بالمقاييس العقلية».³ فتأثر بهم الكثير من أبناء المدرسة البجائية الصوفية, والتي سبقت غيرها من المدارس الأخرى بالمغرب الأوسط. كمدرسة الشيخ عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ/ 1388م) التي تعتبر من أقدم المدارس الصوفية بالمغرب الأوسط. وهي التي تخرّج منها الكثير من جهابذة الفكر الصوفي.⁴ أمثال: أحمد بن إدريس البجائي أستاذ الوغليسي.⁵ وأحمد بن إبراهيم البجائي.⁶ ويحيى العيدالي.⁷ وعبد الرحمن الثعالبي.⁸ وأحمد زروق البرنسي.⁹ وغيرهم- فهؤلاء جميعا ساهموا مساهمة كبيرة في دخول التصوف إلى عمق منطقة القبائل, خاصة بعدما أسس (ابن إدريس) زاويته العلمية في المنطقة الجبلية الداخلية بالقرب من "عزازقة".¹⁰ وذلك في النصف الأول من القرن 10هـ/ 14م. وبعده الشيخ يحيى العيدالي الذي أسس زاويته بقرية تمقرة.¹¹ وبذلك بدأت ملامح الظاهرة الصوفية, تتوغل بين الأوساط الشعبية في المناطق الجبلية, سواء في زاوية الشرقية, أو الغربية, وبعد دخول العثمانيين إلى

¹ هو عبد الحق بن إبراهيم المرسي ولد بالأندلس عام 614هـ. وقد اشتهر في علوم الباطن وانتحل التصوف فمالت إليه العامة. انظر: - أحمد بابا التمكني, نيل الابتهاج في تطريز الديباج, ط.ح, م.وج, رقم 340, ص 279.

² (توفي في 668هـ/ 1269م), ينسب إلى مدينة ششتر بالأندلس, ويكنى بابي الحسن, وقد ذكره الغبريني في عنوان الدراية, ص 210.

³ الغبريني: المصدر السابق, ص: 46.

⁴ سعد الله: المرجع السابق, ج 2, ص 79.

⁵ الإمام العلامة الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته, كان ورعا زاهدا جليلا إماما علامة بارعا, أخذ عنه الكثير في بجاية كعبد الرحمن الوغليسي, ويحيى الرهوني, وابن خلدون, وأسس زاويته بالقرب من عزازقة, توفي سنة (760هـ). انظر: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف, ج 2, موفم, الجزائر, 1991, ج 1, ص 277-279.

⁶ (توفي 840هـ/ 1436م) فقيه مالكي من أهل بجاية. قال عنه الثعالبي " لو أن رجلا لم يعص الله لكلن سيدي أحمد بن إبراهيم" انظر: - السخاوي الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع, منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت, ج 1, ص 209.

⁷ هو العالم أبو زكرياء يحيى بن أحمد... ابن عجيس يعود نسبه إلى الأشراف (ت 881هـ/ 1476م) وقدم إلى المنطقة من المغرب ثم درس ببجاية على علمائها. انظر: - الورثياني, مصدر سابق, ص 08.

- مخطوط لشجرة نسبه مصورة من وثائق حفدته, توجد عندي نسخة منها.

⁸ عبد الرحمن الثعالبي: هو عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري. عالم زاهد ورع, ولد سنة 786هـ أو 787هـ, بيسر, وتوفي سنة 875هـ بمدينة الجزائر. ولا يزال ضريحه مزارا. حول شخصيته انظر: الحفناوي: المرجع السابق, ص ص: 78...73 وكذلك: محمد الشريف قاهر: الأنوار في آيات النبي المختار, ج 3, دار ابن حزم, بيروت, 1426هـ/ 2005م. ج 1, ص: 82 وما بعدها.

⁹ أحمد زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي, الشهير بزروق, وهو إمام عالم فقيه صوفي ولد سنة 846هـ بفاس, وتوفي سنة 899هـ بمسراطة (طرابلس). انظر: التمكني: مصدر سابق, ص: 71.

¹⁰ -Djamil AISSANI: le soufisme ou sein du mouvement Intellectuel à Bejaia et sa Région(x1-xx siècles)Bejaia 17et18 septembre 2003, p: 06.

¹¹ محمد الشريف قاهر/ مقابلة شخصية معه بالمجلس الإسلامي الأعلى يوم: 2006./26/06

الجزائر، عرفت المنطقة انتشارا واسعا للحركة الصوفية، مثلها مثل بقية مناطق البلاد.

وقد مر التصوف بمنطقة القبائل، خلال العهد العثماني، بمرحلتين
المرحلة الأولى: تمتد من القرن 10هـ/16م، إلى نهاية 11هـ/17م. -
 التي تبدأ بدخول العثمانيين إلى الجزائر، وتحرير بجاية من الاسبان سنة
 962هـ/1555م - تتميز بـ:

- استمرار الطرق المشرقية الوافدة إلى المنطقة في الانتشار، وعلى
 رأسها الطريقة القادرية التي ادخلها إلى المنطقة الشيخ أبي مدين شعيب في
 القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ومنها تفرعت الطريقة الزروقية
 ، نسبة إلى الشيخ "أحمد زروق البرنسي"، الذي كون مدرسة صوفية بمنطقة
 بجاية. وقد تخرج منها الكثير من العلماء الذين نشروا التصوف بالمغرب
 الأوسط عامة أمثال: أحمد بن يوسف الملياني.¹ ومحمد الصغير، وابنه عبد
 الرحمن الأخضر، ومحمد بن علي الخروبي وغيرهم. فهذان الأخيران هما
 اللذان عملا على نشر الطريقة الزروقية في مختلف مناطق الجزائر.²
 كما أن هناك متصوفين آخرين تركوا تأثيرهم على هذه الفترة بالمنطقة،
 ومن بينهم الشيخ سيدي أحمد تواتي (ت 922هـ/1529م)، والذي كانت له
 مؤلفات كثيرة وشهرة كبيرة عند أهل بجاية في عصره.³ كما أن فتاواه لا ترد
 من بجاية، إلى توزر.⁴ خلال نهاية القرن التاسع، وبداية العاشر الهجري،⁵
 واستعان به العثمانيون في الدفاع عن البلاد ضد الغزو الإسباني.⁶
 والذي ظلت زاويته ببجاية إلى غاية سنة 1228م/1813م.⁷
 - استعانة العثمانيين بهذه القوى الدينية، والتي كانت بمثابة سند لهم في
 الدفاع عن المنطقة، وتأدية دورهم الجهادي ضد النصارى.⁸ في الحوض
 الغربي للمتوسط، .

- اقتصار التصوف على العلماء والفقهاء، ففي القرن 10هـ/16م كان
 التصوف مقتصرًا على الطبقة المثقفة من العلماء والفقهاء. أما طبقة العامة
 فإن انتشار التصوف بينهم لم يكن واسعا، وذلك يعود -حسب اعتقادي- إلى أن
 معظم أفراد الطبقة المتعلمة كانوا يقيمون بالحواضر. أي أن التصوف لم يتخذ

بعده الريفي في هذه المرحلة بل ظل تصوفا نخويا، وخاصة في بداية
¹ الملياني: هو الشيخ الولي الصالح الغوث الزاهد...، وهو من تلاميذ الشيخ زروق، سكن منطقة القبائل
 وترك بها ذريته قبل انتقاله إلى مليانة، توفي سنة 927، أنظر الصباغ: بستان الأزهار في مناقب زمزم
 الأخير ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار. مخ. م. و. ج. رقم: 1707، ص: 1.

² المهدي البوعبدلي: "الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، في: الأصالة،
 ع: 14، الجزائر، 1974، ص: 143.

³ عمار طالبي: "الحياة الفكرية في بجاية. الفلسفة والكلام والتصوف"، في: الأصالة، السنة 4، صفر،
 ربيع الأول، 1394، مارس، أبريل، 1974، ص: 172.

⁴ بييري رايس: الكتاب البحري، نقلًا عن: سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص 466-469. أنظر كذلك:

- الورثيلاني: الرحلة، مصدر سابق، ص: 27.

⁵ سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص 466.

⁶ انظر الفصل الثالث.

⁷ يحي بوعزيز، "أوضاع"، مرجع سابق.

⁸ سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص: 466.

المرحلة، بينما عرف القرن 11هـ/17م بداية حقيقية لانتقال الطرق الصوفية إلى الجهات الداخلية، وذلك بفعل هجرة العلماء إلى المدينة بعد احتلالها. - عدم بروز طرق محلية : إذ نجد بان الطرق الصوفية المنتشرة في المنطقة طرقا وافدة إليها ولم تكن محلية. فحتى وان كانت الطريقة الزروقية قد ظهرت بمنطقة القبائل.¹ ولكن مؤسسها قدم إليها من المغرب الأقصى ، ولم يكن من أبنائها، فمثله مثل ابن خلدون الذي استقر مدة ببجاية وتأثر بها. المنطقة في هذه المرحلة لم تعرف نشوء طرق صوفية محلية، رغم تعلم الكثير من العلماء بها، وعلى علمائها. أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والملياني، والاخضري، وغيرهم. فهؤلاء لم يؤسسوا طرقا صوفية بالمنطقة، رغم كونهم من العلماء المتصوفين، وذلك يعود إلى انتشار المرابطين الأشراف، الذين كانوا يعملون على نشر العلم بالمنطقة. فمعظم المرابطين الذين حلوا بالمنطقة كانوا في نهاية القرن 14هـ/14م و 15هـ/15م، وهي نفس الفترة التي عرفت توافد هؤلاء المتصوفين إلى المنطقة وعملوا على تأسيس الزوايا العلمية بها. فبقى هؤلاء المرابطون بالزوايا التي أسسوها، والتي تحولت إلى أماكن مقدسة يقصدها الناس والمريدون، الذين يقدمون لهم الصدقات والهبات.²

فهذه المرحلة تعتبر بمثابة امتداد للقرن 9هـ الذي عرف نشاطا هاما للقوى الدينية خاصة الأشراف (المرابطون)، إلا أن الاضطرابات التي شهدتها المنطقة، والنتيجة عن الحروب التي استهدفت تحرير المدن المحتلة من الاسبان ، وبعد ذلك الصراع بين القوى المحلية الدينية والسياسية (آل القاضي ، وإمارة بني عباس). فهذا الصراع، والاضطراب قد فسح المجال أمام المتطفلين على العلم ، والدين في الانتشار بالمنطقة، وبالمغرب الأوسط عامة.³ وبذلك بدأ ينتشر التصوف المنحرف عن تعاليم الدين الإسلامي ، فانتشرت البدع والخرافات، بين الناس. دون ان تظهر بالمنطقة شخصية قادرة على جمع الناس حولها، وهذا ما ساعد على انتشار الفوضى وانعدام الأمن في منطقة القبائل.⁴

وعلى كل ، فان هذه المرحلة قد عرفت انتشار الطرق الصوفية الوافدة الى المنطقة سواء من الشرق، كالقادرية أو الغرب كالشاذلية، وهي التي عرفت انتشارا واسعا بين علماء المنطقة ، وهي ظاهرة امتدت إلى غاية نهاية القرن 11هـ/17م ، ودليل ذلك أتباع العديد من علماء وفقهاء المنطقة، أو الذين تعلموا بها، لهذه الطريقة الصوفية. بداية بالشيخ أحمد بن يوسف الملياني والشيخ محمد السعيد الشلاطي.⁴ وكذلك الشيخ الحسين الورثيلاني .⁶

¹ عن هذه الطريقة انظر:

- de pont et Coppolani, Les confrérie, pp 456-458.

² (A) MAHE: o p, cit, p: 47.

³ ابن الفكون المصدر السابق، ص: 32.

⁴ الورثيلاني، مصدر سابق، ص 08.

⁵ Aucapitaine , La Zaouïa, p24.

⁶ الرحلة، ص 65، 289.

هذا وقد عرفت المنطقة في نهاية القرن 11هـ/17م بداية بروز الصراع بين القوى الدينية. فالعلماء الذين قدموا إلى المنطقة، وجدوا صعوبة في التعامل مع الأعراف المنتشرة في قرى المناطق الداخلية¹. كما بدأت تبرز مظاهر الصراع بين الفقهاء، والمتصوفين، الذين كانوا يميلون إلى الطريقة الشاذلية أو إحدى فروعها².

المرحلة الثانية: وهي التي يمكن تحديد إطارها الزمني فيما بين

القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري / الثامن والتاسع عشر الميلاديين. وهي المرحلة التي عرفت انتشار التصوف في الجهات الداخلية الجبلية من المنطقة، وذلك بفعل انتشار الطرق الصوفية بين الأوساط الشعبية، نتيجة لنشاط الزوايا العلمية والطرقية، التي اتخذ مؤسسوها من المناطق الجبلية المنيعه مقرات لهم، بعد التراجع الذي عرفته مدينة بجاية. وهو الأمر الذي جعل العلماء، والفقهاء يستقرون بهذه الجهات. فانتقل التصوف النخبوي-أي الذي كان مقتصرًا على العلماء- إلى التصوف الشعبي. وكان ذلك سببًا في تراجع المستوى العلمي للإنتاج الفكري خلال هذه المرحلة، غير أن التصوف عرف تزايدًا من حيث الأتباع، خاصة وأن معظم القوى الدينية المحلية أصبحت ذات توجه طريقي معين وعلى رأس هذه الطرق الطريقة الشاذلية وفروعها كالزروقية³. فالقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي قد عرف تحولا أدخل علماء المنطقة في صراع شديد، والذي ظهر بين علماء الفقه. وعلماء التصوف الذين يبحثون عن الحقيقة الإلهية⁴. وهو الصراع الذي بدأت معالمه خلال المرحلة السابقة، غير أن عودة الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن القشطلولي الجرجري الأزهري من الشرق بعد أن تتلمذ على مؤسس الطريقة الخلواتية⁵. والذي كلفه بنشرها في السودان والهند⁶. وبعد ذلك في الجزائر. فعندما استقر الشيخ ابن عبد الرحمن بيني إسماعيل. بدأ يعمل على نشر طريقته (الرحمانية)، بالمنطقة، وبذلك أخذت هذه الطريقة -التي يمكن اعتبارها محلية حتى وإن كانت مبادئها مشرقية- تنتشر بين السكان، ولم تمض مدة طويلة حتى غدت الطريقة الصوفية الأكثر انتشارًا. سواء في زواوة الشرقية أو الغربية، خاصة عندما انتقلت مشيختها إلى الشيخ الحداد "بصدوق أوفلة"⁷. خلال النصف الأول من القرن 13هـ/19م.

إن الطريقة الرحمانية، لم يتوقف انتشارها على سكان المنطقة فحسب بل عرفت انتشارًا في الشرق (قسنطينة، وبوسعادة) وكذا في الجنوب

¹ H) TOUATI: Entre dieu et les hommes, lettres saints et sorciers au Maghreb (17eme siècle), édition de l'école des hautes étude en sciences sociales, Paris, 1974, p: 92.

² Ibid, p 228.

³ Ibid, p 91.

⁴ Aissani, op.cit.

⁵ تعتبر من الطرق الهامة المشرقية. وقد أخذت تسميتها من مؤسسها محمد الخلواتي. انظر عنها/ - Deppont et Coppolani, op.cit, p 379

⁶ سعد الله، المرجع السابق، ج 02، ص 514.

⁷ بوعزيز، المرجع السابق، ص 72.

(الجلفة).¹ وتمكنت بفضل تعاليمها من الانتشار ، في معظم جهات الشرق الجزائري،² وذلك راجع إلى :

- أن الطريقة الرحمانية : كانت الوحيدة التي أسسها بالمنطقة أحد سكانها، وهو ما جعل الناس يلتفون حوله، سواء من قبيلته أو من القبائل الأخرى، وهو عامل ساعد على انتشارها.
- إتباع الطريقة لنهج حاول أن يوفق بين العادات ، والتقاليد السائدة في المنطقة، وبين ما لا يخالف النصوص الشرعية، أي أنها حاولت الجمع بين الشرع والعرف (ثاشر عيث ثا عريفث) . وهي الظاهرة التي لم يعمل بها أحد قبله حسب علمي. وهذا ما جعل مختلف الفئات الاجتماعية تلتف حولها.

- جمعها بين التصوف والعلم والجهاد إذ أن الطريقة الرحمانية قد جمعت بين هذه الجوانب المختلفة مما جعلها طريقة استقطبت العلماء والمتعلمين والمجاهدين.

أهم الطرق الصوفية في المنطقة: من أهم الطرق الصوفية التي

انتشرت بالمنطقة يمكن ذكر ما يأتي:

1- الطريقة القادرية: وهي من أولى الطرق الصوفية التي حلت

ببجاية، على يد أبي مدين بن شعيب البجائي، في حدود القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ومن هذه الطريقة تفرعت مجموعة من الطرق الأخرى : كالشاذلية التي أتبعها الكثير من علماء المنطقة خاصة، وعلماء المغرب الإسلامي عامة. أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحي العيدالي، والشيخ محمد السعيد الشلاطي، وأحمد بن يوسف الملياني، والشيخ الحسين الورثيلاني.³

وأرى بأن انتشار هذه الطريقة بالمغرب الإسلامي عامة، ومنطقة القبائل خاصة، يعود إلى:

- تعاليمها التي تعتمد على البساطة، والصبر، كما جاء على لسان مؤسسها: «ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا ببقبة الصناعة، وإنما بالصبر على الأوامر واليقين في البداية. مصداقا لقوله تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون".

2- الطريقة الزروقية: وظهرت في مدرسة بجاية، على يد: علي بن

أحمد زروق البرنسي، ومنها اتسع نطاقها، في حوض الصومام، بعدما أسس زاويته ببني وغليس. بتمويل من شيخه وأستاذه الشيخ يحيى العيدالي.⁴ فعرفت هذه الطريقة التي وضع لها مؤسسها قواعد مبنية على القرآن والسنة، وحاول بوساطتها إحياء التصوف السني ببجاية. بعدما عرف انحرافا عن ذلك التصوف، الذي وضع معالمه بالمنطقة الشيخ: أبو مدين بن شعيب.⁵ فالطريقة الزروقية عرفت توسعا كبيرا، حتى وصلت إلى الشرق، وذكر الفكون، الذي

¹ نفسه، ص72.

² العقبي، مرجع سابق، ص 145.

³ الورثيلاني: المصدر السابق، ص: 289. وكذلك العقبي: المرجع نفسه، ص: 143.

⁴ محمد الطاهر آيت علجت: نقلا عن وثيقة شخصية بيته يوم: 2006/06/29.

كان معاديا للطرقين والطرق الصوفية، أنه كان شخصا من المتصوفين، بل وحدد طريقته على أنها شاذلية زروقية.¹ لما لها من تعاليم و مبادئ مبنية على الكتاب والسنة، وهي المبادئ التي وضحتها مؤسس الطريقة في قوله: «أصول طريقتنا التي تبنى عليها عشرة أشياء، خمسة ظاهرة، وخمسة باطنة...». ² وبعد الطريقة الزروقية الأحمدية، التي أصبحت وبجدارة، مجمع النخبة المثقفة بالمنطقة، والتي لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، خاصة في الأساطير الشعبية، بمنطقة سيدي عيش، وبقرية إزروق بالتحديد.³

3- الطريقة الشاذلية: تعتبر الطريقتان الدرقاوية والناصرية، فرعان

من الطريقة الشاذلية، وبعض منها فمتواجدتان بالمنطقة، وحسب رواية الصادق البجاوي، فإنه حتى الطريقة الطيبية كان لها أتباع بمدينة بجاية في بداية القرن العشرين. وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن هؤلاء الأتباع، قد اتخذوا هذه الطريقة منهجا لهم قبل هذا التاريخ، ولعل ذلك يعود إلى الفترة العثمانية، التي عرفت توافدا للكثير من الشخصيات المغربية إلى المنطقة.⁴

وبينما نجد للطريقتين الأخرتين (الدرقاوية والناصرية) أتباع لهما كذلك. فالطريقة الناصرية كان من بين أتباعها الشيخ الحسين الورثيلاني.⁵

4- الطريقة الدرقاوية: فإن بعض المصادر التاريخية تذكر بأن ثورة

درقاوة، بعدما فشلت في قسنطينة و جيجل انتقلت إلى بجاية التي كان لها أتباع بها.⁶ وكذلك لها أتباع بزمورة، القرية من برج بوعريريج. هذا ونجد الطريقة الحنصالية التي يوجد أتباعها بجرجرة (بني إيراثن)، وكذا بالنسبة للطريقة العيساوية، التي يوجد أتباعها في أسفل جبل بالوة (أبو اللواء)، بضواحي تيزي وزو. وكذا يوجد بعضهم في حوض بوغني.⁷

إن هذا الانتشار الواسع للطرق الصوفية في المنطقة، لم يكن مبنيا في جله على تأسيس الزوايا، بل نجد أن معظم المنتمين، إلى هذه الطرق. يشكلون أتباعا منفردين، كفقراء، وإخوان ومحبين. كما أن لهذا الانتشار أسباب وعوامل ساعدت على دخول التصوف وانتشاره في منطقة القبائل. فما هي هذه الأسباب؟

المبحث الثاني: أسباب دخول التصوف والطرق الصوفية إلى

المنطقة:

⁵ أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 109.

¹ ابن الفكون: المصدر السابق: ص: 04.

² أحمد زروق البرنسي: كتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح المبين، مخ.م.و.ج، رقم: 2330، ص: 26.

³ - (DJ) AISSANI: o p, cit, p:09.

⁴ للتوسع أكثر، انظر المبحث الآتي.

⁵ MOHAMED HADJ SADOK: A travers la Berbérie orientale du 18eme siècle avec le voyageur AL-WARTHILLANI, in, R.A, N: 95, o.p.u, Alger, année: 1951, P P: 218,219.

⁶ أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 87.

⁷ (DJ) AISSANI: o p, cit., p:10.

إن دخول التصوف إلى المنطقة، لا يمكن دراسة أسباب توغله بها، دون التعرض إلى الأسباب البعيدة العامة، التي ساعدت على انتشار هذه الظاهرة الروحية بين الشعوب، خاصة وأن العوامل المساعدة، على انتشارها قديمة ترجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث نجد بأن سكان شمال إفريقيا عامة، والذين اعتنقوا المسيحية الدونانية، يميلون كثيرا إلى المساواة، وهي الظاهرة التي يتجمع الناس حولها.¹ فالحياة الاجتماعية، وطبيعة المجتمع الأمازيغي، الذي يلتف حول زعامة محلية ذات نفوذ، و مكانة اجتماعية، جعلتهم يتوحدون حول قيادة معينة، هذا في وقت السلم. أما في وقت الحرب، فإن انتشار ظاهرة الرباط، والمحارس على الثغور ظهرت كفكرة عسكرية دفاعية، تركت آثارها على الحياة الاجتماعية بالمنطقة، وأخذت تتوسع، وتترسخ معالمها، بين الأوساط الشعبية، فالتف الناس حولها للدفاع عن البلاد، و العباد، وصد هجمات النصارى.² وبعد تراجع القوى السياسية المحلية، وتزايد الضغط المسيحي بعد سقوط الموحيدين. عادت ظاهرة الثغور، إلى المغرب الإسلامي عامة، بعد ظهور قوة جديدة التف الناس حولها، خاصة وأنها جاءت لإنقاذ المسلمين من الاضطهاد المسيحي، وكذلك الصراع المحلي على السلطة، الذي ساهم في ضعف المغرب الإسلامي عامة. وفي خضم هذه المتغيرات أحاول تحديد أسباب دخول التصوف إلى المنطقة في الجوانب الآتية:

أ- الأسباب السياسية:

إن سقوط بجاية في يد الإسبان (916هـ/1510م) من العوامل التي ساعدت على انتقال العلماء، والفقهاء، والمتصوفين الزهاد، الذين كانت تزخر بهم المدينة، إلى المناطق الداخلية.³ غير أن انعدام سلطة مركزية قوية، وقادرة على توحيد السكان، لمواجهة الخطر الأجنبي، جعل الناس يميلون إلى الزعامات المحلية والإمارات الجديدة التي بدأت تبرز بالمنطقة، كإمارة آل القاضي بالقبائل الكبرى، أو إمارة آل مقران ببني عباس في القبائل الصغرى.⁴ غير أن الصراع بين هاتين الإماراتين حول الزعامة والولاء للسلطة المركزية.⁵ دفعت إلى بروز إشكالية داخلية قائمة على محاولات أمراء وشخصيات الإماراتين في بروز تأثيرهم في المجتمع من خلال انتهاج أسلوب قائم على الاستبداد، واستبعاد السكان من خلال تسخير إمكانياتهم المحلية في خدمة هذه القوى الجديدة، التي كان ينظر إليها الناس، على أنها قوة يمكن أن تحل محل القوى التقليدية السابقة. غير أن النهج الذي ابتعد الأمراء عنه، فالإمارتين لم تتمكنوا من صد العدوان النصراني الكافر، ولا من التحالف مع القوة العثمانية التي كان قدومها إلى المغرب الإسلامي، من أجل إنقاذ المسلمين عامة، وتلبية

¹ (L) RINN: o p, cit, p: 23.

² محمد الفاضل بن عاشور: كتاب أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مخ.م.ج. رقم: 15267.

³ (Ch) FERAUD: Conquête de bougie par les espagnole (occupation de Bougie), in, R.A, N°12, o.p.u, Alger, année 1868, p p: 253-254.

⁴ -(S.A) BOULIFA: Op.cit, p: 188.

⁵ - Ibid, p 157.

لاستنجاد السكان المحليين بها خاصة.¹ فأمام هذه الأوضاع, وجد القبائليون أنفسهم يميلون إلى إتباع الزعامات الدينية الوافدة إلى المنطقة, والواقفة إلى جانب المستضعفين والفقراء.² خاصة إذا علمنا بأن سيرة هؤلاء ووقوفهم في خدمة الأهالي, وتعليم أبنائهم, كانت من أهم الأسباب الدافعة إلى استقرار المرابطين, والزهاد, والأشراف, والأولياء, في هذه المنطقة الجبلية الوعرة. مثلما يذكر *AUCAPITAINE* الذي زار عائلة «ابن علي الشريف» وزاويتهم بشلاطة, فلاحظ بأن السكان في المنطقة, يقصدون الأولياء, والمتصوفين ويجلونهم.³ مما يوحي بأن السبب السياسي الناتج عن تراجع الزعامة الموحدة للسكان ضد الخطر الخارجي, أو في حل المشاكل التي يعانون منها. ففتح المجال أمام شخصيات علمية دينية صوفية, أو طرقية, للولوج في داخل هذا المجتمع, خاصة وأن هؤلاء المتصوفين من العلماء أو الأشراف, أو المرابطين, غير ممثلين للنظام الرسمي القائم, أي أنهم لا يرتبطون بالسلطة سواء كانت المركزية المتمثلة في الدولة العثمانية, أو المحلية القاضوية, أو العباسية.⁴ مما جعل نفوذهم ومكانتهم تتجاوز نفوذ بعض الرسميين مثل الأغوات والقياد.⁵ وأمثلة ذلك: سيدي منصور الجنادي, بزواوة الغربية.⁶ وهذا التحول في المنطقة التي كانت من قبل ترفض الخضوع لأي دخيل عليها, العائد إلى تدهور الأوضاع السياسية, وتزايد الصراع بين الزعامات المحلية, وتنامي الخطر الخارجي, مع انتشار التدهور الاقتصادي للسكان, جعلهم يقفون إلى جانب الوافدين الجدد, الداعين إلى التغيير, أو الساعين إلى نشر العلم بين أبناء سكان المنطقة.

إن التمازج الثقافي الحاصل بين سكان المنطقة والوافدين إليها, جعلها

تتميز ب:

01- بروز الصراع بين علماء الشريعة (الفقهاء), وهذه الفئة

الوافدة الحاملة لصفة التصوف والولاية, أدت إلى تكوين فكر جديد مبني على المزج بين الإرث الحضاري للسكان, والمتمثل في القوانين العرفية السائدة منذ فترة قديمة, والقوانين الشرعية المستمدة من الشريعة الإسلامية, فاتصفت المنطقة بتقاليد شفوية أمازيغية, وثقافية عربية عالية, ومعرفة واضحة وصحيحة للقوانين الشرعية.⁷

02- بروز أفكار جديدة جاء بها الأولياء والعلماء الصالحون

والمرابطون, والمتمثلة في فكرة الحرية, والتخلص من الاستبداد والقهر المفروضين على السكان من قبل الأمراء المحليين, أو ممثلي السلطة المركزية في المناطق الخاضعة لها, فكان هذا عاملا مساعدا على استبدال

¹ - Ibid, p 188

² محمد السعيد بن زكري: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل, مطبعة بيبير فوتتانه, الجزائر 1903, ص: 11. وكذلك: - الزواوي: المرجع السابق, ص: 105.

³ Op.cit, p: 22.

⁴ - RINN: o p, cit, p: 14.

⁵ Ibid, p: 15

⁶ أحمد ساحي: أعلام من زواوة إيقواون 1, مطبعة الثورة الإفريقية, الجزائر, (ب ت), ص: 41.

⁷ - H. TOUATI: o p, cit, pp 88-93.

القوانين والأعراف الوضعية بالقوانين السماوية، خاصة تلك التي تخدم الحرية، وتناهض الاستعباد.¹

إلا أن المحلل لرأي بوليفة، يرى بأن السبب المباشر الذي جعل سكان المنطقة يقبلون الغريب ويحتضنون دعوته، إنما الغرض منه حماية المصالح الذاتية، والدفاع عنها. أي أن ذلك يكون مبنيا على الجانب المادي بالدرجة الأولى. وهنا يمكن أن تطرح عدة تساؤلات منها:

- لماذا أزر سكان هذه المناطق الجبلية الحركات الدينية السابقة كالشيوعية والفاطمية، وغيرها وهذا قبل دخول الإخوة بربروس إلى المنطقة؟
وللإجابة على هذا التساؤل: يمكن أن أعود إلى طبيعة السكان الذين يقبلون الخضوع للزعامة الدينية بسهولة، بينما يرفضون الخضوع للسلطة السياسية. ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل السكان يستقبلون هذه الفئة المعتمدة على العصبية الدينية (التصوف أو النسب الشريف «إمرايطن»²).

كما أن هنالك ظاهرة أخرى تتعلق بطبيعة تسيير شؤون المنطقة، القائمة أساسا على ما يعرف ب: (ثاجماعت)، وهي بمثابة نظام داخلي لكل قرية تتصف بالشورى، واتخاذ القرار الجماعي، الذي أصبح في هذه المرحلة مهددا بالزوال نتيجة اكتساح القوى الجديدة المحلية الإقطاعية.³ التي فشلت في توحيد هؤلاء السكان الذين توجهوا إلى الزعماء الصوفيين، والطرفيين الذين تمكنوا من توحيدهم، فحققت الطرقية، ما لم تحققه السلطة، في توحيد السكان من جهة، والمساهمة في فشل القوى المحلية من جهة أخرى، وهي القوى التي لم تتمكن من المحافظة على نفوذها في كامل المنطقة، ولا من توقيف السلطة المركزية في بسط نفوذها على بعض الأقاليم ومناطق البلاد، خاصة الساحلية: كدلس، وأزفون، وتقريرت، وبجاية، وكذا السهلية: كسهل سيباو، وحوض بوغني، وسهول حمزة ومجانة...⁴ ونظرا لهذه المكانة التي يتمتعون بها في الوسط الاجتماعي، أصبحوا يشكلون قيادة محلية لمواجهة الاعتداءات الخارجية أو النظام المحلي السياسي.⁵ ومن خلال هذا يظهر بأن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المنطقة من بين العوامل المساعدة على إيجاد الطرق الصوفية، وانتشارها. وذلك نتيجة وجود أرضية خصبة قابلة لهذه البذرة التي تحمل في طياتها معالم روحية، فاستقرت وانتشرت في ربوع منطقة القبائل، بل ساهمت في بعث الحياة الثقافية والعلمية بين السكان.

¹ S.A. BOULIFA: o p, cit., p:157.

² الزواوي: المرجع السابق، ص: 105.
وكذلك: - الفصل الأول. أمرايط: كلمة قبائلية تدل على صيغة الجمع لكلمة المرابط العربية، وتعني الأشراف، من آل البيت، والصحابة رضوان الله عليهم.
³ الإقطاعية المحلية الجديدة: المقصود بها آل القاضي بالقبائل الكبرى، وبنو عباس بالقبائل الصغرى.
أنظر:

.BOULIFA: o p, cit., p: 158

⁴ A) MAHE: o p, cit, p: 23.

⁵ مسعود العبد: المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني. في: مجلة سيرتا، ع10، الجزائر، 1988، ص: 19

ب- الأسباب الاجتماعية:

عرفت منطقة القبائل في تاريخها القديم والحديث, صراعات محلية وحروبا كثيرة, جعلت السكان منقسمين إلى صفوف متعادلة ومتحاربة.¹ وقد بقي هذا التقسيم قائما بعد سقوط الحفصيين الذين سيطروا على الجزء الشرقي من الجزائر, وطبعا الجهة الشرقية من المنطقة, كما أن ضعف الزبانيين في تلمسان ساهم في تدهور قوة الإمارات المحلية التي تسيطر على بعض مناطق الجهة الغربية من المنطقة, خاصة منها إمارة الثعالبة, التي كانت تشرف على حوض وادي يسر.²

فأمام هذه الأوضاع غير المستقرة, التي خلفت آثارا سلبية في الحياة الاقتصادية, والاجتماعية للسكان. أصبحوا يبحثون عن أي منقذ لأحوالهم المتدهورة, الناتجة عن الصراع الداخلي بين الصفوف (الصف الفوقاني والصف التحتاني)³ وكذلك الصراع القائم بين الإماراتين المحليتين, والحروب التي نشبت بينهما, وكذا الحروب التي قامت بين السلطة المركزية, وبعض زعماء المنطقة: كحرب بني إيراثن ضد الحكم العثماني, وسلطة الباي محمد.⁴

فكانت هذه الأحداث وغيرها, من بين العوامل التي جعلت السكان ييأسون من حالتهم, بل يفقدون الثقة في الزعامات المحلية السياسية, ويستبدلونهم بزعامة جديدة قائمة على الدين, فكانوا يرون في هؤلاء بديلا لا يخسرون شيئا في الالتفاف حولهم, فإن انتصروا على خصومهم غنموا من ذلك ماديا, وإن قتلوا فإنهم شهداء كونهم أيدوا رجالا لا يبحثون عن المال, أو الجاه, أو السلطة. بل همهم هو نشر العدل وتطبيق الأحكام الشرعية.⁵ كما أن أسلوبهم مبني على تطبيق التعاليم الدينية الداعية إلى المصالحة والأخوة ونبذ الخلافات.⁶ وهذه الصفات هي التي جعلت السكان كذلك, يساهمون في انتشار الحركات الصوفية, والطرقية في المنطقة, ومن خلال هذا يتضح بأن الحياة الاجتماعية للسكان, وانتشار الإحباط واليأس, من بين العوامل التي ساعدت القوى الدينية على بسط نفوذهم بالمنطقة. كما أن السكان قد توجهت أنظارهم, إلى المرابطين, لكونهم من كبار المتصوفين في القوى الدينية. بل أكثر من ذلك أنهم يلتمسون النجاة على أيديهم.⁷ فالخطر الذي مثله النصارى الإسبان على استقلال البلاد, ساهم في

¹ HANOTEAU et LETOURNEUX: o p, cit., T2, p 17..

² سعيدوني: القبائل, ص, 12.

³ HANOTEAU et LETOURNEAU: o p, cit., T2, p p18-19.

⁴ أرزقي شويتام: نهاية العهد العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. رسالة ماجستير, جامعة الإسكندرية, 1988, ص: 21.

⁵ S. A) BOULIFA: o p, cit, p:158.

⁶ الورثيلاني: المصدر السابق, ص: 8. وكذلك:

.BOULIFA: O P, CIT,P: 189 (S. A) -

⁷ ألفرد بل: المرجع السابق ص:42.

إثارة العصبية الدينية، بين سكان شمال إفريقيا عامة، وأعطى للمرابطين مكانة هامة بين السكان.¹ لكونهم كانوا زعماء الجهاد.

ج- طبيعة القوى الدينية ونشاطها:

كانت الشخصيات العلمية ذات التوجه الصوفي، تتصف بالزهد في الحياة، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، فهؤلاء تركوا ملذات الدنيا جانبا، وتوجهوا نحو خدمة الآخرة، مما جعلهم يبتعدون عن هموم الصراع حول الحكم، وينبذون الاشتغال في السياسة أو الأمور الدنيوية، فكان لتوجه هذه الفئة دوره الكبير في استمالة الناس إليهم، خاصة إذا علمنا بأنهم يتميزون بحنكة سياسية كبيرة، في تسوية مشاكل السكان، ويتدخلون كوسطاء في حل كل الخلافات التي كانت تنشب بينهم.²

هذا إلى جانب الصفات الحميدة، التي يتصف بها المتصوفون عامة، والمرابطون خاصة، والتي تتميز بالزهد والميول إلى الحياة البسيطة الخالية من البذخ، الذي تعيش فيه الأسر النافذة. وهي الصفات التي يميل إليها سكان المنطقة، وذلك نتيجة الظروف الطبيعية والاقتصادية السائدة بها. فصعوبة المنطقة، وقلة الموارد بها جعلت سكانها يميلون إلى البساطة في الحياة، والزهد في النفقات، وهي الصفات نفسها التي التمسوها في هذه القوى الدينية، مما جعلهم يتقربون إليهم.³ وينظرون نحوهم نظرة خاصة، معتقدين بأن هؤلاء الرجال الأصفياء تستجاب دعواتهم، وشفاعتهم، وبركاتهم، يجلبون الخير لهم.⁴ فالتفوا حول المشايخ، وانضموا إلى حلقاتهم التي أنشئوها في المساجد والزوايا، المنتشرة بالمنطقة. وهذه الظاهرة عبارة عن محاولة لإشباع الظما الذي عاش فيه سكان المناطق الجبلية عامة، والمنطقة خاصة. فوجدوا فيهم من يملأ الفراغ الفكري الذي كانوا يعانون منه.⁵ فالفردي بالمنطقة ينظر إلى الأولياء، وعلماء الدين نظرة خاصة، معتقدا أن بركاتهم يمكن أن تضع حدا للبؤس الذي كانوا يعيشون فيه، كما يمكن أن تجلب الشفاء للمرضى، وتفرج عنهم الكروب.⁶ فعند انتقال المرابطين إلى القرى والمناطق الجبلية، يتسابق السكان إلى استضافتهم، وإقامة الولائم لهم، بل يتنافسون فيما بينهم لاستضافتهم رغبة في الفوز بدخولهم إلى بيوتهم. لاعتقادهم بأنهم يجلبون لهم البركة، وتحصل لهم المغفرة، من جراء ما يقدمونه للمرابطين من هبات، وهي المعروفة ب:-ثغفارت - أي المغفرة من الذنوب، لاعتقادهم في المرابطين الخير العميم.⁷ وبذلك يستمد المرابطون والمتصوفون احترام الناس لهم. مما ساعدهم على تحقيق سلطتهم الروحية، ونفوذهم على الناس بأقل تكلفة، ونشاط. وبذلك يستطيع أن يستعمل هذا

¹ جون ب وولف: الجزائر وأوربا. ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 27.

² - (A) MAHE: O P, CIT, p:47.

³ S.A) BOULIFA: o p, cit., p: 149

⁴ ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 392.

⁵ محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د. ت، ص: 210.

⁶ ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 392.

⁷ محمد الشريف قاهر: مقابلة شخصية معه بالمجلس الإسلامي الأعلى، يوم: 25/06/2006.

النفوذ والإمكانات الروحية في جلب الأتباع، والمريدين.¹ خاصة وأن المنطقة لها قابلية لاحتضان الطرق الصوفية الإصلاحية.² كما أن انتماء معظم المرابطين إلى الأشراف - أي سلالة آل البيت - جعلت السكان يمجدونهم، تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يكفي لتفسير ما تمتع به الشرفاء من مكانة.³

إن التصوف في بداية أمره بالمغرب الإسلامي عامة كان مقتصرًا على العلماء والفقهاء، الذين يبحثون على الحقيقة الإلهية. وبعد دخول العثمانيين إلى المنطقة، وخاصة بعد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تحول التصوف النخبوي إلى تصوف شعبي، فكثرت المتصوفون، وكثرت أيضًا أتباعهم، غير أن الظاهرة في عمومها اقترنت بنشر العلم، والتعليم، ومحاربة الجهل خاصة إذا علمنا بأن المنارة التي كانت مركزًا للعلم والعلماء، ولمدة طويلة هي بجاية، التي تراجع إشعاعها بعد سقوطها بيد الإسبان سنة 1510م، فانتقل علماؤها إلى الداخل، وعملوا على نشر التعليم، من خلال إقامة المؤسسات التعليمية - ثيمعمرين - بمختلف المناطق الجبلية، وهنا يتساءل المرء: لماذا أنشئوا هذه المؤسسات بهذه المناطق الجبلية؟ وما هو سر التفاف السكان حولها؟

والإجابة يمكن استخلاصها من رسالة الشيخ الثعالبي إلى سكان بجاية خاصة، والمنطقة عامة.⁴ الدوافع الرئيسية التي جعلت علماء المدينة يغادرونها، ويتوجهون إلى المناطق الداخلية الجبلية الوعرة، وذلك في بداية نهاية القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد. كما أن لالتفاف السكان حول هؤلاء العلماء القادمين من بجاية خاصة، أو من المناطق الغربية (المغرب الأقصى) في شكل هجرات للمرابطين، والأشراف نحو المنطقة، ناتج عن إقبال السكان على تعليم أبنائهم، بفعل الجهل السائد في المناطق الجبلية عامة، كما أن ظروف الحياة الصعبة التي تعيشها المنطقة، دفعت بسكانها إلى البحث عن مخرج يقي أبنائهم من الصعوبات التي كانوا يعيشون فيها. فرغبة القبائلي في تعليم أبنائه، ظاهرة مازالت قائمة إلى يومنا هذا. وأعتقد بأن الطبيعة المميزة للمنطقة، من العوامل المشجعة، على البحث عما يمكن أن يضمن الحياة للناس بها، وهذا لا يتأتى إلا من خلال التعليم. وهي الظاهرة التي نجدها سائدة بالمنطقة، وربما انتشر الوقف، والحبس على المؤسسات التعليمية بالدرجة الأولى - بخلاف المناطق الأخرى التي نجد بأن الوقف فيها تتعدد أوجهه -. فتارة يكون للمؤسسات الخيرية، وتارة للحرمين الشريفين، وتارة لسبل الخيرات.⁵

¹ (S.A) BOULIFA: o p, cit, p: 194

² - (L) RINN: o p, cit, p: 23.

³ ألفرد بل: المرجع السابق، ص: 392. وكذلك: MADJID CHRIFI: chorfa n'bahloul et les chorfa du Maghreb, impression F.I.G industries graphiques, Alger 2005, p p: 8.12

⁴ أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/ 1981م، ص: 201. وما بعدها.

⁵ راجح كنتور: " وثائق أوقاف مدينة البليدة وفحصها (1792-1873) "، في مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص، الجزائر، 2002.

إلا أن معظم العقارات الموقوفة في المنطقة، كانت موجهة أساساً إلى الزوايا (المعمرات) بالدرجة الأولى. بل نادراً ما نجد شيئاً موقوفاً على مؤسسة غير تعليمية في منطقة القبائل، وهذا دليل على مدى اهتمام السكان بالتعليم، وتوفير الظروف التعليمية لأبنائهم بالدرجة الأولى. ونتيجة لكون المرابطين، والمتصوفين هم الذين كانوا يشرفون على هذه المؤسسات تحولوا إلى رجال محبوبين عند عامة الناس، فاكتمت ثقة العامة، الذين ينصاعون لأوامرهم، ويتقبلون نصائحهم، فتحولوا إلى قوة رئيسية، في الوسط الاجتماعي القبائلي.¹

فكان لهذه الظاهرة دورها، في انتشار الطريقة والتصوف بالمغرب الإسلامي عامة، والمنطقة خاصة.²

إن القوى الدينية في المنطقة قد تمكنت بفضل أعمالها الهادفة إلى الاهتمام بالجانب الفكري، والسياسي من خلال نشر التعليم، والتوعية الاجتماعية، خاصة بين الفقراء، والبائسين من السكان، وذلك نتيجة اهتمام هؤلاء، بالفئات الكادحة، والسعي إلى التخفيف من معاناتهم، والوقوف في وجه بطش الحكام منهم.³ هذا من جهة استمالة الناس إليها، ومن جهة أخرى نجدهم قد أعطوا لغيرهم أمثلة حية، من خلال نمط معيشتهم اليومية القائمة على البساطة، والزهد، والترفع على الثروة، والقوة. هذا إلى جانب اهتمامها بعلاج القضايا اليومية الحساسة التي يعاني منها السكان، فاكتمت بذلك عقول الناس الذين أصبحوا ينظرون إليهم نظرة خاصة، ساعدتهم على تبوء مراتب هامة في المجتمع الإسلامي عامة، وبين سكان المنطقة خاصة، فمنهم القضاة بين المتخصصين، ومنهم المتزعمين لمقاومة الحكام، والأمراء المستبدين. فهم يدافعون عن مصالح العامة. فهذا سيدي منصور الجنادي، الذي وقف في وجه الأمير ابن القاضي.⁴ بل نجد أنه لا يتوقف عن معاداته بل كان يحرض السكان بغية حصولهم على حقوقهم، أو دفع الضرر عنهم، والتخلص من الأعباء التي أوقعها عليهم.⁵

المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية بالمنطقة:

يعود ظهور الطرائق الصوفية بالمنطقة، إلى حدود القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي. غير أن أول مدرسة صوفية نشأت في بجاية: هي مدرسة الشيخ عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ / 1388م)، وهي التي كانت

¹ (S.A) BOULIFA: o p, cit, p: 189.

وكذلك: الجنادي: المرجع السابق، ص: 11

² عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 238.

³ S.A) BOULIFA: o p, cit, p: 190.

⁴ ساهي: المرجع السابق، ص: 52.

⁵ S.A) BOULIFA: o p, cit, p: 190.

سبابة إلى تأسيس الفكر الصوفي بالمغرب الأوسط، ومن هذه المدرسة تخرج الكثير، من الذين تركوا أثارا كبيرة، في الحياة الصوفية. ثم برزت مدرسة قسنطينة، التي كان من روادها: حسن بن باديس. ومن هاتين المدرستين انتشر التصوف بالمغرب الإسلامي عامة.¹

إلا أن نهاية القرن التاسع، وبداية القرن العاشر هجري، عرفت انتشارا واسعا للفكر الصوفي، سواء بجاية أو بغيرها. ففي بجاية اشتهر الشيخ تواتي أحمد.² وكذلك سيدي محمد أمقران.³ وبعد ذلك أصبحت بجاية، وواديها، وجبالها. من المناطق الأكثر استقطابا للمتصوفين.⁴ أمثال: أحمد الزواوي البجائي (ت 922هـ)، وعمر البجائي المغربي الخ.

وفي هذا الزخم من رواد التصوف، انتشرت الطرق الصوفية بالمنطقة، وبدأت تؤثر في الحركة الصوفية بإفريقيا عامة، وبلاد المغرب خاصة.⁵

إلا أن تحديد أهم هذه الطرق الصوفية، التي انتشرت في المنطقة، يدفع بنا إلى تحديد الزوايا التعليمية، التي كانت منتشرة، في بلاد القبائل، ونتيجة صعوبة ذلك، وانعدام المصادر التاريخية، التي تحدد بدقة هذه الطرق، أكتفي بأهمها بدأ بـ:

1- الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى مؤسسها: سيدي محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسيني (470هـ، 1079م - 561هـ، 1166م).⁶ أما دخولها إلى المغرب الأوسط عامة، ومنطقة القبائل خاصة، فكان ذلك على يد الشيخ سيدي بومدين بن شعيب الأندلسي (ت 594هـ، 1197م).⁷ الذي أخذ الميثاق والخرقة، عن مؤسسها بالمشرق؛ لما كان في طريقه إلى الحج، والذي شارك في الحروب الصليبية إلى جانب المسلمين ضد النصارى.⁸ وعند عودته إلى المغرب الأوسط، وبمدينة بجاية، بدأ العمل على نشر طريقته، وكان ذلك بمثابة بداية لدخول التصوف المشرقي إلى المغرب الإسلامي.⁹

كما كان مجيء إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني (ت 592هـ / 1195م) إلى المغرب الأقصى، ومروره بالمغرب الأوسط، وتأسيسه لزاوية منعة بالأوراس، الأثر الكبير في انتشار الطريقة بالمغرب الإسلامي عامة، وبالمنطقة خاصة.¹⁰

¹ سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص: 80،79.

² الورثيلاني: المصدر السابق، ص: 09.

³ نفسه، ص: 27.

⁴ طالبي: المرجع السابق، ص: 172.

⁵ سيدي موسى: المرجع السابق، ص: 206.

⁶ (L) RINN: o p, cit, p: 193.

- DEPONT et COPPOLANI: o p, cit, p: 193.

وأیضا: - العقبي: المرجع السابق، ص: 143.

⁷ العقبي: نفسه، ص: 145.

⁸ قاهر: مقابلة شخصية بالمجلس الإسلامي الأعلى يوم: 25/06/2006.

⁹ الغبريني: المصدر السابق، ص: 46.

¹⁰ L) RINN: o p, cit, p:178.

ومن بين الآثار الدالة على تجذر هذه الطريقة بالمنطقة:

- 1- **الزاوية القادرية:** بقية تفرق- بزواوة الشرقية:- وهي الزاوية التي تأسست من قبل أحد أبناء الشيخ عبد القادر الجيلاني- وأعتقد بأنه إبراهيم- الذي مر بالمغرب الأوسط، قاصدا الأندلس، وعند عودته أقام مدة بالمنطقة، وأسس هذه الزاوية لأتباع الطريقة، وذلك في حدود القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي.¹
- 2- **زاوية ابن علي الشريف الشلاطي:** تأسست هذه الزاوية في حدود سنة 1710م.² من قبل أبناء العائلة القادمة إلى المنطقة من المغرب، وعلى رأسهم سعيد بن علي الشريف، وهي الزاوية التي كانت تتبع الطريقة القادرية، وكذا الشاذلية. وقد أورد *AUCAPITAINE* بأن مشايخ هذه الزاوية من المحافظين الذين يرفضون انضمام أي طالب إلى زاويتهم، إن كان على أية طريقة أخرى غير الطريقة القادرية.³
- 3- الورد الذي أخذه الحاج محمد بن عبد الودودي العمري الزموري المغربي، من مشايخ الطريقة في المشرق، فمثله مثل سيدي بومدين، حيث أنهما عملا على نقل الطريقة إلى بلاد المغرب عامة ومنطقة القبائل خاصة.⁴
- 4- وجود آثار دالة على تراث الطريقة بـ: (لعزيب أومعامر) بالقرب من بجاية، وهي الآثار التي ينصح الشيخ الورثيلاني بزيارتها، والتي ذكرها في الرحلة.⁵ واعتبرها مكانا مقدسا. هذا إلى جانب زيارة الأمير عبد القادر لهذا الأثر مرتين في حدود عامي (1839 و1845) طالبا من السكان التحالف معه، والوقوف إلى جانبه في محاربة الاستعمار الفرنسي.⁶
- 5- أما الإحصائيات التي قدمها رين (RINN)، وكذا ديبو وكوبولاني ((DEPONT et COPPOLANI))، فإنها تدل على انتشار الطريقة القادرية في عدة جهات من منطقة القبائل، وهي التي يبينها الجدول الآتي بوضوح، مدى انتشار هذه الطريقة في منطقة القبائل.

جدول يبين توزيع أتباع الطريقة بالمنطقة.⁷

الناحية أو المدينة	توضيح الإحصائيات
--------------------	------------------

وكذلك: - العقبى: المصدر السابق، ص: 146.

¹ بوغزير: دائرة الجعافرة: ، ص: 52. وكذلك:

- مقابلتي للشيخ باغورة- شيخ الزاوية- يوم: 10/04/2006، بمناسبة إقامة الزاوية لحفل بمناسبة المولد النبوي الشريف.

² (Dj) AISSANI: o p, cit, p: 9. -

³ o p, cit, p:25.et:

- (Dj) AISSANI: TimΣemmret n'ichellaten, un institut supérieur au fin fon de la Kabylie; association GEHIMAB, laboratoire lamos, université de Bejaia, p: 07.

⁴ RINN: o p, cit, p: 197.

⁵ الورثيلاني: المصدر السابق، ص: 39. وكذلك:

.AISSANI: le soufisme au sein... o p, cit., p: 10 (DJ) -

⁶ - IBEDM: p: 09.

⁷ للإطلاع أكثر على هذه الطريقة، يمكن العودة إلى:

- خير الدين الزركلي: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، المجلد4، ص: 47.

- BROSELARDI: o p, cit., p: 07.

عدد الأتباع	عدد الإخوان	عدد المقدمين	عدد الزوايا	(البلدية المختلطة)
10	10	--	--	البلدية المختلطة دلس
10	10	--	--	يسر
60	50	01	--	بجاية
02	02	--	--	فناية
50	50	--	--	قرقور
41	40	01	--	زمورة (برج بوعريريج)
173	المجموع			

أما أهم عامل ساعد على انتشار هذه الطريقة بالمغرب الأوسط عامة، خلال العهد العثماني، فلعل ذلك ناتج عن وقوف الحكام العثمانيين إلى جانبها، وحمائتهم لها، نتيجة ارتباطهم بها في المشرق الإسلامي.¹

2- الطريقة الشاذلية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها: أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الذي ولد في «غمرة» بالمغرب الأقصى، في حدود سنة (593هـ-1196م). وتوفي بمصر في حدود سنة (756هـ-1258م)، دون أن يتمكن أحد من تحديد قبره بدقة.²

كان مؤسس هذه الطريقة، تلميذا لأحد أتباع سيدي بومدين، وكانت- آنذاك- تعرف بالطريقة المدينية.³ ثم نسبت إلى أبي الحسن الشاذلي، عرفانا لما قدمه للطريقة من خدمات. والشاذلية طريقة تميل إلى الورع والزهد في كل شيء، كالطرق الصوفية الأخرى. غير أن أتباعها لا ينكرون التمتع بالحياة، بل نجد الشاذلي نفسه، لم يقل بالتجرد عن ملذات الدنيا، بل قال بتدريب النفس على فعل الخير، وإعادتها بالتدريج إلى أحكام الشرع، عن طريق الذكر جماعيا أو فرديا.⁴ كما أن الشاذلية تقترب من الجنيدية.⁵ لقد تركت هذه الطريقة، أثارا كبيرة في العالم الإسلامي عامة، ومغربه خاصة، مما جعل معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، تتصل بشكل أو آخر بالطريقة الشاذلية.⁶ ومن أهم الطرق

¹ DEPONT et COPPOLANI: o p, cit., p: 444. et

- RINN: o p, cit, pp 173-175 .

² DEPONT et COPPOLANI: o p, cit., p: 446.

³ صباح بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي. بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث. جامعة الجزائر 2005/2006، ص: 93. نفسه: ص: 93.

⁵ RINN: o p, cit, p: 172.

⁶ سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص: 466.

الصوفية المتفرعة عنها نجد: الطريقة الدرقاوية، والطريقة الطيبية، والطريقة اليوسفية، والطريقة الزبانية، والزروقية، والشيخية...¹ كما أن الكثير من العلماء، والفقهاء اتبعوا نهج هذه الطريقة، أمثال: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وأحمد بن يوسف الملياني، والشيخ الورثيلاني.² وابن أبي داود.³ وغيرهم. غير أن الملاحظ: بأن هذه الطريقة قد تراجع أتباعها، في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. واقتصر أتباعها على العلماء، والأوساط العلمية. خاصة المشتهرة بالعلوم الشرعية، أمثال: الشيخ الورثيلاني الذي كان شاذلي الطريقة.⁴ فمنذ صغره نشأ نشأة دينية جعلته يهتم بدراسة كتب التصوف، وزيارة المتصوفين وأضرحتهم، أينما سمع بوجودهم. فيقول: «فإني قد جلبت على حبها من صغري، وقد كثرت مني غربا وشرقا وجنوبا وقبله... فمهما ذكر لي ولي صالح، أو عالما حيا كان أو ميتا إلا ذهبت إليه واقتبست من نوره».⁵ يظهر تصوف الورثيلاني من خلال تقديسه للأولياء، فهو يراهم بمثابة أبواب الله في الأرض، مما جعله ينه الناس إلى عواقب المخالفين لهم.⁶

أما عن أخذه للطريقة، فيذكر بأنه أخذها على شيخه، وأستاذه علي بن أحمد، الذي ذكره قائلا: «وقد تعلمت الألفية على تلميذه الفاضل سيدي علي بن أحمد، وطريقته الناصرية الشاذلية».⁷ كما أخذ تعاليمها كذلك على الشيخ عبد الوهاب العفيفي.⁸ غير أنه لم يكتف بالطريقة الشاذلية، بل أخذ أيضا أذكار الطريقة الخلواتية عن شيخه الحفناوي، فقد جمع الشيخ بين الطريقتين، ربما لعدم وجود فروق أو اختلافات كثيرة بينهما.⁹

ومن حيث تواجد الطريقة الشاذلية بالمنطقة، فإنها- وإن كانت أقل انتشارا من الطريقة القادرية- متواجدة في مختلف جهات المنطقة الممتدة من قرقور وجبال البيان شرقا إلى يسر غربا. غير أن الملاحظ على هذه الطريقة كون أتباعها قد أسسوا عددا قليلا من الزوايا التعليمية التابعة للطريقة الشاذلية، التي نجد منها: زاوية أبو بني ورثيلان التابعة للشيخ الورثيلاني.

¹ العقبي: المرجع السابق، ص: 150.

² نفسه: ص: 15

³ هو السعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي داود. من الأشراف الذين أسسوا زاوية تاسلنت بالقرب من أقبو في حدود القرن الثامن للهجرة. وهي الزاوية التي تخرج منها الكثير من العلماء خلال العصر الحديث، أمثال: الشيخ محمد السعيد بن علي الشريف، والشيخ الحداد، والشيخ الحفناوي. عن وثيقة تتناول نبذة تاريخية عن زاوية سيدي السعيد بن أبي داود الزواوي، تحصلت عليها من أحفاده بأقبو يوم: 30/01/2006.

⁴ - HADJ SADOK: o p, cit, p: 320.

⁵ الورثيلاني: المصدر السابق، ص: 289. وكذلك:

- نفسه: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار، شرح وضيقة الشيخ العارف بالله النبراس المختار. مخ، مصور عن خزنة الشيخ أو لحبيب بني ورثيلان، ص: 04.

⁶ نفسه: الرحلة، ص: 30.

⁷ نفسه، ص: 58.

⁸ نفسه، ص: 289.

⁹ مختار بن الطاهر الفيلاي: رحلة الورثيلاني: عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، (ب ت)، ص: 38.

إضافة إلى زاوية شلاطة التي يعتقد البعض ويرى أنها كانت ذات توجه شاذلي.¹

هذا في العهد العثماني. أما قبل هذا العهد، فإن هناك عددا من العلماء، الذين كانوا على الطريقة الشاذلية، وعلى رأسهم: الشيخ يحيى العيدالي، الذي كان شاذلي الطريقة. غير أن زاويته لم تكن لها طريقة صوفية- حسب علمنا- بل كانت زاوية علمية محضة.² أما الطرق الأخرى، التي تعتبر بمثابة فروع للطريقة الشاذلية، فلقد كان تواجهها بالمنطقة كذلك، مثل: الطريقة الزروقية، والطريقة العيساوية، والطريقة الحنصالية، والطريقة العمارية. وهي الطرق التي كان لها أتباع بالمنطقة. مثلما يوضحه رين (RINN).³

3- الطريقة الرحمانية:

تنسب الطريقة الرحمانية إلى مؤسسها الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن القشطلوي الأزهري، الذي ولد فيما بين (1126) إلى 1133هـ/1715 إلى 1728م).⁴ بقرية: بوغلاوة من قبيلة آث إسماعيل، عرش قشطلولة، وينتمي إلى أسرة علمية مشهورة بالمنطقة، كما أنها أسرة مرابطة شريفة، قدمت إلى المنطقة من المغرب الأقصى.⁵ تلقى تعليمه الأولي كجميع أطفال عصره، على والده، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ (صديق بن أعراب) ببني ايراثن.⁶ ثم انتقل إلى مدينة الجزائر لمدة قليلة،⁷ وبعد ذلك توجه إلى المشرق، لأداء مناسك الحج، وذلك في حدود سنة 1152هـ / 1739-1740. وفي طريق عودته، بقي في مصر مدة طويلة من الزمن، يتلقى العلوم على علماء الأزهر، أمثال الشيخ سالم النفاوي، والطلحاوي، والجداوي وغيرهم.⁹ وأثناء تواجده بالأزهر الشريف، تلقى تعاليم الطريقة الخلواتية على يد شيخه، وأستاذه: الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، الذي يعتقد البعض بأنه التقى به في مكة المكرمة.¹⁰ غير أن تأثر الشيخ ابن عبد الرحمن، بالشيخ الحفناوي، يجعلنا نعتقد بأنه أخذ عليه الطريقة بالأزهر، وذلك نتيجة المدة الطويلة التي استغرقها بمصر، بينما بقاءه بمكة المكرمة، كان من أجل الحج. مما يجعل

¹ AUCAPITAINE: o p, cit., p: 15

² الشيخ محمد الطاهر آيت علجت: مقابلة شخصية معه، بمقر زاوية سيدي يحيى العيدالي، بتمقرة يوم: 20/06/2005.

³ أنظر جداول الملحق.

⁴ سعيدوني: الزوايا... المرجع السابق، ص: 11.

⁵ - RINN: o p, cit, p: 452.

- محمد نسيب: المرجع السابق، ص: 151.
- العقبى: المرجع السابق، ص: 155.

⁶ RINN: o p, cit, p: 452.

- سعد الله: المرجع السابق، ص: 514.
- العقبى: المرجع السابق، ص: 155.

⁷ RINN: IBIDM, p: 452.

⁸ IBIDM.

⁹ سعيدوني: الزوايا، ص: 11.

¹⁰ سعد الله: المرجع السابق، ص: 514.

العلاقة بين الرجلين تتوطد أكثر. ولعل اختيار الشيخ الحفناوي لـ: أمجد بن عبد الرحمن، في نشر الطريقة الخلواتية بالسودان، والهند وتركيا.¹ من الجوانب الهامة التي تحدد المكان الذي لزم ابن عبد الرحمن شيخه الحفناوي. وبعد عودته من المناطق التي نشر فيها الطريقة الخلواتية، عاد إلى مصر، وأخذ الإذن من شيخه، وتوجه إلى بلده الأصلي سنة 1183-1770.² مع زوجته وخادمين سودانيين معه، وبعد وصوله إلى بلده. أسس زاوية بمسقط رأسه، يعلم فيها معالم الطريقة الخلواتية.³ ومن هذه الزاوية بدأ ينشر طريقته، بين المريدين الذين تزايد عددهم، الذين توافدوا عليه من مختلف جهات المنطقة، والمناطق الأخرى. فتوجس منه المرابطون الآخرون خيفة، وبدؤوا يكيدون له، وبعارضون طريقته الجديدة، التي أخذت اسمه.⁴ وأخذت تتوسع ويتزايد أتباعها يوما بعد يوم. وفي نفس الوقت يتزايد ضغط المعارضين له، فانتقل إلى مدينة الجزائر العاصمة. بعد أن اتصل بإمام مسجد الحامة - فأسس بقربه زاويته الثانية، التي افتتحت أبوابها للطلبة والمريدين، الذين أقبلوا عليه وعلى طريقته إقبالا كبيرا.⁵ فكان لهذا الإقبال على الشيخ أمجد بن عبد الرحمن تأثيره أيضا على علماء المدينة، الذين ثاروا ضده، وأفتى الحاج علي بن أمين بان درويشا من القبائل قد جاء بطريقة صوفية جديدة إلى المنطقة (الجزائر) والتي لا بد من توقيف نشاطها، والتعاون مع السلطة المركزية.⁶ التي رأت فيه خطرا على نفوذها، خاصة وأن معظم أتباع هذه الطريقة من الطبقات الفقيرة التي تتحمل أعباء الدولة.⁷ والتي يمكن أن توجه لإثارة القلائل ضد النظام.

- وما إن بلغ خبر هذه الفتوى عرشه، حتى هبت قبيلته، وأتباعه من

جرجرة، في مظاهرة كبيرة، زعزعت السلطة المركزية، فاضطر الداوي «مصطفى باشا» إلى إصدار فتوى أخرى عن طريق المجلس العلمي لمدينة الجزائر، تلغي الفتوى الأولى.⁸ وتعترف بان دروس الشيخ موافقة للسنة النبوية.⁹

¹ RINN: IBIDM: p: 453.

- سعد الله: المرجع السابق، ص: 514.

- العقبى: المرجع السابق، ص: 156.

² نسيب: المرجع السابق، ص: 152.

³ RINN: IBID, p: 453.

-ROZET et CARETTE: o p, cit., p: 137.

- BROSS LARD: o p, cit, p: 31.

⁴ - RINN: IBID: p: 453.

⁵IBIDM, p:453.

⁶ IBID, p: 554.

⁷ العقبى: المرجع السابق، ص: 157.

⁸ DEPONT et COPPOLANI: o p, cit, p: 383.

- ROZET et CARETTE: o p, cit, p: 137

⁹ نسيب: المرجع السابق، ص: 152-153.

وبالرغم من هذه الفتوى، إلا أن الشيخ رأى بأن بقاءه في مدينة الجزائر، لا يخدم زاويته ولا طريقته، فقرر العودة إلى زاويته الأصلية ببني إسماعيل، التي استقر بها.¹

- بعد ستة أشهر من استقراره، استدعى أتباعه (الإخوان) وقال لهم: «أريد تنصيب خليفة لي، وهو الشيخ علي بن عيسى المغربي، فهو من أهل الخير والصلاح والفضل، فاشهدوا بانني قد استخلفته مكاني، ومنحته كل سلطاتي، فأوصيكم بطاعته، فإنه يمثل وجهي ولساني». ² وقد كتب هذه الوصية بيده، وأشهد على ذلك الإخوان، والأتباع، وزوجه ابنته. ³ وبعد مدة توفي سنة 1208هـ / 1794م. ⁴ وبذلك انتقل تسيير الزاوية الرحمانية إلى الشيخ علي بن عيسى المغربي، الذي واصل على نهج شيخه فيما بين 1208هـ / 1794م إلى 1251هـ / 1836م. ⁵

انتشار الطريقة:

عرفت الطريقة انتشارا واسعا في معظم منطقة القبائل، وذلك نتيجة انتشار أتباع، ومريدي هذه الطريقة (الإخوان)، خاصة في القرن الثالث عشر هجري / التاسع عشر ميلادي، بفعل تواجد العديد من المشايخ والأساتذة، الذين تعلموا بزاوية سيدي أمحمد، أو على أحد أتباعه، وهؤلاء بدورهم قاموا بنشر هذه الطريقة، في مختلف جهات المنطقة، وذلك بداية من القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد، خاصة بعد أن وضع الشيخ أحمد بن الطيب بن صالح الرحموني رجزا في الفقه ظل قضاة جرجرة يستعملونه. ⁶ ويذهب الآخرون إلى أن معظم علماء نهاية القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد، الذين تلقوا تعليمهم في زوايا منطقة جرجرة، قد تأثروا بها، وعملوا على نشرها في المناطق التي جاؤوا منها سواء في زاوية الشرقية، أو الغربية. ⁷

وبذلك أضحت الطريقة من أهم الطرق الصوفية انتشارا في منطقة القبائل خاصة، والشرق الجزائري، بل حتى تونس وطرابلس الغرب عامة. ⁸ وحتى بالقاهرة. ⁹ في النصف الأول من القرن الثالث عشر هجري / التاسع عشر ميلادي،

عرفت الطريقة انتشارا واسعا خارج منطقة القبائل، وذلك نتيجة انتقال طلبة سيدي عبد الرحمن إلى المناطق الداخلية، مثل سي مصطفى باش

¹ نفسه، ص: 153.

² نقلا عن الوثيقة الأصلية من: ساجي. وكذلك:
- نسيب: المرجع السابق، ص: 153.

³ RINN: o p, cit, p: 449.

⁴ DEPONT et COPPOLANI: o p, cit p: 38

⁵ RINN: IBID, pp: 456 – 457.

- سعيدوني: المرجع السابق، ص: 11 -

⁶ سعد الله: المرجع السابق، ص: 516.

⁷ عبد الكريم بوعمامة: بني يعلی. لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية (ب ت)، ص: 51 - 52.

⁸ سعد الله: المرجع السابق، ص: 516.

⁹ DEPONT et COPPOLANI: IBID, p: 390.

طرزي، الذي أخذ الميثاق وأصبح خليفة الطريقة بقسنطينة في حياة الشيخ محمد بن عبد الرحمن، وكذا سيدي محمد بن عزوز من الزيان- بسكرة- الذي عمل على نقل الطريقة.¹ نحو الجنوب فانتشر في المناطق الصحراوية بواسطة الأتباع (الإخوان) والطلبة النجباء. أمثال: سيدي علي بن أعمر، والشيخ المختار بن خليفة (من أولاد جلال)، وسيدي لمبارك بن قويدر، وسيدي صدوق بلحاج من خنقة سيدي ناجي...² هذا بالنسبة إلى انتشار الطريقة الرحمانية خارج منطقة القبائل.³

أما أهم مراكزها داخل المنطقة، فإنها تتمثل في: معاتقة، وسيدي نعمان التي أسس بها سي محمد أمزيان- وهو أحد أبناء الحاج محمد الجعدي- زاويته بها.⁴ وبالنسبة إلى معاتقة، فيعود السبب إلى تواجد الشيخ بلقاسم الحافظ المعاتقي.⁵ هذا إلى جانب إقامة ولدي الشيخ الحاج البشير (وهما الصالح ومحمد البشير) الحضرة لأتباع الطريقة بقرية "إغندوسن".⁶

- وإذا عدنا إلى الإحصائيات التي أوردها كل من رين (RINN)، و ديبو وكوبولاني (DEPONT et COPPOLANI)، فإننا نلاحظ بأن انتشار زوايا وأتباع هذه الطريقة، سواء في القبائل الشرقية، أو الغربية، مرتفع جدا مقارنة بالطريقتين السابقتين، ففي البلدية المختلطة لأقبو وحدها، نجد بأن رين (RINN) يذكر بأن عدد الزوايا الرحمانية 37 زاوية، ومقدميها 14 مقدا. أما أتباعها، فإنهم يتجاوزون 3000 من الإخوان.⁷

وكذا بالنسبة لكوبولاني (COPPOLANI)، الذي يورد في إحصائياته بأن البلدية المختلطة لأقبو تحتوي على 15 زاوية، و6 وكلاء، وشيخ واحد، و18 مقدا، و3386 من الإخوان، و580 من الأخوات.⁸ فهذه الإحصائيات التي تبين مدى انتشارها بين سكان المنطقة، وتنوع أتباعها حتى بين العنصر النسوي. غير أن عدد الزوايا التي ذكرت، لا تعكس بشكل حقيقي هذه الزوايا، لأن أهمها زاوية صدوق أوفلة (للشيخ الحداد)، وزاوية بوجلليل (لأبي القاسم البوجلليلي).⁹ غير أن هذا العدد سواء عند رين أو كوبولاني ربما يدل على المزارات والقبب المنتشرة في محيط أقبوا، وهي ليست كلها رحمانية، وإنما يقوم الإخوان الرحمانيون بزيارتها، وإقامة الزردات والحفلات بالقرب منها.

¹ IBIDM, p: 395.

² IBIDM, p: 395.

IBIDM, pp: 395 - 410

³ ROZET et CARETTE: op.cit, p: 138.

⁴ RINN: op.cit, p: 459.

⁵ سعد الله: المرجع السابق، ص: 549.

⁶ RINN: IBID, p:459.

⁷ IBIDM, p:537.

⁸ o p, cit, p: 391

⁹ شيخ المقرئين، في عصره وأستاذ متمرس في العلوم كالنحو والفقه والمنطق ... وهو صوفي رحماني، درس على مجموعة من علماء عصره، أمثال الشيخ العربي الأخراسي ومحمد بن علي بن مالك .. وذلك بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي. ولقد ترك مجموعة من المؤلفات أهمها: التبصرة في القراءات في القراءات العشر، وإعراب المبيئات، والنور السراجي... توفي في 18-05-1316هـ/04-10-1898م. انظر البصائر، ع 130، ص 07.

وأعتقد بأن هذا هو الشيء الذي جعلهما يجعلان هذه المزارات والقرب بمثابة زوايا الطريقة بالمنطقة. أما بالنسبة لزواوة الغربية, فإن الأتباع كذلك كثيرون, ولعل البلدية المختلطة لجرجرة تعكس ذلك. فمن خلال الجدول الملحق, يتبين بأن تمرکز أتباعها منتشر بمنطقة القبائل عامة, ولعل ذلك يعود إلى وجود الزاوية الأم بهذه المنطقة وكثرة المریدين التابعين لها.

فرين () (RINN يقدم إحصائيات عن هذه البلدية التي بلغ عدد سكانها 58843 ن, وتتواجد بها 27 زاوية, و27 مقدا, و6556 من الإخوان.¹ أما كوبولاني, فإنه يذكر في إحصائياته بأن عدد المقدمين للطريقة في البلدية نفسها لا يتجاوز عددهم 10 مقدمين. أما الزوايا, فلا يذكر أية زاوية, بينما عدد الإخوان فحوالي 1120 بين الجنسين.²

- حتى وإن كان هناك تضارب في أرقام هذه الإحصائيات, إلا أن الطريقة الرحمانية قد استحوذت على سكان المنطقة, وأثرت فيهم كثيرا.³

- وعن أصولها: فإن البعض يرى بأنها تأثرت- إلى حد كبير- بالثقافة الهندية, إذ يستعمل

الرحمانيون طريقة التحملق مرددين لفظ الجلالة بالتدرج حتى يصلوا إلى حالة الحال.⁴ وربما يعود ذلك إلى بقاء مؤسسها بالهند مدة من الزمن.

4 - الطرق الأخرى:

تواجدت بالمنطقة مجموعة من الطرق الصوفية, والتي كان لها دور- حتى وإن كان بسيطاً- على حركة التصوف بالمنطقة. هذه الطرق الصوفية المنتشرة هنا وهناك. فتارة نجد عائلة تبنت طريقة معينة, في قرية ما, دون أن تنتشر هذه الطريقة بين سكان القرية, وذلك بفعل العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد هذه العائلة, باتباع الطريقة في منطقتها الأصلية, أو المناطق الأخرى. ونتيجة تأثيراتها البسيطة, أو القليلة جداً, فإنني لا أركز عليها. بل أكتفي بذكرها, وذلك من أجل إبراز وجودها بالمنطقة. ومن بين أهمها:

- العيساوية (أو عيساوة): نسبة إلى محمد بن عيسى (ت 930هـ/

1524م) بمكناس, وهي طريقة تنتمي إلى الطريقة الشاذلية.⁵ وتواجدها بالمنطقة يرتكز على بعض الأتباع في كل من: أسفل جبل سيدي أبي اللواء (سيدي بالوة) بتيزي وزو, وكذلك في حوض بوغني.⁶ أما في المنطقة الشرقية, فإن الطريقة تتركز زاويتها بقسنطينة, وعنابة, غير أن لها أتباع في

¹ Op.cit, p 530.

² Rinn:op,cit, p 330.

³ انظر الفصل الثالث.

⁴ سعد الله, مرجع سابق, ص 415. وحالة الحال هي أعلى درجات الانجذاب.

⁵ Deppon et Coppelani, op.cit, p 349.

⁶ Aissani, op.cit, p 08.

كل من بجاية و أقبو. ⁷ وعليّكل فإن تأثيرها بسيط جدا، ولا يظهر إلا من خلال بعض الحضارات التي قيمها أتباعها.

- الطريقة العمارية: نسبة إلى سيدي عمار بوسنة (ت 1123هـ/

1712م)، وهي تنتمي إلى الطريقة القادرية. ¹ وتأثيرها يظهر من خلال الزيارات التي يقوم بها أتباعها في يوم عاشوراء إلى المنطقة. أما توأجدها، فهو بجعات متعددة بالمنطقة، سواء بزواوة الشرقية: كمدينة بجاية، وأقبو، وبنو منصور، أو الزواوة الغربية في: مدينة برج منايل، والأربعاء، وبنو إيراثن (الحصن الوطني)، وذراع الميزان... ²

- الطريقة الدرقاوية: تنتمي إلى الطريقة الشاذلية، ومعظم أتباعها من

الشرفاء. ³ تنسب إلى مؤسسها مولاي العربي الدرقاوي المولود في منتصف القرن الثامن عشر، بقبيلة درقاوة. ويعتبر ابن الأحرش البودالي الذي ينتمي إلى زواوة الشرقية، والذي كلفه الشيخ وزان في نشر الطريقة الشاذلية في الجزائر، الذي كانت له علاقات بمشايخ الطرق الأخرى بمنطقة القبائل. ⁴ ولهذه الطريقة دور في الصراع بين السلطة المركزية، والقبائل المتمردة في الشرق الجزائري، حيث قاد محمد الشريف بن الأحرش ثورة علي باي قسنطينة (الباي عثمان) الذي قتل في معركة وادي الزهور. ⁵ وفي سنة 1806 ظهر مرة أخرى هذا الدرقاوي المتمرد في جبال بجاية، وتمكن من كسب عدة أنصار من سكان تلك الناحية، فحاول أن يضرب الحصار على المدينة، خاصة بعد أن وجد الدعم من المرابط ابن بركات الذي ينتسب إلى الطريقة الرحمانية. ⁶

- هذا إلى جانب طرق صوفية أخرى بالمنطقة، وقد سبق أن ذكرت بعضها في المبحث السابق، وهذه الطرق الصوفية قد تركت أثارا مختلفة في حياة سكان منطقة القبائل، والتي سآبرزها في الفصلين القادمين. ومن خلال هذا يمكن أن ابرز أهم النقاط الرئيسية فيما يتعلق بدور القوى الدينية في المنطقة، وأهم هذه القوى التي يتزعمها المرابطون المتصوفون الذين انتشروا في المنطقة منذ ما قبل القرن التاسع الهجري، وزاد انتشارهم أكثر فيما بين القرن العاشر والثالث الهجريين، بفعل انتشار الطرق الصوفية، وتوغل الكثير منها في الجهات الداخلية، والتي تتميز بانتمائها المشرقي. أما القرن 18م فقد عرف ظهور طريقة محلية حتى وان كانت تعاليمها مشرقية، ولكنها تمكنت بفضل المزج بين العرف والشرع، من كسب عقول الناس، مما جعلها تسيطر على المنطقة كلها ألا وهي الطريقة الرحمانية.

⁷ Deppon et Coppolani, op.cit, p 353.

¹ IBID, p 356.

² IBID, p 366.

³ Deppon et Coppolani, op.cit, p 503.

⁴ Aissani, op.cit, p 10. et Rozet et Carette, op.cit, p 139.

⁵ أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 86.

⁶ Vaissette, op.cit, p 264 .

الفصل الثالث

تأثير القوى الدينية في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

المبحث الأول: تأثير القوى الدينية ومواقفها في الحياة

السياسية:

- مواقف القوى الدينية من الحملات العثمانية.
- الأساليب المتبعة لإخضاع المنطقة، وموقف القوى الدينية منها.
- دور القوى الدينية في الحياة السياسية بالمنطقة، ومواقفها في تأمين الطرق.
- العلاقة بين القوى الدينية والسلطة المركزية.

المبحث الثاني: تأثير القوى الدينية في الحياة

الاجتماعية:

- تأثير القوى الدينية على المجتمع، وبعض مواقفها.
- فك الخصومات.
- القضاء.

المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في الحياة

الاقتصادية:

- الإعفاء من الضرائب.
- انتشار الحبس والوقف.
- ظاهرة العشر (إشريكن، ثغفارت).

المبحث الأول: تأثير القوى الدينية في الحياة السياسية:

يظهر تأثير القوى الدينية في الحياة السياسية بالمنطقة وبشكل واضح وكبير، في الدور الذي كانت تقوم به في الحياة اليومية للسكان، فالأولياء والأشراف والمرابطون المنتشرون في مختلف جهات المنطقة، كان لهم تأثير في حياة الناس فيها. إذ كان السكان ينقادون لهم ويستجيبون لتوجهاتهم، وهو أمر ملحوظ لا يخفى على أحد.¹ خاصة إذا علمنا بأن معظم جهات هذه المنطقة من القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك لاحتماهم بالمناطق الجبلية الوعرة، التي تساعدهم في الدفاع عن أنفسهم.

كما أن انتشار ظاهرة الولاية بالمنطقة، وهي الظاهرة التي تزعمها الأشراف، والمتصوفون، ليس فقط في المنطقة بل في كامل المغرب الإسلامي. وفي الفترة موضوع البحث مالت تلك القوى إلى الانفصال عن السلطة السياسية المركزية في الجزائر فهي الحالة الأساسية التي جعلتهم يسعون إلى الانفصال عن السلطة المركزية، وتكوين إمارات لهم مستقلة في مختلف الجهات، ومن بينها: منطقة القبائل: التي كانت العوامل الطبيعية إحدى الجوانب المساعدة على تحقيق هذه الظاهرة. وهذا ما دفعنا إلى طرح تساؤلات عدة من أهمها:

- لماذا وقفت القوى الدينية المحلية إلى جانب العثمانيين في بداية الأمر، ولماذا تراجع بعضها في النهاية؟ وما علاقة ذلك بتواجد الإدارة العثمانية في بعض جهات المنطقة؟
وللإجابة على هذا، أرى من الضروري توضيح ذلك من خلال:

موقف القوى الدينية من الحملات العثمانية:

إن دخول العثمانيين إلى المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة، جاء نتيجة استنجد السكان بهم، بعدما فشلت الزعامات المحلية في الدفاع عن البلاد والعباد، أمام تزايد الخطر الإسباني بعد سقوط الأندلس، فكان لملاحقة الإسبان المسيحيين للمسلمين الفارين إلى سواحل البلاد المغاربية، ونجاحهم في احتلال مواقع عديدة على تلك السواحل، التي عجز الزيانيون، والحفصيون، والوطاسيون في الدفاع عنها، سببا في قيام السكان، وعلى رأسهم بعض الزعامات الدينية، القبلية، بالاستنجد بالإخوة بربروس²، الذين استجابوا لندائهم وقدموا إلى المنطقة وشرعوا في محاولة تحرير بجاية. من أيدي الإسبان المحتلين، وهذا ما جعل السكان عامة، والمتصوفين خاصة، ينظرون إليهم، على أنهم مجاهدون منقذون لهم، ولبلادهم، فوقفوا إلى جانبهم وأزروهم، بل انضموا إلى جيوشهم وحرصوا السكان على ذلك. وهكذا بدأ عهد التعاون القوي بين الطرفين، وتواصل إلى غاية تحرير ميناء بجاية سنة 963هـ/1555م.

فهذه المرحلة، تميزت بتعاون الزعامات الدينية المحلية، وتجلي ذلك في زواوة الشرقية: حيث كانت إمارة بني عباس قائمة في القلعة³، في ميلها إلى

¹ - BROUSSELARD: o p, cit., p: 01.

² - المجهول: غزوات...، المصدر السابق، ص: 25 و 27.

³ - المصدر نفسه، ص، 45.

جانب الإخوة بربروس ورفاقهم، وكذلك في فتحها أبواب مؤسساتهم وزواياهم للمجاهدين القادمين إلى المنطقة¹.

أما في زواوة الغربية، فتجلى تعاونهم من خلال في وقوف أحمد بن القاضي إلى جانبهم، ودعوته لهم إلى تحرير مدينة بجاية وغيرها من المواقع المحتلة مما يؤكد ارتباط القوى الدينية في المنطقة بالسلطة العثمانية² خلال هذه المرحلة.

وتعود أسباب هذا التآزر، والتعاون بين القوى الدينية المحلية، والسلطة العثمانية بالجزائر إلى:

1- الخطر الخارجي: وبالذات الخطر الأيبيري المسيحي، الذي ما انفك يتزايد في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فهذا الخطر هو الذي دفع السكان إلى الالتفاف حول قوة عسكرية إسلامية جديدة، حتى وإن كانت وافدة عليهم، ما دامت قد جاءت من أجل الدفاع عنهم، وتمتلك المقومات العسكرية، التي يمكن أن تستغل في تحرير البلاد، والعباد. من الاحتلال الأيبيري الأمر الذي جعل القوى المحلية تتعاون مع القوة العثمانية تحت راية الجهاد في سبيل الله، لأن الغزو الأيبيري للسواحل الإسلامية، امتداد للحروب الصليبية، التي انتهت في المشرق الإسلامي، لتتواصل في مغربه، بزعامة (إزبيلا، وفردنا ندو) وخلفائهما، وبذلك أصبح توحيد قواتهم للدفاع عن بلادهم واجبا على المسلمين كافة للدفاع عن بلادهم، فوقع التحالف بين القوتين: الدينية المحلية، والعثمانية القادمة، لإنقاذ السكان³. خاصة وأن من أساليب الحكم العثماني: التقرب إلى الزعامات الروحية، والاعتماد على المرابطين والعلماء في وقت الشدة، باعتبارهم يمثلون الرأي العام، ويؤثرون بالنصح والموعظة والنفوذ الروحي في العامة⁴.

إن هذه النظرة العثمانية إلى الأولياء، والأشراف، والمرابطين، كانت من العوامل التي ساعدت هؤلاء في التقرب إليهم، والوقوف إلى جانبهم ضد النصارى، طيلة فترة الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، ليس فقط الواقعة في موضوع البحث بل حتى في المناطق الأخرى. وهو ما تجلى في مساعدة أمراء بني عباس، في فتح مدينة تلمسان سنة 952هـ/1545م، التي كان سلطانها أحمد مواليا للإسبان⁵. وكذلك مواصلة التعاون معهم في السنوات اللاحقة من أجل توسيع نفوذهم، في مختلف مناطق البلاد. والتصدي للأخطار الخارجية كتعاونهم معهم في التصدي لحملة السعديين ومشاركتهم في التوسع نحو الجنوب، على حساب إمارة بني جلاب، بتقرت وورقلة في حدود سنة 959هـ/1552م⁶. وهذا التعاون لم يقتصر على القوى النافذة في

¹ - سعد الله: تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ج1، ص ص، 460-461.

² - المجهول: المصدر السابق، ص، 45.

³ - عمار بن خروف: ندوة بمعهد القراءات الجزائرية يوم: 17/04/2006.

⁴ - سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص، 45.

⁵ ابن خروف، ، ج 01، ص 35.0

⁶ - مرمول: المصدر السابق، ص 386. وكذلك:

المنطقة، بل نجد بأن السلطة قد اعتمدت على القوى الدينية المتمثلة في المتصوفين، والأولياء، والمرابطين، المشهورين، أمثال: المرابط سيدي محمد أمقران، الذي كانت له شهرة كبيرة في بجاية¹، ونواحيها الشرقية حتى جيجل، فاتصل به العثمانيون مانحين له عدة امتيازات، مقابل وقوفه إلى جانبهم، ومساعدته لهم في بسط نفوذهم على هذه الناحية².

فالعلاقة بين العثمانيين والمرابطين، في هذه المرحلة قد اتسعت بشكل كبير، « وشاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين »³، مما ساعد الناس في الإقبال على الطرائق الصوفية، فتكاثر عددها، وتعددت غاياتها. إن طبيعة العلاقة بين المرابطين والعثمانيين في هذه المرحلة، قد حددها الخطر الخارجي، الذي أجل ظهور الصراع الداخلي بين الطرفين إلى ما بعد استكمال التحرير الكامل للسواحل الجزائرية من الاحتلال الإسباني. ويظهر هنا دور عامل الجهاد في توحيد القوى الدينية، واستمالة السكان إلى جانب العثمانيين في مواجهة الخطر الخارجي، لأن الغاية التي كان يعمل على تحقيقها السكان في المغرب الإسلامي عامة، هي وجود قوة حازمة وإن كانت مستبدة. غير أنه لا بد أن تحافظ على فرائض الدين والشريعة بكل دقة⁴، وأن تكون أفعال الحاكم نموذجاً للزهد والتقوى، ومتفقة مع الإسلام الذي يعلن الجهاد في وجه الكفار. وهي الظاهرة التي وفرت لها منطقة القبائل، وزواياها، الظروف المناسبة⁵، التي ساعدت وأيدت - إلى حد كبير - ذلك التعاون بين المتصوفين، والمجاهدين الذين حلوا بالمنطقة من أجل إنقاذها، وطرد الكفار منها، والتي دامت إلى غاية تحرير مدينة بجاية من الإسبان، في عهد صالح رايس سنة 963هـ/ 1555م⁶، الذي حاول أن يستفيد من المواصفات، التي يرغب فيها السكان، والتي يحب توافرها في حاكمه.

2- الاضطرابات الداخلية: تعتبر منطقة القبائل، من المناطق المتميزة

بتركيبها البشرية، والجغرافية، التي لها علاقة مباشرة بالحياة السياسية، حيث نجد بأن القبائلي، لم يتجرد من التنظيم السياسي الذي عرفته المنطقة منذ القديم، وهو التنظيم القائم على العرف، الذي لا يعترف بالكيان السياسي، إلا في حدود القبيلة، أو العرش، الذي ينتمي إليه⁷، وذلك بفعل تأثير العوامل الاقتصادية، والاجتماعية. فهذه العوامل المهمة صعبت إخضاع السكان في المنطقة إلى سلطة مركزية واحدة⁸، وجعلتهم ينقسمون إلى تجمعات متحالفة في شكل صفوف متعادلة، وهي ظاهرة منتشرة حتى داخل الأسرة الواحدة،

¹ -- FERAUD: "Exploitation des forêts de la KARASTA dans la Kabylie orientale sous la domination turque", in: RA, N°12, 1868, o p u, Alger, 1986, pp 381-382.

² - - Ibid: P 383.

³ - سعد الله: تاريخ، المرجع السابق، ج1، ص 472.

⁴ - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 418.

⁵ - ألفرد بل: نفسه، ص 431.

⁶ - - (CH) FERAUD: Note sur Bougie, légendes tradition (occupation Espagnole), in: RA, N°3 et 4, année 1858 et 1859, o p u, Alger, P 46.

⁷ - ساحي، عهد الإمارة، ص، 18 .

⁸ - شالر: المصدر السابق، ص 116.

مثلما يذكر "هانوتو وليتورنو" (HANOTEAU et LETOURNEUX)¹، اللذين يعيدان أسباب هذا الانقسام إلى العوامل الاقتصادية، التي لها تأثير في حياة السكان. غير أن ظاهرة الصفوف كانت تتوارى بظهور خطر خارجي، سواء كان هذا الخطر محليا، أم خارجيا. مما يوحي بأن ظاهرة الصفوف، كانت أسلوبا اقتصاديا، هدفه الحفاظ على الثروة المحلية الشحيحة، وتنظيم الاستفادة منها بالدرجة الأولى. أما علاقتها بالاضطرابات الداخلية للمنطقة، فإن ذلك لا ينتج إلا في حالات معينة، ككسر (لعناية) أو الثأر أو الوسيقة²، أو الاعتداء على حرمة العرش، كما وقع في عرش مشدالة، وهي الحادثة التي أدت إلى نزاع بين الصفوف، بفعل امرأة جميلة تنتمي إلى قرية بني ولفان من العرش نفسه. والتي تقدم إليها الكثير من الخطاب، غير أنها ارتبطت برجل من قرية امحمودن، إلا أن شخصا ذو مكانة مرموقة في العرش ينتمي إلى صف أولاد مسلم حاول الزواج بها وسعى إلى تطليقها من زوجها الأول الذي ينتمي إلى أولاد ناصر. فهذه الحادثة أدت إلى صراع دموي بين أفراد العرش وسقط خلاله عدد من القتلى بين الصفيين، ولم تنته إلا بعد تدخل باي قسنطينة سنة 1818م (الباي المملوك)³.

إن النمط التقليدي القبلي⁴، المتبع في المنطقة، كان من العوامل التي تركت نوعا من الفراغ الإداري، والسياسي بين السكان، وساعد ذلك على صعوبة الولاء السياسي للمنطقة إلى أية قوة سياسية قارة⁵، خاصة وأن السكان يميلون بطبعهم إلى الحرية، والديمقراطية، وأنهم يفضلون القوة المستمدة من نظام الجماعة (ثاجماعث)⁶. وهذه الطبيعة جعلتهم لا يثقون في قادتهم السياسيين ثقة مطلقة، بل يسعون إلى مراقبة أعمالهم، ونقد تصرفاتهم، مما يجعل الاستقرار السياسي بالمنطقة نادرا، بل تتعرض إلى اضطرابات وتقلبات سياسية من حين إلى آخر، مما جعل حالة الفوضى والفتن صفة دائمة بين سكان المنطقة.

ومما كان يساعد أيضا على الاضطراب في المنطقة، هو سعي الزعامات المحلية فيها إلى تسخير العامة في خدمتهم. فأمير كوكو (عمر ولقاضي) في غرب المنطقة كانت له عادة تسخير السكان ودوابهم في خدمته خلال فصل الصيف، رغم عدم قدرتهم على إنجاز أعمالهم الخاصة، مما تسبب في كراهيتهم للنظام القاضوي الذي استغل الإمكانيات المتواضعة للرعية، في خدمة أغراضه الخاصة.⁷ ويحد من حريتهم التي ورثوها أبا عن جد مما جعلهم ينتهزون الفرص للثورة عليه.

¹ - - o p, cit, 2eme tome, P 18.

² - المجهول: مخ، م. و. ج، رقم 3012، ص 12.

³ - أنظر: - ROBIN: la grand kabylie sous le régime Turc, presentation et notes de Alain (J.N) - MAHé, éditions BOUCHENE, France, 1998, P P 73-77 et 81

⁴ - - BOULIFA: o p, cit., P 194.

⁵ - ساهي: المرجع السابق ص 19.

⁶ - BOULIFA: IBID, P 194.

⁷ - BOULIFA: o p, cit., P 201.

وكان الأمر في شرق المنطقة مشابها لما هو في غربها إلى حد كبير. فأمرأء بني عباس فيها كانوا لا يختلفون عن آل القاضي، في صفة الإقطاعية، لاعتمادهم في مواردهم على ما تدره المنطقة من أموال الضرائب، والإتاوات التي يتحصلون عليها، من المواطنين والفلاحين. مما كان يثير تدمرهم واستيائهم، وميلهم إلى التمرد والعصيان.

وقد عمد أمرأء بني عباس إلى استخدام الدسائس والرشوة، لتحقيق سلطتهم. ومن أجل القضاء على الاضطراب الداخلي الذي كان يقوم به سكان المنطقة، وإبقاء المنطقة خاضعة لنفوذهم¹، كانوا لا يتورعون للتمكين لأنفسهم عن تغذية الصراع بين السكان، وإحداث الانقسام بينهم وإثارة بعضهم على بعض لإضعاف الطرفين.

هذا وتقرب الأمرأء إلى بعض الشخصيات الدينية الصوفية لاستمالة السكان إليهم، كما هو حال سيدي علي أوطالب²، الذي مال إلى آل القاضي، وانتقل إلى زاوية كوكو بآث يحيى، عاصمة الإمارة، معلنا ولاءه لهم، وذلك حتى تكون لهذه الزاوية تأثيرات على سكان المنطقة.

وكانت السلطة المركزية العثمانية من جهتها تعتمد إلى جانب تغذية الصراع بين السكان، والإمارتين المحليتين، من أجل إضعاف قوتها العسكرية، وعملت على خلق العداوة بين مختلف العشائر، حتى لا يكون هناك من يعارضها، أو يقف في وجهها³.

لقد كانت هذه العوامل والأحداث سببا في انتشار الاضطرابات المحلية، وفقدان المنطقة للاستقرار، والأمن، والزعامة القادرة على استعادة الهدوء إليها. وفي ظل ازدياد التهديد الخارجي المسيحي للسواحل المغاربية عامة، وسواحل المنطقة، خاصة بعد احتلال بجاية من قبل الأسبان سنة 1510م. فلم يجد سكانها من يدود عنهم، فهبوا إلى مناصرة القوة الإسلامية الجديدة، المتمثلة في القوة العثمانية، بل أعلنوا استعدادهم للوقوف إلى جانبها، ومساعدتها في الدفاع عن المنطقة، واستقرارهم فيها⁴.

وأما عهد الصراع بين القوى الصوفية الدينية، والسلطة

المركزية: فيبدأ من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م. وقد تميزت هذه الفترة باختلال كبير في التوازن بين الشرق الإسلامي عامة، والغرب المسيحي، بفعل التطور الحاصل في القارة الأوربية نتيجة الثورة الصناعية، التي بدأت معالمها تظهر في مختلف الميادين، خاصة منها العسكرية، والتي كان لها الأثر الكبير في تراجع الإتاوات البحرية والضرائب، التي كانت تدفعها

¹ - - BOULIFA: IBID, P 214.

² - سيدي علي أوطالب أو بن طالب: ولد بقرية تيزا قرب أزفون في تاريخ غير معلوم، ونزح إلى كوكو (آث يحيى). وهو عبارة عن بودالي من عيال الله ودرا وشته، ورهبتهم لمكانتهم في القبائل، وفي القلوب، وقد اتخذ أمرأء كوكو بمثابة مرجعية دينية، وفي مواجهة المعارضين لهم وخصومهم الذين يتزعّمهم سيدي منصور الجنادي، توفي سنة 1105هـ/ 1693م.

- ساحي: علماء من زاوية...، المرجع السابق، ص 134-136.

³ - الزبيرى: مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، ط2، م. و. ن. ت، الجزائر، 1985، ص 62.

⁴ - الغزوات: ص 45.

معظم الدول الأوربية للدولة الجزائرية، وهي التي كانت من أهم موارد الخزينة، وذلك نتيجة تراجع القوة العسكرية البحرية الجزائرية، خاصة في بداية القرن الثامن عشر ميلادي¹، فتوجهت السلطة المركزية إلى زيادة الضرائب على الرعية، وتقليص الامتيازات التي كان يتمتع بها العلماء، والأولياء، والمتصوفون، وذلك لتعويض ذلك النقص. فتحوّلت هذه القوى الدينية إلى معارضة للسلطة، ومالت إلى جانب الرعية، ففقدت بذلك السلطة المركزية أكبر سند وقف إلى جانبها، ولمدة طويلة من الزمن²، والذي يتمثل في المتصوفين والأولياء، وهذا يعود إلى:

أ- تشديد الحكم العثماني قبضته على المناطق الداخلية: كان لتراجع غنائم البحر، والإتاوات والضرائب المفروضة على الدول الأجنبية، دوره الكبير في محاولة بايات الجزائر التوسع على حساب منطقة القبائل، خاصة منها سهل سيباو، وحوض الصومام، وسهل حمزة، ومجانة...³، مما جعل زعماء الطرق الصوفية يقفون، إلى جانب السكان في صد، ومقاومة، محاولات التوسع العثماني بالمنطقة، وكانت أهم هذه الانتفاضات المحلية:

: ثورة قبيلة قشطولة سنة 1170هـ / 1756م، ثم انتقل التمرد إلى عدة جهات من المنطقة⁴.

ب- التشدد في جباية الضرائب من السكان: كان لتراجع موارد الخزينة دوره، في زيادة التشدد في جباية الضرائب من الرعية بمختلف الجهات الخاضعة للسلطة المركزية، وبما أن الطرق الصوفية، ومشايخها، كانوا يميلون إلى السكان، ويتوسطون لهم أمام السلطات السياسية، من الدايات، والبايات، والقبائل المخزنية المكلفة بجمع الضرائب، فإن بعض هؤلاء المتصوفين قد وجدوا أنفسهم بين أمرين:

- إما مسaire السلطة، والتساهل معهم، وشرح الأسباب التي دفعت إلى زيادة الضرائب على الرعية، فتكون نظرة الرعية نحوهم نظرة ازدراء. لكونهم وقفوا ضد مصالح العامة، ولم يدافعوا عنهم، خاصة وأن منهم من يرغب في الزعامة، والنفوذ، والجاه، وذلك نتيجة تزايد الأتباع، الذين يملكون قوة مؤثرة على تغيير النظام⁵، فوجد هؤلاء أنفسهم مجبرين على التعامل مع السلطة الرسمية بمرونة شديدة، مثلما هو الحال بالنسبة إلى الرحمانيين، الذين حافظوا على علاقات متوازنة مع السلطة المركزية. فمن جهة يعمل الرحمانيون، على المحافظة على استقلال زاويتهم وطريقتها، وكذا الدفاع على مصالح السكان

¹ - أرزقي شويتام: نهاية الحكم، ص، 60.

² - ابن خروف: ندوة بمعهد القراءات يوم: 17/04/2006.

³ - سعيدوني: الزوايا...، المرجع السابق، ص 23.

⁴ - H.D. DE GRAMMONT: Histoire d'Alger sous la domination turque, édition LE ROUX, Alger, 1887, P P 278- 282, et P P 310-321.

- ROBIN (N. J): YAHIA AGHA, in: R, A, N°18, année 1874, u. p. o, Alger. P P 59-61.

- BOULIFA: o p, cit., P P 165-205.

⁵ - BROSELARD: o p, cit., p 01.

ورعايتها من جهة أخرى، وإبعاد سلطة الحكام عنهم. أي أن الطريقة اتخذت موقفا يتسم في المعاملة بالحسنى والحدري¹.

- أو معارضة السلطة والخروج عنها، وبذلك تدخل القوى الدينية في صراع حاد مع السلطة، مما يهدد مصالحها، بأن تقدم السلطة على غلق زواياها، وإلغاء الامتيازات التي كانت تتمتع بها ورغم هذه الخطورة في الوقوف موقف المعارضة للسلطة فإننا نجد بعضا من المرابطين أقدموا على ذلك وشجعوا السكان، على الوقوف في وجه السياسة الأتراك العثمانيين والزعامات الإقطاعية المحلية المتمثلة في آل القاضي، وبنو عباس². ومن أوائل المرابطين الذين وقفوا هذا الموقف، نذكر على سبيل المثال الشيخ أعراب بنو إيراثن، ومحمد أوقاسي الذي تزعم مقاومة السياسة العثمانية المركزية في بني جناد، والأعراش الأخرى كبنو واقنون وقشطولة³، مما جعل المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر، تعرف مجموعة من الثورات، التي تطلبت جهودا كبيرة لإخمادها، بواسطة الجيش الإنكشاري بقيادة (الآغا يحيى)⁴.

بالإضافة إلى ابن زعمون في فليسة. الذي ثار على السلطة المركزية في سنتي 1768-67م. ولم تنته هذه الثورة إلا بعد توسط المرابط الشيخ السعدي⁵، وأحمد بن كانون-زعيم قبيلة بني جناد.

وقد وجد القائد محمد الذباح، صعوبة في إخماد تلك الثورات رغم الدعم الذي حصل عليه من الداوي إبراهيم باشا، الذي أمده بأغا الصباحية ومعه نحو مائتي يولدا ش⁶. كما وجد من بعده الآغا يحيى المذكور أعلاه، صعوبة في تهدئة المنطقة، والقضاء على العصيان فيها.

ومن خلال هذا المسح، يمكن القول إن موقف القوى الدينية ممثلة في المتصوفين، والمرابطين، وعلماء المنطقة، من التواجد العثماني تميز في بداية الأمر بالتأييد للعثمانيين القادمين إلى سواحل المغرب الإسلامي عامة، والمنطقة خاصة، والتعاون معهم، وذلك نتيجة الخطر الخارجي، الذي هدد المنطقة، وتمكن من احتلال بعض موانئها، فكان لمظهر الجهاد الإسلامي ضد النصارى المحتلين، أثره في هذا الموقف، خاصة إذا علمنا أن الحالة الداخلية للمنطقة، والمغرب الإسلامي عامة، كانت تستدعي التحالف لمواجهة الخطر المشترك، من قبل الزعامات الدينية، نتيجة الصراع على السلطة، في الإمارات المغاربية، سواء تعلق الأمر بالزيانيين في تلمسان، أو الحفصيين في تونس، وأمرائهم في الأقاليم الخاضعة لهم.

¹ - سعيدوني: الزوايا...، المرجع السابق، ص 25.

² - BOULIFA: o p, cit., P 215.

³ - سعيدوني: القبائل...، المرجع السابق، ص 17.

⁴ - نفسه: ص 17.

⁵ صاحب زاوية تيمزار.

⁶ - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في البناء على النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق: د/أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 163.

إن الأزمة السياسية التي كانت تعاني منها المنطقة خاصة في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، والتي تظهر في الفراغ السياسي الذي كانت تعاني منه المنطقة، كانت عاملا في تحديد معالم الفترة الممتدة من بداية التواجد العثماني سنة 1512م، إلى غاية النصف الثاني من القرن السابع عشر، و العلاقة بين القوى الدينية، والحكم العثماني في الجزائر حيث كان التقارب، والتعاون هو الطابع المميز لتلك العلاقة .

أما في المرحلة الثانية: فظهر فيها تباين المواقف بين السلطة المركزية العثمانية المستقرة، والقوى الدينية في المنطقة، فعلى الرغم من السياسة المتبعة من قبل السلطة المركزية، في مهادنة الطرق الصوفية، والمتصوفين، والعلماء بالمنطقة، بل التقرب إلى بعضهم بشتى الوسائل والطرق. إلا أننا نجد أن هناك معارضة للتوسع العثماني، نتيجة اصطدام مصالحهم مع مصالح السلطة المركزية، لأن توسع السلطة بالمنطقة كان من أجل الحصول على الضرائب بالدرجة الأولى، وهو أمر يؤثر في مداخيل القوى الدينية خاصة أصحاب الزوايا، التي تحصل على مواردها من سكان المنطقة والتي تتكون أساسا من الصدقات، والزكوات المختلفة. ولم يكن بإمكان أولئك السكان الدفع للجهتين فالدفع إلى السلطة المركزية يعرض مصالح الجهة الأخرى إلى الخطر، مما جعل البعض يعارض التوسع العثماني بالمنطقة. وقد واجهت الحكومة العثمانية المعارضين لها في المنطقة بعدة أساليب نوضحها فيما يأتي:

- الأساليب المتبعة لإخضاع المنطقة، وموقف القوى الدينية منها:

إن طبيعة المنطقة، والصراع الذي نشب بين الإمارات المحلية، والسلطة المركزية خلال بداية التوسع العثماني بالمنطقة، والصعوبات التي واجهت هذه الأخيرة في إخضاعها، جعلت الحكام ينظرون إلى هذه المنطقة نظرة خاصة، أملت عليهم إتباع أساليب مرنة في إخضاعها، وجعل سكانها يقبلون بدفع الضرائب إلى السلطة المركزية.

وأهم تلك الأساليب :

1- تنصيب الحاميات في الأبراج وإقرار عشائر قبائل المخزن حولها، وفي الأماكن المهمة.

* إن المتتبع لتوزيع الحاميات والقبائل المخزنية، في المنطقة، يستنتج بأن هذه الظاهرة كان هدفها ضمان إخضاع المناطق الجبلية، ومراقبتها عن طريق سلسلة من الحصون العسكرية، المحيطة بالمنطقة: كأبراج أم نايل، ودلس، وسيباو، بوغني، وحمزة، وبرج بوعريريج، وزمورة، وبجاية¹، تهدف إلى:

* الحيلولة دون حركات تمردية لسكان المنطقة.

¹ - سعيدوني: القبائل، المرجع السابق، ص 14. وكذلك:

- (A) MAHé: o p, cit., P P42, 43.

-Y. NACIB:Chants relegieux du Djurdjura, Sindbad, Paris, 1988, p 23.

* إبقاء السكان الجبليين محصورين في مناطقهم، دون الاتصال بالمناطق السهلية، التي أقيمت بها مراكز للقبائل المخزنية، الحليفة لسلطة البايك، كمخزن عمراوة، سيباو، والزواتنة بيسر، وهاشم بمجانة، وعبيد شمال بقشطولة، وغيرها من القبائل المخزنية، التي أقيمت في المناطق السهلية بالقرب من الأسواق المهمة، ومحطات القوافل عبر الطريق السلطاني الرابط بين دار السلطان، وبايلك الشرق، مروراً بأطراف منطقة القبائل¹.

2- التحكم في الأسواق الموسمية والأسبوعية: حيث تعتبر

الأسواق في منطقة القبائل بمثابة تجمعات اجتماعية، وسياسية، واقتصادية²، تعرض فيها السلع، فلكل سوق نظام خاص، حسب أعراف العرش الذي يقع فيه السوق³، فهذه الأسواق تعتبر بمثابة مراكز هامة للتجمعات السكانية، والتحكم فيها بمثابة المتحكم في قاصديه، وبواسطته يتمكن البايك من مراقبة السلع وفرض الضرائب عليها، فقامت السلطة بوضع القياد الأتراك قريبا، واستعان هؤلاء بمجموعة من فرسان المخزن والحامية التركية، من أجل التحكم فيها وبسط النفوذ عليها، وعندما تحس السلطة بأن سوقا يمكن أن يتعرض للخطر، فإنها تعمل على تغيير موقعه، كما وقع لسوق عين الأربعاء، الذي أمر قائد سيباو، بتحويله إلى سوق على خوجة، الواقع عند ملتقى واد عمراوة، بوادي الكلاب، وسبب هذا التحويل يعود إلى أن قبيلة بني واقدون، حرصت القبائل الأخرى لمهاجمة السوق، والتمرد على الأتراك⁴.

2- إذكاء الصراع بين الزعامات المحلية: كانت السلطة المحلية

تعمل على إذكاء الصراع، بين الزعامات المحلية، وإثارة الفتن، مستغلة في ذلك ميل القبائل إلى الشقاق، لتزيدهم انقساماً وتفريقاً، حتى تضمن لنفسها السيطرة عليهم⁵، وكمثال على هذه الظاهرة: تغذية الصراع بين الإمارات المرابطتين: كوكو بزواوة الغربية، وبني عباس بزواوة الشرقية، وذلك من أجل إضعاف قوتها المادية، والمعنوية. كما أنها استخدمت أسلوب التحايل مع ابن القاضي⁶، وقد تمكنت بفضل هذا التحايل، من اغتياله بواسطة أحد جنوده، ومقريبه بالثنية بني عائشة⁷. وعلى الرغم من هذه النهاية المأساوية، التي انتهى إليها أحمد أولقاضي، والاتفاق، الذي تم التوقيع عليه بين خليفته (الحسين أولقاضي)، و(خير

¹ - سعيدوني والمهدي البوعبدالي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، م. و. ك، الجزائر، 1984، ج4، ص 109.

² - المجهول: سيرة الزواوة، المصدر السابق، ص 15.

³ - عن هذه التنظيمات أنظر: A. Mahé: o p, cit., P 66.

⁴ - سعيدوني والبوعبدالي: المرجع السابق، ص 110.

⁵ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 115.

⁶ - الزباني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدالي، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1972، ص 176.

⁷ - ك. شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر (1510-1541)، ترجمة: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 1991،

ص 48. وكذلك: - BOULIFA: o p, cit., P 131.

(الدين) سنة 935هـ/1529م¹. إلا أن المنطقة بقيت مناوئة للحكم المركزي، حتى تقدم صالح رايس، لخطبة ابنته ومصاهرة العائلة القاضوية، خاصة وأنهم وقفوا إلى جانبه في استرجاع وتحريم مدينة بجاية سنة 1555م².

هذا واتبع الأتراك العثمانيون، السياسة نفسها مع إمارة بني عباس، خاصة في الاستعانة بها، في فتح مدينة تلمسان سنة 952هـ/1545م، وكذلك في سنة 957هـ/1550م، وتحالفوا معها أيضا في التوسع نحو الجنوب على حساب إمارة بني جلاب بتقرت وورقلة، وذلك في حدود سنة 959هـ/1552م³، غير أن هذا التحالف لم يدم طويلا، حيث ثار المقرانيون على السلطة المركزية، ووقعت صدامات عسكرية بين الطرفين، سواء في عهد خير الدين (1519-1534م)، أو في فترة حسن آغا (940-942هـ/1533-1543م)، وكذا في عهد حسن بن خير الدين (951-988هـ/1544-1551م)، وصالح رايس (959-963هـ/1552-1556م)، فاستمر الصراع، والاصطدام بين هذه الأطراف، حتى تمكنت السلطة المركزية من إخضاع الإماراتين، فاستقرت الأوضاع إلى حد ما بين هذه الأطراف المتنازعة⁴.

4- استخدام القوة العسكرية: عندما تفشل السلطة، في استمالة

سكان المنطقة بواسطة الطرق السابقة، فإنها تلتجئ إلى استخدام القوة العسكرية، وذلك من خلال تجهيز الحملات على المنطقة، لترهيب سكانها الممتنعين عن تقديم الضرائب، والمتمردين على سلطتها، وهي الحملات التي تستعمل فيها جميع الوسائل المدمرة، كحرق المزروعات، وتخريب الأراضي التابعة للقبيلة المراد تأديبها، من أجل فرض الصلح⁵، وإجبار السكان على الاستسلام تحت تأثير الظروف الاقتصادية. وهذا الأسلوب هو الذي اتبعته السلطة مع كل من إمارتي: كوكو بجرجرة، وبني عباس بالبيان، خلال صراع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي⁶، ونفس الأسلوب اتبعه قياد برج سيباو، لإخضاع القبائل المتمردة في جرجرة⁷.

¹ - IBID: P 133.

² - SANDOVAL général (C. X) de: les inscriptions d'Oran et MARSALA EL-KÉBIR (notice historique sur les deux place depuis la conquête jusqu'à leur abandon en 1792) traduction: Dr: MONNEREAU, P242.

وكذلك:

- BOYER (P.): " la politique religieuse des turcs", in: R. O. M. M., N°11, 1^{er} semestre, 1966, archives d'outre mer, AIX EN PROVENCE, p 22.

³ - مارمول، المصدر السابق، ص 386. وكذلك:

.BOYER: o p, cit, P 21 -

.BOULIFA: o p, cit, P 109-

⁴ _ سعيدوني: الزوايا، مرجع سابق، ص 23. وكذلك:

- AUGUSTIN BERQUE: «esquisse d'une histoire de la seigneurie Algérienne» IN:R. M., janvier et février, 1949, tom 07, N° 01, publie par l'université d'ALGER, P 20.

⁵ - شالر: المصدر السابق، ص 115.

⁶ - سعيدوني والبوعبدالي: المرجع السابق، ص 110.

⁷ - ROBIN: o p, cit., pp 46-47.et,p98.

5- الاستعانة بالعائلات النافذة بالمنطقة: لم تكتف سلطة البايلك

في إخضاع المنطقة بالأساليب السابقة، بل لجأت إلى الاستعانة بالعائلات النافذة في المنطقة.

ففي زاوية الشرقية، اعتمدت على مجموعة من هذه العائلات التي تتركز في الضفة اليسرى من وادي الساحل، وتتمثل في قبيلة بني وغيليس، وقبيلة مشدالة، اللتان قدمتا مساعدات كبيرة للحملات العثمانية بالمنطقة، كما أن هناك شيوخا ومشيوخات عديدة، في هذه الجهة، تعاملت مع السلطة المركزية، إما للحفاظ على مكتسباتها، أو بحثا عن امتيازات لها، ومن أهمها: أولاد سيدي علي الشريف (بن علي الشريف)، المستقرين بأيلولة أوسامار الشرقية. وكذلك أولاد أوراج عند أهل عبد الجبار الذين يشكلون فرعا من أولاد سي محمد أمقران عند بني مسعود،¹ وكذلك أولاد سي شريف أمزيان بأيلولة.² فمن خلال هذه اللوحة، تظهر نظرة السلطة المركزية نحو المنطقة، والطرق التي اتبعتها في استمالة سكانها، والتعامل معهم، والتي تتمثل في إتباع سياسة مرنة، هدفها الحصول على ما تحتاج إليها السلطة المركزية، دون الخسائر البشرية، وهذا تجنبنا لفتح جبهات للصراع الداخلي من جهة، وحفاظا على قداسة أرواح المسلمين من جهة أخرى، إضافة إلى ضعف دور الإمارة القاضوية، الذي جعل السكان يرتمون في أحضان العثمانيين خاصة في المناطق السهلية.

وبذلك تمكنت من جعل المناطق المتاخمة لدار السلطان، وسهول سيباو على الخصوص، تقدم ضريبة سنوية معلومة للسلطة المركزية، واستطاعت بذلك أن تخضع معظم الجهات الهامة من المنطقة إلى السلطة المركزية.

ج- دور القوي الدينية في الحياة السياسية بالمنطقة، ومواقف بعضها في تأمين الطرق:

لقد كانت للقوى الدينية المتمثلة في المتصوفين والمرابطين مكانة اجتماعية مرموقة في الأوساط الشعبية، حتى أن السكان كانوا لا يترددون في قتل أصدقائهم، وحتى أقاربهم، إذا علموا أنهم يحتقرون المرابطين أحياء كانوا أم أمواتا³، فكان هذا عاملا رئيسيا في تبجيل المرابطين، والأولياء، والمتصوفين، من قبل الأتراك، بل أنهم صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها⁴، حتى شاع بين الجزائريين أن هناك تحالفا بين المرابطين والعثمانيين، فكثرت الأضرحة، والقباب، ودخلت الصوفية من المشرق ومن المغرب، وجاء الدعاة الحقيقيون، والمزيفون.⁵ ولما كانت للقوى الدينية المكانة المتميزة، في

¹ وهم الذين يعرفون فيما بعد باسم المقرانيين، بالقلعة

² - (A) MAHÉ: o p. cit., p 54.

³ - خوجة: المصدر السابق، ص 110.

⁴ - نفسه: ص 111.

⁵ - سعد الله: تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج1، ص 472.

منطقة القبائل، والمناطق الأخرى في المغرب الأوسط، فقد تقرب إليها الحكام، واستعانوا بها في تنفيذ سياستهم، وقاموا بإعفائها من دفع الضرائب. بل هادونوها وأكرموا الكثير منها.¹ فعلى الرغم من قلة الرسائل بين هؤلاء المتصوفين ورجال الحكم، فإن بعضها يشير إلى الأسلوب المعتمد في إثارة الحمية الدينية، واستقطاب المتصوفين إلى صف الحكام، لأن هؤلاء يعرفون ما لهؤلاء من تأثير في المجتمع، ويظهر في:

1-الوساطة بين السلطة والسكان:

كان المتصوفون يتدخلون عادة بين الإمارات المحلية، والسلطة المركزية، لتحقيق التفاهم، ونبذ الخلاف، وحل المشاكل العالقة بين الطرفين، ومثال ذلك: تدخل أحد المرابطين لتوقيف الصراع بين المقرانيين، والعثمانيين، واعتبر القتال بينهم أمرا مخجلا، ومحرمًا من الناحية الشرعية، لأنه يضعف المسلمين أمام النصارى²، و المرابط نفسه يتدخل لفض الخلاف، وحل النزاع الذي بقي عالقا بين أمير إمارة بني عباس (سي مقران)، وحاكم الجزائر (حيدر باشا)، وذلك سنة 999 هـ/1590م³. والمثال الآخر على هذه الوساطة، يتمثل في توسط شيخ زاوية سيدي علي بن موسى، بين سكان عرش قشطولة، والباي علي خوجة، الذي ثمن دوره وعمل على تجديد زاويتهم، وبناء قبة الولي الصالح، وكذلك مسجد الزاوية، وهذا على حساب زاوية ابن أعراب ببني إيراثن، التي فضلت الميل إلى السكان دون التعامل مع الأتراك العثمانيين.⁴

وهكذا نرى بأن دور القوى الدينية المتمثلة في المرابطين والمتصوفين بالمنطقة كانت لهم أدوار متعددة. فعندما تكون الطرق الصوفية معارضة للسلطة، فإنها تعمل على تعبئة الناس للتمرد عليها، والعمل على الاستقلال عن السلطة السياسية المحلية، أو السلطة المركزية⁵، وإذا كانت متحالفة معها، فإن المرابطين يحصلون في مقابل ذلك على امتيازات مادية، ومعنوية مختلفة، كالإعفاء من الضرائب، أو الحصول على قسط من غنائم البحر، التي تعود إلى خزينة الدولة، فأصبح هؤلاء المرابطون بمثابة واسطة بين السكان في المنطقة والسلطة المركزية.⁶

¹ - سعد الله: تجارب، المرجع السابق، ص 47.

² - HAËDO: Histoire, p, cit., P P 108- 109.

- BRIBRUGGER: les époques militaires..., o p, cit., P P 103 .104 ;et
_BOULIFA op.,cit.,p182.

³GRAMAYE JEAN BOPTISTE; ((évêque d'Afrique 1635)) ALGER 16^{eme}, 17^{eme} siècle,(son journal), présentation de ABD EL HADI BEN MENSOUR,les édition du CERF Paris,1998, p26.

⁴ -(A)DÉLPECH ,la zaouïa de sidi ALI N'FOUNAS,IN,R.A,no,18, Alger, 1874, pp 81-85. et
- (J.N)ROBIN,la grande Kabylie sous le régime turc, o,p cit., p,64

⁵ BOULIFA : op., cit., p214

⁶ K. FILALI :sainteté maraboutique et mysticism ((contribution a l'étude du mouvement maraboutique en ALGERIE sous la domination OTTOMANE) IN, INSANIYAT,Revue Algerienne d'antropologie et des cincs sociales No,3, hiver,1997_ 1998 = طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر، 1998، ص 124.

2- موقف القوى الدينية من تأمين الطرق البرية : تعتبر المنطقة

من المناطق الصعبة جغرافيا، إذ أن تضاريسها توفر العمق الإستراتيجي للمحتمي بها¹، فاتخذها المتمرّدون عن النظام ملاذا لهم، ومكانا يشنون منه غارات على كل من يقترب إلى هذه الناحية، أو النواحي القريبة منها، ونتيجة أهميتها في الانتقال برا نحو بايلك قسنطينة، أو مدينة بجاية، استعان الحكام، بالمرابطين المحليين، الذين لهم تأثير في السكان، وذلك لأن العقيدة في رجال الدين، خصوصا المرابطين، كانت قوية عند العثمانيين²، فربطوا صلات تعاون مع العديد من شيوخ الزوايا، وفي مقدمتهم شيخ زاوية ابن علي الشريف، وشيخ زاوية سيدي الشريف أمزيان بن موهوب بأمالو³، اللذان كانا يقدمان خدمات جلية للحملات العثمانية على المنطقة، فكان مرابطو زاوية شلاطة⁴، يعملون على تأمين المرور من أعالي سيباو، و وادي بوبهير، نحو الشرق (أي بجاية)، لما لهؤلاء المرابطين من نفوذ، ومكانة بين السكان⁵، لكون الطريق العابر نحو مدينة بجاية، والذي يمر عبر منطقة أكفادو الصعبة، ومضايق الصومام الخطيرة، جعلت مشايخ زاوية شلاطة، يلعبون دورا مهما في تأمين وضمان سلامة الفرقة الإنكشارية (النوبة)، التي تمر بهذه المنطقة، فمنحوا لها حماية الزاوية (العناية)⁶، ووقفوا إلى جانبها في الحصول على هذا الامتياز من عرش بني زلال، وعرش بني بوشعيب، وعرش بني يجر⁷، فبهذه الحماية، تمكنت السلطة المركزية من اجتياز هذه الناطق الحصينة، خاصة إذا عرفنا بأن السكان في ناحية بجاية، والجبال المجاورة لها، يرفضون دخول أي أجنبي عن المنطقة، لتأمين الطرق البرية⁸، والوقوف إلى جانب السلطة المركزية في تشكيل حاميات عسكرية بالمنطقة، فإن كبار المنطقة ورؤساءها، هم الذين كانوا يسهرون على أمن الطرقات الواقعة في المقاطعة... ولا يتم ذلك إلا باتخاذ أحد المرابطين كمنقذ، أو كحام⁹ لهم في سلوك هذه الطرق، بل حتى الوصول إلى الأسواق التي تقام بالمنطقة، أو التردد عليها¹⁰.

فظاهرة الاحتماء بالأولياء، والمرابطين المتصوفين بالمنطقة، ومساهماتهم في تأمين الطرق البرية للقوافل التجارية، وحملات استخلاص الضرائب، ونقل

1 - أنظر الفصل الأول، المبحث الأول.

2 - سعد الله: تاريخ الجرائد الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 472.

3 - سعيدوني: الزوايا ... المرجع السابق، ص 25.

4 - (ch.)FERAUD :histoire des villes de la province de Constantine (Jigelli), in, Recueil des notice et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, 04^{eme} Vol, Constantine, 1870, ... op., cit., p,234,235 ;

5 - GENTY DE BUSSY :op, cit, p 177,

6 - لعناية: عبارة عن حماية معنوية، تمنح من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد لشخص أو مجموعة من الأشخاص، في محيط معين أو وقت معين، ولها قدسية كبيرة بين السكان، وكثيرا ما كان كسر العناية سببا في قيام حروب بين الأعراش، والسكان. أنظر:المجهول، سيرة الزواوة، المصدر السابق، ورقة، 12.

7 - (N.J)ROBIN,((note sur l' organisation militaire et administrative des turcs dan la grande Kabylie))IN,R.A, no,17,année,1873,p 204- 205 .

8 - خوجة : المصدر السابق، ص 111.

9 - نفسه، ص 112.

10 - مارمول: المصدر السابق، ج3، ص 16.

جرايات الجند، متروكة للمرابطين. وعلى الرغم من الوجود العثماني بمدينة بجاية منذ تحريرها سنة 916هـ/1555م، فإن المرابطين هم الذين كانوا يتولون مهمة توفير الأمن في الطرقات، والأسواق الواقعة تحت نفوذهم، كما هو الشأن بالنسبة إلى زاوية الشرقية¹.

إن تدخل المرابطين والأولياء المتصوفين في تأمين طرق القوافل، والطريق السلطاني، لم يكن مقصورا على اللصوص وقطاع الطرق فقط، بل يتعدى ذلك إلى حماية الطريق السلطاني الرابط بين مدينة بجاية، وبايلك الشرق، أو دار السلطان. ومثال ذلك الولي الصالح (محمد الموهوب بن علي الزواوي)، الذي: " كان يتردد مع القوافل والسفار، المجتازين ببلادهم لكي يأتمنوا من مكر أهل ذلك الوطن، إذ هم لصوص الغالب عليهم استلاب القوافل، والسفار... إلا أن يكون من أولادهم أحد".² فالحامية التركية العثمانية، عند توجهها إلى بجاية، من أجل استخلاص الضرائب، فإنها مجبرة على اصطحاب مرابط معها من المنطقة، وإلا فإنها مضطرة على سلوك الطريق البحري³، للوصول إلى بجاية.

وعلى العموم، فإن هذه الظاهرة لم تكن مقصورة، على منطقة القبائل فقط، بل نجدها عامة، سواء في الشرق الجزائري، أم في غربه⁴. لقد قدم المتصوفون، والمرابطون، خدمات جليلة للسلطة المركزية في منطقة القبائل، لكونهم لم يقفوا في وجهها، كما وقع للزوايا المنتمية إلى الطريقتين الدرقاوية، والتجانية⁵، ومن جهة أخرى، قد لعب هؤلاء المتصوفون دورا مهما في التوسط للحكام، وتبليغ مواقف السكان للسلطة المركزية، فأدوا دورين بارزين، سواء بالنسبة إلى سكان الجهات المختلفة التابعة لمنطقة القبائل، أم بالنسبة إلى إدارة البايك، التي أسندت إلى هؤلاء مهام القيادة، والحكام، في هذه المناطق الوعرة، والمنيعة، وقد تمكنوا بفضل هذه الأدوار من تحقيق مطالب السكان، والحفاظ على مصالح الإدارة المركزية، مما جعل مكانتهم تتدعم أكثر من ذي قبل، وأصبح تأثيرهم يحقق نوعا من التوازن المحلي مدة من الزمن، وهذا ما جعل الكثير من القبائل المحلية تتسابق إلى الاحتماء بأحد المرابطين، أو الأولياء لتدعيم مكانتهم السياسية⁶.

ومن أهم الأسباب المحلية التي، ساعدت على تبوئهم لهذه المكانة، نفوذهم الذي يتمتعون به في الأوساط الشعبية، باعتبارهم يمثلون النخبة التي يعلق عليها الشعب آمالهم⁷، وهو العامل الذي جعل مختلف فئات المجتمع تلمي نداءهم= حسب اعتقادي- بل وتقبل آراءهم، فأصبحت مكانتهم، وتأثيرهم أكثر من مكانة، وتأثير الآغاوات، والبايات، بل حتى الدايات، ولكن لا يعني هذا بأنهم

¹ - (CH)FERAUD : ((époque de l' établissement des turcs a' Constantine)),In, R.A ,no,10,année,1866, OPU, Alger ,p 195.

² - ابن الفكون: المصدر السابق، ص 201.

³ - خوجة: المصدر السابق، ص 112،

⁴ - أنظر حول هذه الظاهرة

⁵ - JOLY «saints de l'islam», In, RA, n°,52,année,1908,opu, alger,1986,p 173.

⁶ - سعيدوني : الزوايا لمرجع السابق، ص 25.

⁷ - عميراوي: المرجع السابق، ص 214.

⁸ - شويتام: المرجع السابق، ص 22.

ساهموا في تكوين رأي عام وطني موحد، وإنما مهدوا إلى ذلك فقط¹، وساعدوا من جهة أخرى، على توحيد المشاعر الروحية بين الناس، وشجعوا على نشر التعليم بين الأوساط الشعبية².

غير أن بداية القرن الثالث عشر هجري / التاسع عشر ميلادي، قد عرفت تغيرا، إلى حد كبير في مواقف المتصوفين، والأولياء، والمرابطين. فبعدها كانوا يلعبون دور الوساطة، بين السلطة الحاكمة، ومختلف فئات المجتمع، خاصة منها القبائل المتمردة، أصبحوا في مطلع هذا القرن يقفون، إلى جانب الشعب، ويدافعون عن مصالحه المختلفة، فقادوا الثورات، والانتفاضات بأنفسهم، إذ أن معظم، وأخطر الانتفاضات التي عمت مختلف أرجاء البلاد كان على رأسها الطرقيون³.

وبهذا يظهر التأثير المزدوج للمتصوفين، والطرق الصوفية، والمرابطين، في المنطقة خاصة، ومختلف جهات الجزائر عامة.

د- العلاقة بين القوى الدينية والسلطة المركزية:

إن المتصوفين والمرابطين، قد اكتسبوا مكانة هامة عند الحكام العثمانيين، الذين تفتنوا إلى الدور الذي يلعبونه في المجتمع، فتعاملوا معهم معاملة خاصة، وكانوا يستشيرونهم، ويسهمونهم في المعارك، بل يشركونهم في المفاوضات، وخصصوا لهم أقساطا من مغانم الجهاد البحري⁴، ومنحهم امتيازات⁵، لأنهم كانوا يدركون أهمية مساهمة هؤلاء في الحكم، والتقرب إليهم يعني التقرب إلى السكان، لما لهذه الطرق الصوفية، من تجذر في الحياة اليومية للمجتمع، فعملت السلطة على احتوائهم، والتصالح معهم أكثر مما عملت على كبهم⁶، ففضل الحكام العثمانيون التأقلم معهم ومعايشتهم⁷، بل كان من أساليب الحكم العثماني في الجزائر، الاعتماد عليهم، وعلى العلماء في وقت الشدة⁸، فالدولة العثمانية أساسا، قامت على أساس ديني جهادي، مما جعل حكامها، وقادة جيوشها، يجلسون المرابطين، والمتصوفين، بل يتبركون بهم، فكانت العلاقة التي تربط بين العثمانيين عامة في الجزائر، والمرابطين، هي علاقة إجلال وإكبار، فاستشاروهم، وتبركوا بمزاراتهم، بل كانوا يلجؤون إليهم قبل ركب البحر، كما ذكر بيري راييس، الذي سبقت الإشارة إليه.

¹ - عميراوي: المرجع نفسه، ص 216.

² - أنظر الفصل الرابع، وتأثير التصوف في نشر التعليم بمنطقة القبائل.

³ - شويتام: نهاية العهد، ص ص 21، 22.

⁴ - الزبيري: المرجع السابق، ص 58.

⁵ - بلغيث: النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدواني، في المجلة التاريخية المغاربية (العهد الحديث والمعاصر) ع: 117، السنة 32، جانفي 2004، م.م.ت.ب.ع.و. زغوان، تونس، ص 40.

⁶ - سبنسر ترمنقهام: الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1997، ص 356.

⁷ - MIQUEL André, L'Islam et sa civilisation 07-20^{ème} siècle, Armand Colin, Paris, 1977, p,294.

⁸ - سعد الله: تجارب في الأدب... المرجع السابق، ص 47.

إن أهم مظهر للعلاقة بين الطرفين، يتجلى من خلال ما يجده الباحث، من تمتمين للعلاقات بين العثمانيين، والطرق الصوفية عامة، والمتصوفين خاصة، بعد الانتصارات التي حققها الإخوة بربروسة، في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وهي الانتصارات التي باركها المرابطون، والمتصوفون، الذين كانوا يحرضون على الجهاد ضد النصارى، الذين استولوا على الموانئ المغاربية، ونجد من بين الذين لبوا نداء الجهاد، في هذه الفترة، أمير إمارة كوكو أحمد أولقاضي الزواوي¹

إن هذا النهج الذي اتبعه العثمانيون في الجزائر، يتمثل في الرفع من مكانة المرابطين، واحترام آرائهم، والأخذ بأفكارهم. وقد كانت من أهم نتائج هذه السياسة، وقوف معظم المتصوفين إلى جانبهم. وهذا لا يعني بأن المرابطين، كانوا خاضعين كلية للسلطة العثمانية، بل نجد بأن هناك مصالح متبادلة، فعندما تهدد مصالحهم، يقف بعضهم في وجه العثمانيين، مما يجعلهم ينتهجون أساليب القوة للقضاء على المناوئين لهم، مثلما وقع لسليم التومي، شيخ قبيلة الثعالبية، الذي اغتاله، وقضى عليه عروج في سنة 1516²، واتبعوا سياسة المصاهرة، لاسترضاء أطراف ظلت مناهضة للسياسة العثمانية بالجزائر، مثلما وقع لأمير إمارة كوكو الذي زوج ابنته لحسن بن خير الدين³، وحاربوا الآخرين مثلما وقع لآل مقران في القلعة⁴، وكان من نتائج ذلك، اعترافهم، بنفوذ حكومة الجزائر على إمارتهم⁵، فتمكنت السلطة المركزية من إضعاف الإماراتين ماديا، ومعنويا⁶، بواسطة هذه السياسة.

إلا أن الإماراتين رغم ذلك احتفظتا بدوريهما المحلي، الذي لا يقل أهمية بالنسبة للعثمانيين، الذين لم يتمكنوا من استغلال المنطقة، ودخولها إلا بموافقة هؤلاء المرابطين، والمتصوفين، في مقابل حصولهم على حقوق إقطاعية⁷. بحيث يمكن القول :

- إن الاستعانة بالمرابطين، والطرقيين. عندما تتعرض البلاد إلى الخطر الخارجي، مقابل امتيازات، مادية ومعنوية تمنح لهم، كانت السياسة العثمانية المتبعة معهم، أو أمرا دارجا في الفترة موضوع البحث.
- إن استخدام السلطة للقوة ضد بعضهم، عندما يصعب ترويضهم، مع انتهاج سياسة التفريق بينهم، لتسهيل عملية إخضاعهم أمر متكرر في تلك الفترة..
- كما كانت السلطة تلجأ أيضا إلى ربط أواصر المصاهرة مع بعضهم لاستمالة بعض المعارضين إليها، واستعمالهم وسطاء بينها وبين العامة⁸. وعندما تفشل

¹ -العروي: مجمل تاريخ المغرب، من الغزو الإيبيري إلى التحرير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت 1999، ج3، ص44.

² _ August COUR : l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur révalité avec les Turcs d'Alger 1509-1830, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1904, p75.

³ - C.X DE SANDOVAL op cit, p283.

⁴ - COUR : op ,cit, p109.

⁵ -سعيدوني: الزوايا، المرجع السابق، ص 23.

⁶ _AUGUSTIN BERQUE : op.cit., p p,20,21

⁷ - بعارسية: المرجع السابق، ص 174.

⁸ -FILALI : op., cit., p124 .

السلطة في استمالتهم أو تجد صعوبة في إخضاعهم، لا تتردد في ضربهم بكل ما أوتيت من قوة.

ومن كل ما تقدم أستطيع أن أقول :

إن تأثير القوى الدينية، في الحياة السياسية بمنطقة القبائل، خلال العهد العثماني، قد كان له دور كبير، في جعل المنطقة تعيش نوعاً من الاستقرار السياسي. فكانت المناطق السهلية الخصبة أكثر خضوعاً للسلطة المركزية فكانت الطرائق الصوفية، من أهم العوامل، التي ساعدت على توطين العثمانيين بالجزائر، لكونهم هيئوا الأرضية لاستقبال المجاهدين القادمين من الشرق لمحاربة الكفار في المغرب الإسلامي.

المبحث الثاني: تأثير القوى الدينية في الحياة الاجتماعية و مواقفها

- تقدمت الإشارة إلى أن إخضاع سكان المنطقة قد تم عن طريق أساليب مختلفة¹، وتتساءل الآن: لماذا استجاب السكان الممتنعون لهذه الفئة دون غيرها؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل يدفع بنا إلى معرفة النظرة البسيطة للفرد القبائلي نحو هؤلاء أولاً.

ف نجد بأن القبائلي ينقاد إلى طاعة المرابط أكثر من انقياده لغيره². وذلك يعود إلى أن العامة تخاف الولي أكثر مما تحبه وتبجله، أو بتعبير آخر، فإن العامة يحبون الأولياء وهم خائفون منهم³.

كما أن سيرة المرابطين، والمتصوفين المتسمة بالابتعاد عن ملاذ الدنيا، وطبيعة معيشتهم، جعلت العامة تثق بهم وتحترمهم، مما أعطاهم صبغة القداسة⁴. وأصبح الناس يتقربون إليهم، ويستجيبون لتوجيهاتهم، وينقادون لطاعتهم، وهذا ما جعل أكثر سكان المنطقة يقبلون على تلبية مطالبهم، وتنفيذ أوامرهم، وتوجيهاتهم.

وقد كان الارتباط بالأولياء، والصالحين من طرف المسلمين منذ أن نزل القرآن الكريم، إذ تنص الآية الكريمة على أن الأولياء، لهم مكانة عند

المسلمين، فيقول المولى تبارك وتعالى: **((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))**.⁵ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: **((من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب عبدي إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذته))**.⁶ فكانت نظرة الإسلام إلى الأولياء، والصالحين، من

¹ - أنظر المبحث السابق .

² - ابن زكري: المصدر السابق، ص، 110.

³ - Emile DERMENGHEM, Le culte des saints dans l'islam Maghrébin, Galimard, Paris, 1954, p: 15.

⁴ - سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 467.

⁵ - سورة يونس، الآية رقم 62.

⁶ - محي الدين النووي: متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، منار السبيل، دار المصنف الشريف، الجزائر، 2000، ص 30.

بين أهم العوامل، التي جعلت العامة ترتبط بهم، خاصة الطبقة المثقفة بالمنطقة، هذا إلى جانب إشرافهم على تسيير المؤسسات التعليمية المتمثلة في الكتاتيب، والمساجد، والزوايا، وهو الأمر الذي أعطى لهم مكانة هامة، جعلت الناس يتبعونهم، بل ويعتقدون في أضرحتهم بركة¹، يرجون من ورائها نفعاً كثيراً. وانتشر هذا الاعتقاد بين العامة، وأصبح من أهم الوسائل المستعملة في استمالتهم، استخدام الكرامات، التي يتمتع بها المرابط في منطقة القبائل، فأطلقوا أسماء كثيرة على هؤلاء الأشخاص، كالغوث، والقطب، والعارف بأسرار الله. وغير ذلك من الأسماء، التي يعتقد العامة، أنها قادرة على معرفة أسرار الغيب²، ويمكن لهؤلاء أن يضروهم، أو ينفعوهم، ولعل دعاء المرابط (سيدي بوجملين) على أهل بجاية، وخوفهم منه دليل على هذه الظاهرة.³ فالخوف من الولي ودعائه عليهم، دفع بالكثير إلى الاستجابة لطلباتهم، وإرادتهم حتى وإن كانت سياسية، ففسح لهم هذا الأمر الطريق إلى تبوء المكانة المرموقة بين السكان، وأصبح لهم تأثير، ودور كبيرين، في الحياة الاجتماعية بالمنطقة. ويظهر ذلك في الجوانب التالية:

1- تأثير القوى الدينية في السكان: إن الأسباب السابقة، جعلت المجتمع في منطقة القبائل، ينساق وراء المرابطين، فلا يعصون لهم أمراً، وهذا ما يشير إليه ابن زكري إذ قال: ((إن القبائل وإن كثرت أفرادهم، واختلفت عوائدهم، وتباينت في الأغراض مشاربهم، قد أجمعوا من حيث العقائد والدين، واتفقوا بالطبع على الخضوع والانقياد للمرابطين عموماً ولأهل الزوايا، والمقدمين من مشايخ الطريقة خصوصاً))⁴. حتى وإن كانت هذه الظاهرة سلبية التأثير إلى حد ما في المجتمعات، إلا أن المرابطين والمتصوفين في المنطقة، تمكنوا بواسطتها من تنظيم السكان، لكونهم يعتقدون في المرابطين، والمتصوفين، أنهم نفوس محمية من الله تعالى، وذات علاقة خاصة بالأرواح، ولا بد من إتباع أوامرهم⁵. إن هذا الاعتقاد، لا يدل على سلبية التأثير- حسب اعتقادي- بل كان عاملاً إيجابياً. لأن السكان الجبليين الرافضيين الخضوع لأي سلطة سياسية، قد وجدوا في هؤلاء، وفي الطرق الصوفية، أحسن سبيل في تحقيق النظام بين السكان في المنطقة، وخضعوا للقوانين الشرعية، على الرغم من التأثير بالقوانين العرفية⁶، التي حاول رجال التصوف استخدامها إلى جانب القوانين الشرعية الإسلامية، المستمدة من القرآن الكريم، وسنة الرسول الكريم

¹ -DAN :Histoire de Barbarie et de ses corsaires, des royaumes et des villes d' Alger, de la Tunisie, de Salé et de Tripoli. 2eme édition revu et augmenté par le même auteur, PIERRE ROCALET, imprimeur et libraire, Paris, 1648, p :286.

² - سعيدوني: الزوايا، لمرجع السابق، ص 6.

³ _ (CH)FERAUD : "Note sur Bougie..."، p:226.

⁴ - المرجع السابق، ص، 11.

⁵ - بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص481.

⁶ - _ H. TOUATI : op.cit., p84.

(صلى الله عليه وسلم)، وبذلك استطاع البعض من الفقهاء التوفيق بين الشرع والعرف¹.

فمن خلال الزوايا، التي أسسها المتصوفون، والأولياء والمرابطون، الذين قدموا إلى المنطقة من عدة جهات، بل حتى أولئك الذين ينتمون إلى المنطقة أصلاً²، يظهر التأثير الصوفي في الحياة الاجتماعية للسكان، ومن أمثلة ذلك:

تحديد قيمة المهر والصداق: إن مشكلة المهر قد أثرت، في كثير من المجتمعات الإسلامية، وأدت إلى انتشار العنوسة، والعزوبة، لعدم الاستطاعة المادية، غير أننا نجد أن هناك متصوفين، ومرابطين في منطقة القبائل، قد أثروا في السكان، من خلال الوقوف في وجه ارتفاع المهور، وتسهيل الزواج. وبقي هذا التأثير قائماً إلى يومنا هذا. ومن بين هؤلاء المتصوفين: الولي الصالح سيدي الموفق بعرش بني مليكش، الذي ترك وصية لأولاده، وحفدته، وحفدة حفدته، يحدد فيها: قيمة المهر، الذي لازال يعمل به إلى الآن³. وقيمة المهر المحددة هي عشرون سنتيماً⁴.

ونفس التأثير في عرش بني إبراهيم، الذين تحدد بعض عائلاتهم كمية ما تأخذه العروس عندما تزف إلى عريسها. وذلك من أجل التيسير على الفقراء، سواء في تجهيز بناتهم، أو تزويج أبنائهم. وهذا بفضل بعض الزوايا التي ساهمت إلى حد كبير في تنظيم المجتمع، فكان لها وجود اجتماعي متميز⁵، بل نجد بأن هذه الزوايا عبارة عن عقل المنطقة، ومنبع العدل فيها، ومكان اقتسام الثروة⁶، مما جعل لهذه المؤسسات بين السكان قدسيته، وذلك لما تقدمه للمواطن من خدمات⁷.

* ربط أواصر الأخوة والتعارف والمصاهرة: إن الحضرات التي

تقام عادة بالقرب من أضرحة الأولياء، والزرادات، والوعدات التي تتكرر سنوياً، في مناسبات مختلفة كالمولد النبوي الشريف، أو عاشوراء في بعض الزوايا، والمزارات. فهي بمثابة فرصة مهمة للتعارف، وتبادل الأخبار، والمعلومات المتعلقة بالمناطق المختلفة، وبذلك تلعب هذه الظاهرة، دوراً كبيراً، في المصاهرة بين العائلات، فتلتقي العائلات من خلال هذه المناسبات التي تعتبر بمثابة متنفس للمرأة الماكثة بالبيت، ويحدث التعارف، وتوثق

¹ - محمد سي يوسف: لشريعة الإسلامية كمصدر للقانون العرفي في بلاد القبائل، في: الملتقى الذي نظمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حول العبد الروحي في الثقافة الأمازيغية. باتنة يومي 3 و4 ديسمبر 2005.

² - HANOTEAU et LETOURNEUX : op., cit., T. 2, p.p. 67_68.

³ - رواية من كبار العرش، وهي عادة مطبقة بين السكان في هذه الجهة، ويعتقدون بأن المخالف لها يصاب بأذى، وهذه القيمة هي 20 سنتيماً.

⁴ - عرف متبع إلى الآن، بين سكان المنطقة وحفدة الولي. ولكن هذا لا يعني أن الجوانب الأخرى يهملها العريس بل تضاف إلى هذه القيمة كل الأشياء التي يكتنيها لعروسه.

⁵ - نسيب: المرجع السابق، ص 29.

⁶ - Benjamin STORA et Akram Ellyas : Les 100 portes du Maghreb (l'Algérie, le Maroc, la Tunisie), trois voies singulière pour allier Islam et Modernité, les éditions de l'Atelier, éditions Ouvrières, Paris, 1999, p.123.

⁷ - الزواوي: المرجع السابق، ص 118.

الصلوات، فكانت المصاهرات، في الأزمنة القديمة، تعتمد على ألوان من التعارف تخلقها هذه المناسبات¹.

وقد عملت السلطات المحلية على تشجيع مثل هذه الحضرات، والاحتفال بالمناسبات الدينية²، كما هو شائع في كثير من الزوايا، والمزارات، كزاوية الشرفاء بهلول، وزاوية سيدي وذريس، وسيدي منصور.. وأثناء ذلك تجمع الأموال، والصدقات التي تعود على طلاب الزاوية، والمشرفين عليها. هذا ويقصد السكان المزارات الموزعة في مختلف جهات المنطقة، معتقدين فيها بركة الأولياء والصالحين، الذين يتخذون من المناطق المنعزلة خلوات لهم³. إن التأثير الصوفي، في الحياة الاجتماعية بمنطقة القبائل، جعل الإسلام ديناً أكثر إنسانية، وأقرب إلى فهم الجماهير غير المتعلمة، ولم يعد الله هو ذلك الإله البعيد المجرد الذي لا يجرؤ الإنسان الفقير الأمي أن يتخيله⁴، وبذلك تعلق الجيليون البسطاء بالمتصوفين، والمرابطين، بل دافعوا عن الإسلام أمام الغزاة المسيحيين.

هذا ويظهر تأثير القوى الدينية في سكان المنطقة، في اعتقادهم، وإيمانهم بأن قبور، وأضرحة الأولياء، تشفي الأسقام بزيارتها، والتبرك بها، كما هو حال زيارة ضريح سيدي علي بن موسى، الذي إذا قصده زائر لحاجة دينوية، أو دينية تقضى بإذن الله تعالى⁵.

إن تأثير القوى الدينية في الحياة الاجتماعية بالمنطقة، يتعدى الجوانب الدينية، فبالإضافة إلى كون المرابط في المنطقة، إمام القرية ومفتيها، فإنه يقوم بالأدوار الأخرى المتعلقة بالحياة الاجتماعية، كاحتفالات الدينية داخل المسجد(الجامع)، أو خارجه، وكذا الاحتفالات الشعبية، التي تقام في البيوت، بمناسبة الولادات، أو الزواج، أو الختان، أو المآتم⁶. مما جعل السكان يخدمونه خدمة لا نظير لها، وذلك بالعمل على توفير كل ما يحتاج إليه، في الحياة اليومية، فعلى عاتقهم يكون تمويل المرابط بما يحتاج إليه يوميا من ماء، وخطب، وعشب إلخ. وغير ذلك، حتى يتفرغ إلى أداء⁷ عمله اليومي المنوط به. لأن السكان ينظرون إليه على أنه رجل سخره الله سبحانه وتعالى لخدمة الناس، وفعل الخير، فلا بد من تجنب دعواته، ومقاماته، مما جعل السكان بالمنطقة لا يلاحقون المجرم إذا احتفى بضريح، أو مقام ولي، أو زاوية ما⁸. إن المرابطين يتمتعون في المجتمعات المغاربية عامة، وفي منطقة القبائل خاصة، بنفوذ كبير لا يستهان به، ويعترف الجميع بدورهم، فهم وحدهم

¹ - زكي مبارك: المرجع السابق، ج1، ط2، ص 387.

² - نفسه: ص، 387.

³ - DAN : op., cit.,p30.

حول المزارات، أنظر الفصل التالي من المذكرة.

⁴ - الفرد بل: المرجع السابق، ص، 452.

⁵ - الورثيلاني: الرحلة، مصدر سابق، ص، 14.

⁶ - HANOTEAU ,et LETOURNEUX : op., cit.,T2 ,p31.

⁷ - P .MURATI: Le Maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébessa, extrait de la R.A, n° 371, Alger, 1937, p14.

⁸ -المجهول: سيرة، مصدر سابق، ورقة 6 وجه.

القادرون على تصدر الحياة الاجتماعية والسياسية¹، نتيجة لكلمتهم المسموعة²، بين الناس، وهم الذين يستطيعون عقد الاتفاقيات، وتوقيع الهدنة لإقامة السلم³. فالخوف من سخط المرابط على من يعتدي عليه، جعل الكثير من الناس يهابون حتى دخول أملاكهم، بل يتجنبون ركوب دوابهم في محيط المرابط، لأن ذلك يقلل من قدسية هؤلاء الرجال⁴.
لقد ترك هذا التمايز في معاملة المرابطين، أثره في الحياة الاجتماعية، عند سكان المنطقة، فبنات المرابطين، أو بنات أحفادهم، لا يتزوجن من عامة الناس، بل لابد أن يكون المتقدم إليهن، من العائلات المرابطية مثلهن، بينما الرجال عكس ذلك⁵، فبنات العامة يتزوجن بهم دون مهور تكريما وتبجيلا لمكانتهم⁶.

2- التقاضي وفك الخصومات:

إن دور المرابط في المجتمع بمنطقة القبائل متعدد الجوانب، فإلى جانب كونه، إمام القرية، ومعلم صبيانها. فإن له أدوارا أخرى، خاصة فيما يتعلق بالسلم، والاستقرار بين السكان، لأنهم ((لا يدينون بالطاعة لغير رئيس يتفقون على تقديمه))⁷، وهذا الرئيس هو مرابط القرية، وإمامها الذي لا يعصي له السكان أمرا، حتى وإن كانت في الأمور العسكرية. ولعل مثال ذلك ما وقع في بداية الاحتلال، عندما أصدر المرابط الشيخ (المهدي) أمرا سنة 1847 يأمر فيه السكان بالرحيل عن أراضيهم، والهجرة نحو المشرق، والأمر هذا موجه لسكان أعالي سيباو⁸. فعلى الرغم من ارتباط السكان المحليين بأرض آبائهم، وأجدادهم، بل وتقديسهم لها في الدفاع عنها، إلا أن الكثير منهم قد استجاب لنداء هذا المرابط. فهذا المثال -حسب اعتقادي- يعتبر من بين الأمثلة الدالة على استجابة السكان الجبليين البسطاء لأوامر مرابطيهم، حتى وإن تعلق الأمر بترك أكثر شئ قداسة -بعد العرض- بالنسبة للقبائلي. وأعتقد بأن المرابط اتخذ هذا القرار بدافع تجنب الحرب، والمحافظة على النفس، خاصة وأنه يعلم الإمكانيات التي سخرتها فرنسا لإخضاع المنطقة من جهة، وميل أغليبتهم إلى السلم من جهة أخرى، وهو السلم الذي لا يتحقق عادة إلا بتدخله⁹.

وبالنسبة لإصلاح ذات البين، فإن المرابطين يعملون، على فك الخصومات، وتحكيم الشرع في إصلاح ذات البين، ومن بين الذين عملوا على تحقيق هذه الغاية، في المنطقة، بل سخر قلمه، وعلمه، وجهده، ووقته

¹ - BOULIFA :op, cit, p,183.

² - عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، ص،68.

³ - TRUMELLET : op , cit, p : 50.

⁴ - الورثيلاني: المصدر السابق، ص 9، وكذلك: شوارق الأنوار، المخطوط السابق، ورقة 86.

⁵ - سعيدوني: المرجع السابق، ص،6. وكذلك:

DOUTTÉ : op., cit.,p,45.

⁶ - TRUMELLET :op., cit., p, 45.

⁷ - مارمول: المصدر السابق، ج2، ص،384.

⁸ DEPONT, et COPOLLANI : op.cit., p: 260.

⁹ - (ح) خوجة: المصدر السابق، ص،56.

لتحقيق هذه الغاية، هو الشيخ الحسين الورثيلاني¹، الذي قال في الرحلة ((... فانفصلنا من مقامنا - بني ورثيلان - بنية الزيارة، وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين (...))²، بل أكثر من ذلك، فإنه يرى من الواجب على الصالحين وأهل الخير، أي القوى الدينية، القيام بهذا الدور الإصلاحية بين المتخاصمين، ليرفع الله عنهم العقاب، وبنى رأيه على أحاديث نبوية شريفة، واجتهاد علماء بجاية في هذا الجانب، وأصدر حكمه القاضي بأنه: ((لا يجوز حال قتالهم النظر إليهم، ولا النزهة فيهم لأنها معصية، فلا يجوز مشاهدتها، وهو شريك بالنظر))³. هذا، ويذكر بأنه توسط بين المتخاصمين، في قرية أولاد الشيخ سيدي بهلول⁴، الذين قصدتهم في زيارته للقرية، من أجل فض الخصام الذي كان بين سكانها، وقد ذكر ذلك قائلاً ((فلما وصلنا قرية أولاد سيدي بهلول فعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم، وردهم إلى محلهم لأنهم حرقوهم بالنار، وأخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين))⁵.

إن الشيخ الورثيلاني، المرابط المتصوف، والعالم الشهير، قد بين لنا التأثير الصوفي في الحياة الاجتماعية، من خلال إصلاح ذات البين، وفك الخصومات والشحناء بين المتخاصمين، حفاظاً على دماء المسلمين، لأنه يرى بأن بلده كثر فيه القتال بين المسلمين، والفتنة قل أن ترتفع بينهم، وذلك يعود إلى غياب السلطة السياسية القادرة على استتباب الأمن، وإحلال الاستقرار في المنطقة⁶، مما يدفع بهؤلاء المرابطين، والمتصوفين، والمصلحين، الذين يجب عليهم أن يتدخلوا في إصلاح الأوضاع المتردية، لكونهم يمثلون السلطة الروحية بين السكان، وهي السلطة الأكثر نفاذاً في المجتمع القبائلي.

وقبل الشيخ الورثيلاني، قام الولي الصالح (علي بن طالب)⁷، بوقف الصراع الذي كان قائماً بين أبناء الأسرة القاضوية، فبعد اغتيال عمر أولقاضي، وعودة ابنه الملقب بأحمد التونسي، الذي حاول الانتقام من أعمامه. تدخل الولي المتصوف سيدي علي أوطالب، فأوقف هذا الصراع، وحال دون وقوع حرب بين أفراد العائلة الواحدة، وبذلك انتهى هذا الصراع بين المتصارعين على السلطة القاضوية⁸.

1 - أحمد ساحي: ميراث المرأة بين المنع والشرع مداولة 1749 (أعلام الزواوة 2)، دار التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1995، ص: 24.

2 - المصدر السابق، ص: 7.

3 - نفسه، ص: 8.

4 - هو الولي الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم... اشتهر أنه تلميذ الشيخ سيدي يحي، وأنه تزوج بنته... وأولاده كثيرون، أنظر: - الحفناوي: المرجع السابق، ص: 363.365.

أما قريته فهي حاليا الشرفة التابعة لإداريا لولاية البويرة، ومنها انتقل فرع منهم إلى ناحية لعزازقة مؤسسين بها زاوية تعرف بزاوية الشرفاء بهلول، وهي قائمة إلى يومنا. أنظر عنها:

(M)CHERIFI : op, cit, pp 31-36.

5 - المصدر السابق، ص: 13.

6 - نفسه، ص: 8.

7 - هو عالم وولي متصوف، عاش في القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي، وقد أسس زاوية له في آث يحي بكوكو، ويعتبر من المعارضين لسيدي منصور الجنادي، ويعتبر بمثابة المرجعية الدينية لأل القاضي. أنظر عنه: الساحي: أعلام من الزواوة، المرجع السابق، ص: 54، 55.

8 - (S.A) BOULIFA : op.,cit., p 214.

إن حل الخصومات، وإصلاح ذات البين، وتدخل المرابطين، والمتصوفين، في حل الخلافات بين السكان، في المجتمعات الإسلامية، ظاهرة قديمة نص عليها القرآن الكريم ((...فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...))¹، ونتيجة غياب السلطة القادرة على حل الخلافات، خاصة في الفترة العثمانية، أصبح المرابطون هم الذين يقومون بدور القاضي بين السكان، وهي الظاهرة التي أعتقد بأنها إيجابية، خاصة في مجتمع يفتقد إلى ضوابط قانونية واضحة، تجعل المتخاصمين، والمتنازعين، يجدون من يردعهم، ويطبق القوانين عليهم، ويجد الضعفاء الذين لا يستطيعون الذود عن أنفسهم، في المرابطين، والعلماء المتصوفين، أحسن وسيلة للاحتكام إليها، فهم بمثابة السلطة القضائية، والتشريعية، في المنطقة، وهم الذين يفصلون في الدماء، ويحكمون في قضاياها، ولا إعادة فيها ويعتبرون ذلك حكماً ربانياً². فالقبائلي يرى في حكم المرابط، أو الشريف، حكماً مقدساً، لا يمكن الخروج عنه أو مخالفته، حتى وإن لم يكن راضياً به، لأن تأثير زعماء الطرق الصوفية كبير المجتمع ويتطلب تطبيق أوامرهم³، فهم ينقادون للمرابطين وأحكامهم، حتى أصبح الناس أرقاء لحرية المتصوفين المنتسبين إلى الله⁴، وعلى بركة المرابط تتوقف سعادة القبائلي الخيالية⁵.

إن تأثير التصوف في الحياة الاجتماعية العامة بالمنطقة، تتركنا نقف على بعض المظاهر، التي تتولاها القوى الدينية. والتي كانت تتدخل لفك المتخاصمين والمتشاجرين. فيكون موقفهم حيادي في حالات مثل هذه، بل يعملون على التوفيق، بين المتخاصمين، وهي الحادثة التي ذكرها الزواوي الذي قال ((ومنها أنهم إذا اقتتلوا أو تشاجروا فإن الشريف، أو العالم الصالح يكون في الحياد التام، ويدخل بين صفوف المتقاتلين للصلح، ويدفع ذلك باليد وذا باليد، ولا يجدون في أنفسهم شيئاً، ولا يؤذونه⁶...)). فظاهرة الاحتكام إلى هذه الفئة من المجتمع، تعتبر ظاهرة حميدة- حسب الزواوي- الذي عدها من محامد الزواوة .

إن إصلاح ذات البين، بين المتخاصمين، والمتخالفين، من طرف الأشراف المرابطين، الذين يعدون من المتصوفين في المجتمع، ظاهرة منتشرة في جميع أعراس منطقة القبائل، فهم يفضلون الاحتكام إلى (ربي، والني) أي إلى حكم الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى ((... فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...))⁷، وإذا كانت القضية مستعصية على مرابط، أو متصوف، فإنه يبعث بوفد إلى عالم آخر، أو شريف، حتى وإن كان بعيداً على عرشهم ليحكم بينهم، وعادة يكون المكان، الذي يستقبل فيه الوفد يعرف بـ(الشريعة)، لكونه مكان تطبق فيه الشريعة

¹ - سورة النساء، الآية، 59.

² - الزواوي: المرجع السابق، ص 132.

³ - BROUSLARD: op.cit, p 2.

⁴ - ابن زكري: المرجع السابق، ص 11.

⁵ - خوجة: المصدر السابق، ص 56.

⁶ - المصدر السابق، ص 131.

⁷ - السورة السابقة، نفس الآية.

الإسلامية، كما هو حال قاصدي الشيخ يحي العيدالي في حياته، أو أبنائه أو علماء زاويته، الذين يستقبلون المتخاصمين، في مكان لا يزال يحمل اسم (الشريعة) إلى اليوم، وهو المكان الذي أتخذ لتجديد زاوية الشيخ، بعد تخریبها، وحرقتها من قبل الاستعمار، وذلك تبركا بهذا المكان¹.

أ- التقاضي عند المرابطين:

إن المتصوفين، والمرابطين، والعلماء، الذين يمثلون القوى الدينية يعتبرهم سكان المنطقة، بمثابة قضاة، يحكمون بين الناس بالكتاب، والسنة. بل يجتهدون إذا كانت القضية تتطلب ذلك، محاولين التوفيق بين الشرع والقوانين العرفية السائدة، في جهات المنطقة، وهي أحكام لا تتعارض مع جوهر الشريعة الإسلامية² عادة. أما عن مداوات القاضي، فإنها تكون في مكان عام، كالسوق مثلا³.

فالمرابط يقوم في القرية بدور القاضي بين الناس⁴، فيفضل وجود هؤلاء المرابطون، في هذا المجتمع، فإن ذلك يعد نعمة-حسب اعتقادي- إذ بمجرد مالهم من نفوذ على السكان يسكتون أسلحة الخصوم، ويمنعون إراقة الدماء⁵، وهذا ما جعل المنطقة تتوفر على مجموعة كبيرة من مراكز الإفتاء، والتقاضي، والتي تعرف باسم (إشرعيون)، وهو المكان الذي يتقاضى فيه المتخاصمون، ويطلق عليه اسم (الشريعة)- كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن أهم المراكز المشهورة في التقاضي، والفتوى بالمنطقة. وكذلك بعض العائلات التي لها شهرة، ويقصدها المتخاصمون لحل مشاكلهم. وأذكر أهمها، في القبائل الغربية، وكذلك في القبائل الشرقية، وهي:

* **مركز إقوفاف:** ويقع بالقرب من قرية ثقة ناث يحي، التي توجد بها عائلة لفتي⁶، والتي لها شهرة واسعة، في عرش آث إيراثن، وآث منقلات وغيرها، فيتوجه المتخاصمون إليها بغية الاحتكام إلى فقهاءها.

* **مركز بني جناد، ومركز عشوية** القريبان من أزفون، ويوجد به قاضي قضاة المنطقة، الشيخ محمد المبارك بن الموهوب.

* **مركز بني بوذرار:** الذي اشتهر فيه العالم: محمد بن أحمد (كان حيا في حدود 1191هـ/1777م)، والذي ترك كتابا مخطوطا في الفلك، سماه (المصباح في علم الفلك)⁷، وهو الكتاب الموجه أساسا لخدمة التصوف، والأمور التي لها علاقة بالعبادات، كمراقبة الأهلة، وتتبع منازل القمر، وغير ذلك.

¹ - رواية شفوية من كبار القرية، وعن حفدة الشيخ، وهو المكان الذي بنيت فيه الزاوية الحالية تبركا بالمكان في نظر شيوخ القرية وأعيانها.

² - سي يوسف: المرجع السابق.

³ - المجهول: سيرة الزواوة، المصدر السابق، ورقة 10 وجه.

⁴ - HANOTEAU, et LETOURNEUX : op., cit., T 2, p,64.

⁵ - خوجة: المصدر السابق، ص، 58.

⁶ - حسب ما أخبرني به الدكتور عمار بن خروف فإن العائلات التي تحمل اسم: لفتي، أو بالفتي في المنطقة، تعتبر من العائلات التي برز منها الفقهاء في فترة من الفترات، أو اشتهرت بالقضاء في منطقة القبائل.

⁷ - توجد نسخة منه عند الشيخ: محمد الحسن علي.

* **مركز جمعة الصهاريج**: التابع لعائلة ابن القاضي الذين كانوا يعملون على تحكيم شرع الله في المنطقة، ويفكون الخصومات بين الأعراش التابعة إليهم، ومن آثارهم زاوية - ثالة أمقران-

* **مركز أولموثن، بني ورثيلان**: الذي اشتهرت فيه عائلة - حمودي- الذين لا ترد فتوى مشايخهم، بين سكان المنطقة، وليس بعيدا عنه نجد مركز: أبو الذي كانت عائلة الشيخ: الحسين الورثيلاني، منذ حلولها بالمنطقة، تقوم بحل المنازعات، وفك الخصومات، بين السكان في المنطقة.¹

* **مركز ثاقاعت، بالقرب من صدوق**، والذي اشتهرت فيه عائلة القاضي، التي لها شهرة واسعة بين علماء، ومتصوفي المنطقة، خلال العهد العثماني، وبعده. خاصة في الفرائض، وتقسيم التركات، وهي العائلة التي مازالت تتوارث العلم بالمنطقة إلى الآن، والتي تعرف: بعائلة ابن الشيخ.²

* **مركز بني عباس**: الذي اشتهرت به عائلة البوجليلي، الذين أسسوا زاوية بالناحية، كانت مركزا للإصلاح بين الناس.

* **مركز مسيسنا**: بناحية صدوق كذلك، واشتهرت فيه عائلة آث الموهوب (بالموهوب)، التي كان لها صيت واسع بالمنطقة، خلال العهد العثماني، علما، وإفتاء، وقد ذكرهم الورثيلاني الذي قال: " بأنهم فضلاء الوقت يقصدان للفتيا ".³ وإصلاح بين الناس، وظلت تؤدي هذا الدور، حتى هاجرت، إلى قسنطينة، في بداية الاحتلال، واستقرت بهذه المدينة.

* **مركز شلاطة**: وهو المركز الذي اتخذته عائلة ابن علي الشريف مركزا لها، وأسست به زاوية لها شهرة واسعة⁴، خلال العهد العثماني، سواء في التعليم، أو الإفتاء، أو الإصلاح بين الناس.

كما ذكر الورثيلاني في رحلته مجموعة من القضاة كأولاد تابونداوث ببجاية.⁵ وكذلك: " أولاد سيدي خروف فيهم العلماء والصلحاء والقضاة والمفتون، وهم شرفاء على ما اشتهر عندنا".⁶

هذا إلى جانب مشايخ الزوايا الذين كانوا يقومون بعملية التدريس، وتعليم الصبيان. فهم الذين يتدخلون عند حدوث الخلافات بين السكان، ويصلحون بينهم. كما هو الشأن بالنسبة، للشيخ أحمد أوفارس، بزاوية سيدي أحمد أويحي بأمالو، وهو الشيخ الذي كانت له سمعة، ومكانة واسعة في القرن التاسع عشر، بين سكان أعراش ناحية الزواوة الشرقية.

هذا إلى جانب تدخل القوى الدينية، في الدفاع عن المستضعفين، الذين لا يجدون من يقف إلى جانبهم، خاصة النساء اللواتي ترملن، وليس لهن من يدافع عن حقوقهن، فيقوم الشيخ أو العالم المتصوف، أو المرابط، بدور الولي

¹ الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص 08.

² - معلومات قدمها لي الشيخ: محمد الشريف بن الشيخ، ببجاية يوم 15/09/2006م، وهو من أحفاد العائلة.

³ المصدر السابق، ص 40.

⁴ -AUCAPITANE: op.cit, p 10.

⁵ الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص 37.

⁶ نفسه، ص 39.

عليهن، مما جعلهن يطلقن اسم " الأب " على هؤلاء، لكونهن يرين فيهم، آباء يدافعون عن حقوقهن، مثلما يدافع الأب عن مصالح أبنائه.¹

ب- تعيين القضاة: إن تعيين القضاة في منطقة القبائل، يختلف بين الجهات الجبلية الممتنعة، والجهات الخاضعة. ففي المناطق الجبلية الممتنعة، يتولى المرابطون، والعلماء، ومشايخ الطرق الصوفية، مهمة القضاء. أما في المناطق الخاضعة، فإن تعيين القضاة يتم من طرف السلطة المركزية، كما هو حال مدينة بجاية، التي عثرت على بعض الرسائل التي تحمل تعيين القضاة بالمدينة، كما هو حال الرسالة الأولى، التي يعود تاريخها إلى سنة 1201هـ/1713م، وهي الموجهة إلى سكان المدينة، من قبل المعظم الأمجد مولانا الدولاتي السيد محمد باشا، والتي تنص على تعيين، العالم الأكمل السيد (محمد بن السيد الحسين) قاضيا مرضيا، وثقة محضيا ببلد بجاية، يحكم بين الناس فيما لهم وعليهم، سالكا في ذلك أحسن المسالك، حاكما بالمشهور من مذهب الإمام مالك.² بالإضافة إلى رسالة أخرى، موجهة أيضا من الدولاتي محمد باشا، إلى سكان مدينة بجاية يعود تاريخها، إلى أوائل شهر جمادى الثانية سنة 1212هـ/1736م، وتنص على تعيين قاض آخر ببجاية، وهو العالم الأفضل السيد الحسين بن محمد، الذي كلف بفصل الخصومات بالمدينة، على مذهب الإمام مالك.³

من خلال هاتين الرسالتين، أستنتج: بأن القضاة الذين تعينهم السلطة المركزية، في مدينة بجاية الخاضعة للسلطة المركزية، يتم اختيارهم، من بين العلماء المشهورين، الذين يكلفون بحل المنازعات بين المتخاصمين -وأعتقد بأن هذا المنصب، ومن خلال الرسالتين السابقتين متوارث - في المدينة، وإذا كانت الناحية لا تتوفر على قضاة رسميين، وهي من المناطق غير الممتنعة، فإن السلطة المركزية، تتدخل بواسطة القيادة المحلية، لحل الخلافات، وهذا ما تضمنته الرسالة المؤرخة في: أوائل شهر محرم سنة 1243هـ (1754م)، والتي تتضمن: تكليف الداى، لقائد سيباو، في التدخل لحل مسألة بين متقاضيين في مدينة دلس، بعد أن رفع أحدهما القضية، إلى السلطة المركزية، وبعد الحكم الذي أصدره علماء المدينة، قبل به الطرفان، وصادق عليه الداى⁴، غير أن المناطق الممتنعة، والبعيدة عن سلطة البايك، فإن القضاء فيها يتم من قبل المرابطين، والعلماء المتصوفين، كما سبق الحديث عنه.

ج- تسجيل العقود:

إن تسجيل العقود عادة من مهام الدولة، وذلك في سجلات خاصة، سواء تعلق الأمر بالحالة المدنية، أو الإقتصادية، أو عقود الملكية العقارية، أو غير ذلك من العقود، والتسجيلات. إلا أن منطقة القبائل المتميزة بعدم خضوع

¹ - معلومات تحصلت عليها من كبار المنطقة.

² - رسالة في قسم المخطوطات ب:م. و. ج. تحت رقم 3206، ورقة 43.

³ - رسالة في قسم المخطوطات ب:م. و. ج. تحت رقم 3206، ورقة 44.

⁴ - رسالة بقسم المخطوطات، م. و. ج. رقم 3206، ورقة 16.

كثير من جهاتها إلى السلطة المركزية، جعلها لا تتمتع بمصالح إدارية مستقرة، ونظامية، لذا فإن جل العقود الإدارية يسجلها العلماء، والمرابطون، ومشايخ الزوايا، وهذا ما جعل السجلات الإدارية المحلية منعدمة، إلا من بعض العقود العائلية التي بقيت محفوظة من التلف. ومعظم هذه العقود التي تمكنت من الحصول عليها تتناول جوانب معينة، وقليلة، أهمها:

- عقود تقسيم التركات: تبين معظم العقود التي عثرت عليها، بأن العلماء، والمرابطين، كان لهم دور كبير، في تقسيم التركات بين السكان في المنطقة، نتيجة انعدام المحاكم الشرعية كما كان لهم دور في تدوينها، بل حتى في حضورها، والإشهاد عليها، وعلى الرغم، من أن قضية الميراث قد عرفت نقاشا حادا بين علماء المنطقة، خاصة في القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر ميلادي، بعد أمرية 1749م¹، غير أن هذه الأمرية لم تمنع بعض العلماء، والمرابطين، من معارضة ما أسفرت عنه هذه المداولة، و على رأس هؤلاء الشيخ الورثيلاني، الذي انتقل من بني ورثيلان، إلى دلس، من أجل الاتصال بعلماء زاوة الغربية، وتوحيد موقفهم ضدها²، والعمل على تحكيم شرع الله³. وهذا ما يظهر من الوثيقة التي كتبها الشيخ الحداد، في تقسيم التركة، والتي يظهر فيها تطبيق الآية الكريمة (...فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم))⁴.

فمعظم هذه العقود، كتبها فقهاء، وعلماء متصوفون، ومرابطون بالمنطقة، مما جعل دورهم يتعدى الدور التعليمي، إلى الدور التوثيقي، خاصة إذا علمنا، بأن هؤلاء العلماء، والمرابطين، كانوا من الذين تتوفر فيهم دون غيرهم، جوانب علمية تساعدهم في تقسيم التركات، فنجد بعضا من العائلات التي لها شهرة في علم الفرائض، كما هو حال عائلة: آل حمودي، وعائلة لفتي بالقبايل الشرقية⁵.

- عقود البيع والشراء: وهي العقود الأكثر تواجدا بالمنطقة، سواء في زاوة الشرقية، أو الغربية، وذلك لما لهذه العقود من أهمية في الحياة العامة للسكان، ومن خلالها وجدت بأن العلماء، والمرابطين، وأتباع الطرق الصوفية، هم الذين يتولون مهمة تسجيل العقود التوثيقية، فحتى وإن كانت السجلات الرسمية التي تعود إلى فترة البحث قليلة- إن لم تكن منعدمة- وذلك لضياعتها، أو اندثارها بفعل الحرق، الذي تعرضت له أغلبية الزوايا، التي كانت أماكن لحفظ هذه السجلات، والعقود، وذلك منذ بداية الاحتلال الفرنسي لمنطقة القبائل. غير أن الوثائق التي تمكنت من جمعها، والإطلاع عليها، تبين مدى اهتمام علماء المنطقة، ومشايخها، الذين كانوا يتولون هذه المهمة، المتمثلة في تسجيل العقود. فيحددون الملكية العقارية تحديدا دقيقا، سواء بذكر

1 - ساحي: ميراث... ص: 8-12

2- HADJ SADOK: op.cit, p :354 .

3 - الورثيلاني: المصدر السابق، ص 8.

4 - سورة النساء، الآية 176.

وبالنسبة للوثيقة، فهي بحوزتي. أنظر الملحق .

5 - معلومات قدمها لي الشيخ: محمد الحسن عليلي بيته، يوم 15/9/2006.

المجاورين للعقار المراد تسجيله، أو تحديد الجهات الأربع، ومن يحد الملكية العقارية من كل جهة، وذلك من خلال الاعتماد على جهة القبلة، لتحديد الشرق، وجهة البحر لتحديد الشمال، كما هو حال عرش: آث إيراثن الفوقاني . وفي بعض العقود الأخرى، يحدد الاسم مع الملكيات المجاورة دون تحديد الجهات الأربع بدقة.

إلا أن هناك ظاهرة هامة، تتمثل في تحديد سعر الشراء، والأوجه الشرعية في صحة البيع، وكذلك الإثبات بالشهود الذين حضروا عملية البيع. ومثال ذلك: الوثيقة التي يعود تاريخها إلى شهر شوال 1184هـ/1798م، والتي بين فيها كاتب العقد، كل ما يتعلق بالأرض المبيعة¹، وذلك من أجل تجنب كل ما يمكن، أن يجعل البيع فاسدا من الناحية الشرعية، وأكثر من ذلك: تعين الأشجار التي توجد بالأرض المبيعة، ومثال ذلك: العقد رقم 42 والذي يتضمن (الموضع المسمى أعزام أوبوراق) المشجر بأحد وستين زيتونة، وإحدى عشر كرمة كبيرة ودالية العنب، وثمانية أشجار البلوط عليهم دوالي العنب، المحدود شرقا طريق، وغربا بملك... وبحرا بملك... وبقبله طريق².

- عقود الحبس والوقف:

لقد تحصلت على مجموعة من عقود التحبيس، ومن بينها عقد يعود تاريخه إلى سنة 1125هـ/1682م. وكاتبه هو الموهوب بن بلقاسم، الذي عرف بنفسه قائلا: ((...زابه -العقد- العلامة رسم المناقلة عبيده وأصغر عبيده ومحجور أعلام أوليائه الموهوب بن بلقا سم الشريف..)).³ . إن هذا الكاتب الذي عرف بنفسه، ونسبه الذي يعود إلى الأشراف (المرابطين)، يدل دلالة واضحة على دور هذه الفئة بين السكان، في المجتمع الجزائري عامة، وبين سكان منطقة القبائل خاصة، وهو الدور الذي يظهر في عدة جوانب، ومن بينها تدوين العقود الخاصة بالتحبيس، وفي هذه العقود، توضح الأشياء المحبوسة، ونوعيتها، وموقعها، ونوعية الحبس، وكذلك تحديد المحبوس له .

هذا وقد عثرت كذلك على عقد تحبيس آخر يعود تاريخه إلى شهر شعبان 1181هـ/1795م، وكاتبه هو الفقيه العدل سيدي محمد بن مصباح، الذي حبس ملكه على ولده: سيدي الموهوب.⁴ من خلال هذه النماذج، يظهر الدور الكبير الذي لعبته القوى الدينية وعلى رأسها المتصوفين والمرابطين، في تسجيل العقود بمنطقة القبائل، فعلى الرغم من ضياع أغلبية العقود، والوثائق الإدارية، فإن الباقي منها يدل دلالة واضحة على الدور الكبير الذي لعبته هذه الفئة في منطقة القبائل، التي يظهر بأن السكان لا يسجلون العقود التي لها علاقة بالحالة المدنية، كما هو الحال في المدن، والمناطق الخاضعة للسلطة المركزية التي تتوفر على

1 - أنظر نسخة عن هذا العقد في الملحق .

2 - مجموعة من عقود إثبات الملكية، لعرش آث إيراثن الفوقاني، والتي هي بحوزتي.

3 - عقد تحبيس نقلته عن الأصل من محكمة سيدي عيش، أملك نسخة عنه. راجعه في الملحق .

4 - أنظر نسخة منقولة عن العقد الأصلي، في الملحق .

سجلات خاصة بعقود الزواج، والطلاق، والمواليد، وغير ذلك من الأمور التي يعتمد عليها في تنظيم المجتمع، أما في المنطقة فإن الاعتماد على القوانين العرفية، والتنظيم الاجتماعي المبني على القرية، أو العرش، جعل الاهتمام بتنظيم الحياة الإدارية قليلا.

المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في الحياة الاقتصادية

01- الوقف أو الحبس: لا يقصد به، فقط، الأراضي التي حبست

للإنفاق على الأعمال الخيرية¹، بل يقصد به أيضا كل العقارات، والوسائل التي يمكن استخدامها، من قبل الموقوفين لهم².

فالوقف من حيث أصله، هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))³، وبذلك يعتبر الوقف، صدقة جارية، القصد منها غالبا سد حاجات المعوزين. كما أن الأصل الثاني في الوقف هو سؤال عمر بن الخطاب (ض) للرسول صلى الله عليه وسلم، عندما وجد أرضا خصبة، ولم يدر ماذا يفعل بها. فقال عمر للرسول صلى الله عليه وسلم ((إني أصبت أرضا بخير لم أصب مالا قط أنفس منه، فما تأمرني به؟ فأجاب المصطفى صلوات الله عليه وسلم: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بالباقي))⁴. فالوقف عبارة عن ملك موقوف لا يباع، ولا يورث، ولا يوهب، وإنما هو صدقة جارية⁵. هذا وقد عرف الوقف كذلك أحد الفقهاء فقال: (الوقف هو حبس العين كالأرض، ثم التصدق بثمرتها على وجه البر والإحسان)⁶.

فمن خلال هذه التعاريف أستخلص: بأن الوقف تعود فوائده على الأشياء الموقوفة لها، وهي لا تقتصر على الأراضي فقط، بل تتعدى ذلك إلى الأشجار المثمرة، والغلال كالتين والزيتون⁷، وحتى الحيوانات المحلوبة والمحلات التجارية، والحمامات المعدنية في الأرياف⁸، ومما تدره هذه الأوقاف، يصرف على الغذاء، أو الإنارة، أو التنظيف والتبييض، والتأثيث، والصيانة، كما تدفع منها أجور المشايخ العاملين بها، وغير ذلك⁹. فالوقف من هذه الناحية يعتبر من الموارد الهامة للمؤسسات الخيرية عامة، والتعليمية خاصة، لكونها تعتمد على هذا المصدر كثيرا.

¹ - سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 51.

² - HANOTEAU et LETOURNEUX : op,cit., T2, p 172.

³ - حديث شريف، رواه البخاري ومسلم، أنظر: صحيح البخاري الكتاب التاسع ص 293.

⁴ - حديث شريف، رواه نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما. أنظر الصحاح.

⁵ - أبو القاسم سعد الله: وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين (الوقف والزكاة) في: مجلة الحياة، ع8، تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، رمضان 1425/نوفمبر 2004، ص93.

⁶ - محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971، ص7.

⁷ - مقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920/1954)، بحث لنيل شهادة

الماجستير، جامعة الجزائر، 1411/1991، ص76.

⁸ - يحي بوغزير: أوضاع، المرجع السابق، ص23.

⁹ - يسلي: المرجع السابق، ص77.

وهذه الأوقاف عادة، يتولى تسييرها، واستغلال منتوجاتها، أتباع الزاوية من الطلبة، والقائمين عليها، من أبناء الأسر المشرفة على تسييرها، أو الوكلاء الذين يكلفون بشؤون الزاوية، وفي بعض الأحيان نجد بأن العمال العاملين بهذه الأراضي الموقوفة، يأخذون خمس الإنتاج، مقابل جهودهم التي يبذلونها.¹⁰ كما أن هناك طريقة أخرى تتبع في استغلال أراضي الوقف، وتتمثل في التطوع الجماعي للسكان، والطلبة، وهو الشكل الذي يعرف بالتويزة، المتبعة في جمع المحاصيل الفلاحية خاصة الزيتون.

02-01- أماكن وجود الوثائق الوقفية :

إن الباحث يجد صعوبة كبيرة في الحصول على الوثائق، التي تبين المساحات الوقفية، وكذا تحديد حدودها، وأماكن انتشارها؛ وذلك يعود إلى عوامل مختلفة منها البشرية من خلال انعدام سجلات التقايد المتعلقة بها، نتيجة ضياعها بفعل الحروب، والنزوح، والهجرة. غير أن أهم الأماكن التي توجد بها بعض هذه العقود تتركز أساسا في :

01- أرشيف المستعمرات بإكس أن بروفانس (Aix-en-Provence)،

والذي يحتوي على وثائق هامة خاصة بعقود ومستندات ومراسلات خاصة بأعيان المنطقة مع السلطات الاستعمارية.

02- أرشيف وزارة المالية والتي اطلعت على بعضها والمتضمنة أساسا

الفترة الاستعمارية، وتتمثل في :

- مخططات مسح الأراضي في فترة الاحتلال.

- مخطط سيناتيس كونسيلت .

03- الأرشيف الوطني : بالرغم من وجود عدد كبير ، وهام من الوثائق

المتعلقة بالحبس في الجزائر. إلا أن ما يتصل بالمنطقة التي يدور

عليها بحثي فهي قليلة جدا، ولا تعكس الدور الهام الذي لعبه الوقف

بمنطقة القبائل، وهذه الوثائق محدودة في العلب من 80-83، وكذلك

العلبة 165 و 183، وهي تتضمن عقودا وقفية خاصة بمدينة بجاية،

ولفترات متعددة.

04- أرشيف ولايتي بجاية وتيزي وزو : توجد مجموعة من الوثائق الخاصة

بأرشيف ولايتي بجاية وتيزي وزو. غير أن الاستفادة منها ضئيلة جدا،

وذلك نتيجة :

- عدم تصنيفها وفهرستها : بحيث وجدت بعضا منها مسجلا مع عقود التنازل

خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي، إذ اعتبرت أراضي الأوقاف ، من بين

الأراضي الشاغرة ، مما حال دون إمكانية تحديدها.

05- وثائق الخواص : إن أهميتها لكبيرة جدا خاصة فيما يتعلق بإظهار

أوقاف المعمرات والزوايا بالمنطقة، وهي عبارة عن عقود ومحاضر

ووصايا ظلت تحتفظ بها الكثير من العائلات والأسر. إلا أن صعوبة

الحصول عليها حال دون الاستفادة منها.

ينقسم الوقف عادة إلى قسمين رئيسيين هما:

¹⁰ - سعيدوني: الزوايا ، المرجع السابق، ص،8.

- الوقف الخيري: وهو المعروف بالوقف العام، الذي يعود مردوده على المصلحة العامة، التي حُبس من أجلها، وذلك عملاً بأحكام الإمام مالك (ض) ببلاد المغرب، وهذا النوع يشترط في الحبس، أن تعود منفعته مبدئياً على المصلحة العامة¹، وقد عرف هذا النوع انتشاراً واسعاً في الحواضر أكثر من الأرياف²، غير أن خصوصيات منطقة القبائل جعلته أكثر انتشاراً³.

-الوقف الأهلي: والذي يعرف أيضاً بالوقف العائلي، أو الخاص، وهو الوقف، الذي يحتفظ فيه المحبس، أو الواقف، أو عقبه، بحق الانتفاع به، ولا ينتقل إلى المحبس له، إلا بعد انقراض العقب، أو انقطاع النسل. حسب المذهب الحنفي، الذي انتشر في المغرب الإسلامي عامة، بعد دخول الأتراك العثمانيين⁴، ونتيجة ذلك أقبل عليه الكثير من الناس، فانتشرت الأراضي المحبوسة.

إن هذا النوع نادر الوجود في منطقة القبائل، لكون السكان يقبلون على حبس ممتلكاتهم حبساً أهلياً، تهرباً من الضرائب والمصادرة التي يمكن أن تتعرض لها من قبل الحاكم. غير أن نفوذ السلطة على هذه المنطقة محدود جداً، مما جعل السكان لا يولون أي اهتمام، أو خوف من السلطة. الشيء الذي جعلهم يقبلون على النوع الأول، من الوقف، والحبس، بينما النوع الثاني: نجده في المناطق الخاضعة، وكذلك عند العائلات المرابطة، التي تخشى من ضياع أملاكها، فتلجئ إلى تحبيسها حبساً أهلياً، حتى تبقى الممتلكات بين أفراد العائلة، وهذا ما يظهر في عقد تحبيس سيدي حساين، بأث وغليس، الذي سبقت الإشارة إليه.

02- انتشار الحبس في المنطقة:

لقد مر الحبس في الجزائر عامّة، وفي منطقة القبائل خاصة في العصر الحديث، بمرحلتين رئيسيتين هما:

- **المرحلة الأولى:** وهي الممتدة، منذ ارتباط الجزائر بالباب العالي سنة 1519م، إلى سنة 1659..⁵ وهي المرحلة التي بدأ الوقف فيها ينتشر في المناطق الجبلية الحصينة، إذ بدأ الناس يحبسون أراضيهم، على المؤسسات الخيرية⁶، وذلك خارج المدن الرئيسية، والحواضر المهمة، تشجيعاً للمجاهدين، والمرابطين في نشر العلم، والتفرغ لمقاومة الخطر الخارجي، فالوقف في هذه المرحلة، كان بمثابة جهاد مصداقاً لقوله تعالى ((...وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله خيراً وأعظم أجراً...)).⁷

- **المرحلة الثانية:** وهي الممتدة من القرن الثامن عشر، إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهي التي عرفت فيها ظاهرة التحبيس، انتشاراً واسعاً في

¹ - سعيدوني: دراسات، المرجع السابق، ص 51.

² - نفسه: الزوايا، مرجع سابق، ص 8.

³ - للمزيد عن هذا النوع أنظر: سعيدوني: دراسات، المرجع السابق، ص 101، 77.

⁴ - نفسه، ص 52.

⁵ وهي الفترة التي تقابل عهدين عاشتهما الجزائر والمتمثلين في عهد البايبربايات والباشوات، حيث كان يعين حكام الجزائر من اسطنبول.

⁶ - نفسه، ص 30.

⁷ - القرآن الكريم، سورة المزمل، الآية 20.

مختلف جهات البلاد، وذلك نتيجة لتراجع الاقتصاد الإسلامي القائم على الزراعة.¹ فتراجعت الملكيات الخاصة، وتحولت إلى وقف خيري، أو أهلي، حتى أن الأراضي المشاعة قد تقلصت مساحتها بعد أن استولى الحكام وموظفو الدولة، وشيوخ الزوايا... على مساحات واسعة من الأراضي.² إن انتشار الوقف في المنطقة يعود -حسب ظني- إلى أمرين:

أ- تشجيعا لحكام المنطقة، في الدفاع عنها في المرحلة الأولى، وهي الفترة التي عرفت نوعا من التحالف بين متصوفي المنطقة ومرابطيها من جهة، والسلطة الحاكمة من جهة أخرى. فأقبل الكثير من السكان على تحبيس أملاكهم تحبيسا خيريا، أو أهليا، وهي ظاهرة عبر بواسطتها السكان على وقوفهم إلى جانب السلطة الحاكمة، في الدفاع عن البلاد.

ب- تشجيع القائمين على التعليم، في نشره بين أوساط المجتمع، لأن السلطة قد تركت هذه المؤسسات، وتمويلها إلى الشعب، إلا أن الوقف لم يعرف انتشارا واسعا في المنطقة، لأن المجتمع المحلي قائم على اقتصاد تكاملي معيشي من جهة،³ ولأن السكان هم الذين يتكفلون بخدمة الزاوية، وتغطية حاجاتها، من جهة أخرى، هذا إلى جانب اعتبار بعض شيوخ الزوايا بأن ما حبس على زاويته ملك خاص لهم ولأسرتهم، كما هو حال زاوية ابن علي الشريف، التي أصبحت لها أملاك واسعة، في حوض الصومام، والمناطق المجاورة لها⁴، وكذلك بالنسبة لزاوية الشيخ الحداد، التي أصبحت لها أملاك، وأوقاف واسعة⁵، وهي الأملاك التي تعرضت للمصادرة، بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر. وأسباب هذه الظاهرة في هذه المرحلة تتمثل فيما يلي:

- الحيلولة دون مصادرة الأرض، والاستيلاء عليها من قبل الحكام.
- رغبة المحبس في توفير مصدر رزق دائم، لنفسه، ولأسرته، وحفظ حقوق عقبه من اليتامى، والأرامل.
- اتساع ظاهرة التصوف في الأرياف، وعزوف الناس على الحياة المادية.
- الرغبة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى⁶.

غير أن الملاحظة العامة، هي أن الوقف خارج المدن لم يكن منتشرا، في المغرب الإسلامي عامة، إلا أننا نجد في منطقة القبائل، بأن الأراضي والعقارات الموقوفة على الزوايا، والمعمرات، قد عرفت اتساعا، وانتشارا كبيرين، بالإضافة إلى التنوع، وأمثلة ذلك:

01-02 - أوقاف زاوية الشيخ يحيى العيدالي: لقد تمتعت هذه الزاوية بمكانة هامة، بين زوايا منطقة القبائل خاصة، والمغرب الأوسط عامة، وذلك

¹ زبدين قاسيمي، "الوقف بمنطقة القبائل من 1817 إلى 1878"، في دراسات إنسانية، بجامعة الجزائر، عدد خاص، الجزائر، 2001-2002م، ص 227.

² - سعيدوني: المرجع السابق، ص 34.

³ مقصود به: الزراعة والنشاط المعاشي اللذان اعتمد عليهما سكان المنطقة، كما أنه مبني على استغلال الأرض إلى أقصى درجة، ويقومون بعملية المقياضة مع المناطق الأخرى للوصول إلى تحقيق ضروريات السكان اليومية.

⁴ - نفسه: الزوايا... المرجع السابق، ص 8.

⁵ - بوغزير: أوضاع، مرجع سابق، ص 17-18.

⁶ - سعيدوني: دراسات، المرجع السابق، ص 53.

لما لها من مكانة بين السكان، و لما لها من دور تعليمي عبر القرون. ولعل من العوامل التي ساهمت في هذه المكانة، التي تمكنت الزاوية من اكتسابها، يعود إلى العلماء، الذين كانوا يعلمون فيها وإلى طلبتها، سواء في عهد مؤسسها، أو في عهد أحفاده. كما أن الزاوية كانت تتمتع بمدخيل هامة، جعلتها تستغني عن الشحاذة، في كثير من الأحيان، وذلك نتيجة ما تدره أوقافها عليها، وعلى طلبتها من مؤونة.¹ سواء كانت هذه الأوقاف، في ناحية بني عيدل، أو خارجه.

وقد امتلكت الزاوية أوقافا، وأحباسا، كانت تستغل في زراعة مختلف الحبوب. وتقع معظم الأراضي الزراعية، الموقوفة على الزاوية في محيط العرش. مما سمح باستغلالها من طرف طلبة الزاوية مباشرة سواء في تمقرة، أو خارجه. ويذكر الشيخ الورثيلاني: " بأن الشيخ يحي العيدالي، كانت له عزلة زرع في أمالو من بني عيدل ".² كما أن هناك مساحات زراعية، في مناطق أخرى، لا يزال الكبار يذكرونها، والتي تعرضت إلى المصادرة، في بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة. هذا إلى جانب الأشجار المثمرة، وعلى رأسها الزيتون، الذي اشتهرت به المنطقة.³ وهي الأوقاف التي ما زالت إلى الآن، وتستغلها الزاوية للطلبة، وهي غير خاضعة للضرائب المخزنية.

كما امتلكت الزاوية، الحمام المعدني، وهو من الأوقاف الهامة، ومصدر رئيسي لمدخل الزاوية، وموقعه غير بعيد عنها. وكانت به خلوة الشيخ العيدالي، قبل تأسيسه للزاوية، فالحمام كان وقفا على الزاوية منذ حياة الشيخ، حيث وهبه صاحبه، الذي كان يملكه، لابنته التي تزوجها الشيخ العيدالي. وهي من ناحية بني عباس، العرش القريب إلى عرش الشيخ. وقد تحول بعد تأسيس الزاوية إلى وقف لها ولذرية الشيخ، الذين يستغلونه وفق أعراف متبعة بين السكان.⁴

وقد وجدت أن تحييس الحمامات المعدنية، التي يقصدها الناس عادة للتداوي من بعض الأمراض، والتبرك بها عند البعض الآخر، لا يقتصر على زاوية تمقرة، حيث أن زوايا أخرى كانت تستفيد من عائدات حمامات مجاورة لها، كزاوية بني حالة، التي تستفيد من عائدات حمام إيبان، وكذلك حمام السيلال بني وغليس، الذي يمول كتاب القرية، ويدفع منها كذلك راتب الشيخ.

02-02- أوقاف زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي: إن الباحث في الأوقاف التي تمتلكها الزاوية، خاصة الأراضي الزراعية، يجد بأن مساحتها واسعة، ومناطق انتشارها متعددة، ومن أهمها:

¹ - محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 84-85.

² - شوارق، مصدر سابق، م.خ، ص، 85. وكذلك: الرحلة، مصدر سابق، ص 10.

³ - الورثيلاني: المصدر السابق، ص 10.

⁴ - رواية عن كبار المنطقة، وكذلك: رئيس بلدية بني رزين الذي قال لي بأنه يملك وثيقة تبين ذلك، إضافة إلى مخطوط بحوزتي يتعلق بشجرة الشيخ.

01-02-02-02- وقف إيلولة أو مالو: وهو عبارة عن مساحة أقيمت عليها الزاوية، منذ القرن الثاني عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، والتي ما تزال قائمة في الأرض نفسها الموقوفة لهذا الغرض إلى الآن¹.

02-02-02- وقف سوق الخميس وكذلك قطعة تعرف بـ: ((ثاحريقت نطلبة))، والواقعة بحوض وادي بوبهير القريب إلى الزاوية، وهي عبارة عن أراض زراعية، توجد بها الأشجار المثمرة، خاصة الزيتون².

03-02-02- وقف بقرية ثودار-عرش بني عيدل، وتعرف بـ: ((زيتون إيقداشن)).³ والذي يعتبر من الأوقاف الهامة التابعة للزاوية، لأن مدة جمع إنتاجها من الزيتون، يستغرق مدة لاتقل عن شهر كامل، وعدد الطلبة الذين يقومون بعملية الجني، لا يقل عددهم عن ثمانين طالبا، مما يدل على اتساع المساحة، وكثرة عدد الأشجار⁴.

04-02-02- وقف نازلمت بالقلة: يقع بناحية برج بوعريريج، وهو عبارة عن مساحة من الأرض الخاصة بزراعة الحبوب، والمقدرة بحوالي: ستة (6هـ) هكتارات، والتي يقوم بحراستها، وحصدها، سكان المنطقة، وبعد ذلك ينقل الإنتاج إلى الزاوية من قبل الطلبة⁵.

إن انتشار الوقف الخيري في منطقة القبائل، على المؤسسات التعليمية، التي كانت منتشرة، في مختلف جهات المنطقة، والتي أسسها المتصوفون، والأولياء المرابطون، متعددة الأوجه والأنواع، فحتى وإن كانت المساحات الزراعية محدودة، والتي لا تساعد على الوقف، لأنها تعتبر المصدر الرئيسي لمعيشتهم⁶ غير أننا نجد هناك تنوعا كبيرا في الوقف. فهناك الأراضي الزراعية، وأشجار الزيتون، وضيعات، وغرف، ودكاكين، ومخازن للتجارة، وإسطبلات، وحتى المعاصر، والرحى، كما هو حال زاوية الشيخ الحداد بصدوق أوفلة⁷.

03- بعض مظاهر التكافل:

01-03- (إشريكن)⁸ : كانت مشاركة الأولياء، والمرابطين، والمتصوفين لخدّامهم، تعتبر ظاهرة منتشرة في عدة مناطق من الجزائر عامة، والمنطقة خاصة، وهي عبارة عن وصية يوصي بها المتوفى أحد أبنائه، في أن يقدم لمؤسسة خيرية (معمرة) أو زاوية كمية من الإنتاج الفلاحي لها في كل حول، سواء كان هذا المنتج زراعيًا: كالحبوب، والتين، والزيتون وغيرها. أو منتوجا حيوانيا: كالسمن، والعسل، والصوف للمؤسسة الموصى لها، أو أحفاد المرابطين الذين يقومون بالإشراف عليها. وتحدد كمية ما يمنح من الحبوب

¹ - محمد الحسن عليلي: أملاك زاوية سيدي عبد الرحمن الوقفية، في: جريدة الشعب، العدد: 11016، الصادرة يوم 16/01/1417هـ / 03/06/1996.

² عقود الملكية التي لا زالت إلى اليوم عند المتصرفين في الزاوية.

³ - إيقداشن: كلمة قبائلية تعني فئة من الطلبة، صغار السن، وهم الذين يقومون بالعمل في الزاوية

⁴ - معلومات قدمها لي الشيخ محمد الحسن عليلي، ببيته يوم: 15/09/2006.

⁵ - للمزيد حول أوقاف الزاوية. أنظر: زيد بن قاسمي: المرجع السابق، ص 235-237.

⁶ - سعيدوني: الزوايا، المرجع السابق، ص 8.

⁷ - بوغزير: أوضاع، مرجع سابق، ص 11.

⁸ - كلمة قبائلية من أصل عربي، تعني المشاركة في الشيء.

حسب عدد الثيران التي يملكها الواهب. فإذا كان مالكا لثورين مخصصين للحراثة، فإنه يقدم عليهما صاعا من القمح، أو صاعين من الشعير، وكلما زاد العدد، كلما زادت الكمية¹.

وعادة تكون هذه الهدية من أحد الذين أخذوا الميثاق على شيخ، أو ولي متصوف في المنطقة، وتعرف باسم: **تغفارت**²، وتنقسم ظاهرة الشراكة إلى قسمين:

03-02 - الملكية الثابتة: حيث أن بعضا من العلماء والأولياء، والمرابطين، الذين حلوا في بعض الجهات، قد تملكوا ضيعات، ومزارع، وبعد هجرتهم، تركوها عند مستخدميهم الذين يستغلونها، فيقومون بتقديم جزء من الإنتاج إلى صاحب الأرض المستغلة، أو عقبه، أو زاويته وطلبتها، إن مات كلاله³.

03-03 - التوفيق: وهو عبارة عن حلف دفاعي، اجتماعي، اقتصادي، يستفيد المنضم إليه في الحصول على قسط من الإنتاج الفلاحي، أو قطعة أرضية زراعية يستغلها أحد خدام الولي، أو الفقيه، أو ذريتهما، مقابل استشارته من قبل العرش الذي انضم إليه، وذلك في الأمور الفقهية والشرعية، وهذا ما يجعل السكان يعودون إلى مثل هؤلاء في الأمور الشرعية المختلفة، لكونهم يعتبرون مرجعية دينية للعرش الذي انضم إليه⁴.

ومما تقدم يمكن القول، إن للقوى الدينية تأثيرا في منطقة القبائل، سواء تعلق الأمر بإعفاء مؤسساتهم من الأعباء المخزنية، أم الضرائب المفروضة على السكان، سواء من قبل السلطة المركزية، أو من قبل أمراء المنطقة، وأعيانها. كما أن تواجدهم ساهم إلى حد كبير في انتشار الوقف على مؤسساتهم، وكذلك انتشار ظاهرة الولاء لسلطة دينية نافذة لأنها الوسيلة الوحيدة، التي تمكنهم من ضمان تمويل مؤسساتهم. باعتبار أن السلطة تمتلك القوة المادية لإخضاع السكان. أما المتصوفون، وشيوخ الطرق الصوفية، فإنهم يستخدمون القوة الروحية المتمثلة في الكرامات، والولاء من خلال الورد أو الميثاق.

فقد كان متصوفو ومرابطو الجهات الخاضعة لقيادة الباش آغا ابن علي الشريف، في القرن التاسع عشر يعفون من الضرائب، كما هو حال زاوية الشيخ يحي العيدالي⁵.

¹ - محمد الشريف قاهر: المجلس الإسلامي الأعلى يوم 25/06/2006

² - من المغفرة والغفران: وهي صيغة مبالغة، يقصد منها أن ما يقدم فيها يمسح على الواهب الكثير من الذنوب والخطايا ويمح عنه السيئات، لكونهم يعتقدون بأن من يدفعها تكون أرضه، وزرعه، وثماره، محمية من الكوارث الطبيعية كالبرد والصقيع وغير ذلك. وهو اعتقاد ما زال سائدا بين الكبار في المنطقة.

³ - مات كلاله: أي دون أن يخلف وارثا يرثه. انظر /

((... وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة ...)) سورة النساء الآية 12.

⁴ - لقاء شخصي مع الشيخ محمد الحسن علي، بيته يوم 15/09/2006.

⁵ - رواية شفوية من أعيان المنطقة وشيوخها.

الفصل الرابع

تأثير القوى الدينية في الحياة الثقافية في منطقة القبائل

1- المبحث الأول: تأثير القوى الدينية في انتشار الزوايا في المنطقة.

- 01- لمحة عن زوايا المنطقة.
- 02- تعريف الزاوية.
- 03- أنواعها.
- 04- كيفية الالتحاق بها.
- 05- مراكز التجويد في المنطقة.
- 06- انتشار الزوايا، وموقف القوى الدينية من نشر التعليم.

2- المبحث الثاني: تأثير القوى الدينية في انتشار التعليم.

- 01- التعليم في زوايا المنطقة ومستوياته.
- 02- طرائق التدريس والمناهج الدراسية.
- 03- انتشار المزارات والقبب، وموقف بعض القوى الدينية من زيارتها.

ج- المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في انتشار حلقات الذكر والشعر الشعبي.

- 01- مفهوم الحلقة وأنواعها.
- 02- دور القوى الدينية في انتشار الشعر الشعبي.
- 03- نماذج من الشعر الديني القبائلي.

الفصل الرابع

تأثير القوى الدينية في الحياة الثقافية في منطقة القبائل:

المبحث الأول: تأثير القوى الدينية في انتشار الزوايا بالمنطقة:

01-لمحة حول زوايا المنطقة:

لقد عرفت بجاية منذ العهد الحمادي (483 - 547هـ / 1083-1143م) حركة فكرية، وثقافية نشيطة، وامتد ذلك النشاط إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وهو الشيء الذي تدل عليه المدارس، والمعاهد، والزوايا، والمساجد التي كانت منتشرة بها، وتخرج منها الكثير من فطاحل العلم والمعرفة، والذين نبغوا في علوم شتى، سواء من أبناء المنطقة كالمشدالي¹، والوغيليسي² وغيرهما، أو من خارجها، كالملياني³، والهوراري⁴، والأخضري⁵، بل حتى من خارج العالم الإسلامي، مثل العالم الإيطالي ليوناردو فيبوناشي Leonardo FIBONACCI (1240 - 1170م)،* الذي تعلم الرياضيات بها، ونقل الصفر إلى القارة الأوروبية. ولقد كانت بجاية - قبل القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تعج بالعلماء والفقهاء الذين تركوا آثارا هامة في مختلف العلوم⁶. وهو الشيء الذي رواه أبو حامد الصغير المسيلي الذي قال: " بأن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي⁷، بل إن ياقوت الحموي قد ذكر: " بأن العوام والعمى في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة، والموطأ، والتلقين، ويشرحونها للناس من ذاكرتهم"⁸.

فبجاية قبل القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، كانت مركزا علميا هاما، لا تقل أهميته عن المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي، مثل القاهرة، والقيروان، وفاس. غير أن الاحتلال الإسباني لها في 916هـ/ 1510م، قد ساعد على تراجع دورها، وانتقال علمائها إلى المناطق الداخلية،

¹ هو عمران بن موسى المشدالي: نسبة إلى عرش مشدالة، ولد سنة 670هـ، وتوفي سنة 745هـ، من أسرة علمية توارثت العلم والفتوى، أنظر عنه: الحفناوي: المصدر السابق ج 1 ص 84..88.

² هو أبو عبد الرحمن بن أحمد الوغيليسي البجائي، أخذ عنه جماعة من العلماء كأبي الحسن بن عثمان، وأبي القاسم بن محمد المشدالي فقيه بجاية وغيرها. وقد ذكره سيدي عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره " جواهر الحسان"، كما أن ابن الخطيب قال بأنه توفي في سنة 786 ببجاية، أنظر الحفناوي: المرجع السابق ج 1 ص 78,79.

³ أحمد بن يوسف الملياني: هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث من أعيان مشايخ المغرب... وهو من تلاميذ الشيخ زروق، له مناقب كثيرة، ذكرها أحمد الصباغ القلعي في "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ.م.و.ج. رقم: 2230، وأنظر عنه كذلك الحفناوي، ج 1، ص 355-359.

⁴ سيدي محمد الهوارى: توفي سنة 843هـ/1439م. تعلم ببجاية، وانتقل إلى وهران التي توفي بها، للمزيد أنظر عنه: ابن سعد الأنصاري، كتاب روضة النسر بن في التعريف بالأشياخ، الأربعة المتأخرين مخ.م.و.ج. رقم 2596.

⁵ عبد الرحمن الأخضري ابن محمد الصغير الأخضري: علم زاهد ورع، ذو قدم راسخ في المعقول والمنقول، له تأليف عديدة، كان حيا وأواسط القرن 10هـ. أنظر عنه: الحفناوي، المرجع السابق، ج 1، ص 72.

* جمعية جيهما بجامعة بجاية.

⁶ أنظر الغبريني: المصدر السابق.

⁷ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 320-321.

⁸ - معجم البلدان، ج 3، بيروت، 1957، ص 113.

فأسسوا بها عددا كبيرا من الزوايا في المنطقة، وهي التي تعرف بـ "ثيمعمرين"¹.

وليس هناك تاريخ محدد لبداية ظهور هذه الزوايا، أو المعمرات في المنطقة، لكون التعليم كان يتم من قبل، في المساجد، والكتاتيب، التي تعد بمثابة نواة تبلورت، ثم تطورت إلى زوايا، والتي يصعب تحديد ظهورها، فحتى وإن كان البعض يعيد تاريخ ظهور أولها، إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وذلك من خلال زاوية سيدي علي نتغلاط، في حدود سنة 682هـ/ 1284م²، ثم زاوية " سيدي أحمد بن إدريس "، الذي توفي في 760هـ/ 1358م³.

أما في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، فقد عرفت المنطقة انتشارا واسعا للمعمرات، وبشكل ملفت للانتباه. فحتى وإن كانت الظاهرة غير مقصورة على المنطقة فقط، بل شملت معظم العالم الإسلامي عامة، ومغربه خاصة، وذلك نتيجة انتشار عقيدة المرابطين التي رافقها انتشار الزوايا بفعل افتتاح عهد التصوف العلمي⁴. ولقد تميزت هذه الظاهرة خلال العهد العثماني، بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى⁵. وهو العامل الذي ساعد على انتشار الزوايا في المنطقة، والتي أصبحت تشتهر بها، وفاق عددها ستين زاوية⁶، مهمتها نشر العلم، وتوعية السكان. ومعظم هذه الزوايا قد تأسست من لدن المتصوفين والمرابطين، الذين دفن بعضهم فيها، إضافة إلى بعض شيوخ الزوايا، وطلبتها، مما جعل الاعتقاد عند العامة بعصمة الشيوخ، وقداسة الزاوية⁷. نتيجة وجود الضريح فيها. وظاهرة انتشار الزوايا بالمنطقة، وكثرتها، لا تعود في كل الحالات إلى الرغبة في نشر التعليم والعلم، بل هناك تنافس بين العائلات والعروش في الحصول على النفوذ السياسي والولاء الديني، أو المكانة الاجتماعية⁸، فتعددت بذلك الزوايا، وانتشرت بشكل واسع في مختلف النواحي⁹، سواء بزواوة الشرقية، أو الغربية. وكثر المریدون، والأتباع الذين رافقوا انتشار المرابطين الوافدين إلى المنطقة من مناطق مختلفة، سواء من الساقية الحمراء¹⁰ أم من أصول تركية،

1 - كلمة عربية بنطق محلي، وتعني المكان المملوء والعامر بالكرامات.

2 - ساحي: أعلام، المرجع السابق، ص 29.

3 - سي يوسف: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص 22.

4 - سعد الله، تاريخ، المرجع السابق، ج 1، ص 36.

5 - المهدي البوعبدلي: " الثقافة والتوجيه في الجزائر"، محاضرة في، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، 1970.

6 - سعد الله: تاريخ، مرجع سابق، ص 264، وكذلك: محمد الصالح آيت عجلت: " زوايا الولاية الثالثة ودورها في ثورة نوفمبر 1954"، في، جريدة المستقل، ع 608، يوم 9 جوان 2005.

7 - سعد الله، المرجع السابق: ص 37.

8 - محمد مايمون: زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي. دورها التعليمي، وتراثها الفقهي وأثرهما في منطقة القبائل، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 2000-2001، ص 30.

9 - Ali MERED: Le réformisme Musulman en Algérie de 1925-1940 (ESSAI D'HISTOIRE RELIGIEUSE ET SOCIALE), Edition EL HIKMA, Alger 1999, P60.

10 - سعيدوني، الزوايا، المرجع السابق، ص 05.

ككراغلة وادي الزيتون، كما هو حال آث واعمر ببني إيراثن، والذين تعود أصولهم إلى كراغلة وادي الزيتون¹.

وعلى كل، فإن انتشار الزوايا في المنطقة خلال العهد العثماني، ظاهرة هامة ساهمت في نشر التعليم العربي الإسلامي، ولها علاقة وطيدة بظاهرة التصوف والطرقية، التي يصعب الفصل بينهما، وبين هذا الانتشار، كما أن السلطة العثمانية قد ساهمت في هذا التوسع سواء بالمنطقة، أو بغيرها من المناطق الأخرى.

أما العوامل الأخرى التي لعبت دورا في انتشار الزوايا بمنطقة القبائل فألخصها فيما يلي:

1- التأثير الذي تركه سقوط غرناطة بيد الإسبان 897هـ/1492م، وما تركه

هذا الحدث على المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، من حزن عميق على ضياع هذا الجزء من العالم الإسلامي. وكذلك احتلال إسبانيا لمجموعة من الثغور المغاربية. فاعتقد الناس بأن ما حل بهم سببه ابتعادهم عن الدين، فتغلب الكفرة عليهم. وبذلك أرادوا تدارك الأمر، من خلال العودة إلى تعلم دينهم. خاصة وأن هناك عددا من العلماء، الذين بدؤوا يجوبون البلاد حثا على الجهاد، واستنهاض الهمم، وتعميق المعنى الديني في نفوس العامة².

2- تأثير انتقال العلماء الذين كانوا بيجاية، إلى المناطق الداخلية، فأسس

بعضهم زوايا علمية، في مختلف جهات المنطقة، بداية بزواوية سيدي أحمد بن إدريس، وزاوية الشيخ يحي العيدالي، وزاوية الشيخ أحمد زروق، وغيرهم من علماء بجاية، الذين نقلوا كنوزها العلمية إلى الجهات الداخلية المنيعه، ونفذوا وصية الشيخ الثعالبي إلى أحد تلاميذه³.

3- تحول الزوايا المرابطية إلى معاهد للتعليم بالمنطقة، فالزوايا لم تكن

بدايتها للتعليم كلية، بل كان منها ما هو ماوي لعابري السبيل، أو لإطعام الجائعين، أو مراكز أربطة للمجاهدين. غير أن أحداث القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، قد دفع إلى تحول هذه الزوايا - المنتشرة في جهات متعددة من المنطقة - إلى التعليم. لأن المياني كانت جاهزة. " فلم تتطلب حركة التعليم في الريف وقتا أو عناء لانطلاقها"⁴. ولأن الأرضية كانت مهياة.

وبذلك انتشر التعليم بواسطة هذه الزوايا، بسرعة في المناطق الجبلية، وفي الأرياف. وهو ما يذكره " ابن مريم " عندما عرف بسيدي عبد الرحمن بن

¹ - نسبة إلى وادي الزيتون بالقرب من الأخضرية - حاليا- وهي المنطقة التي اتخذها الكراغلة الذين قاموا بمحاولة انقلابية على السلطة العثمانية فيما بين (1629- 1633)، فنفاهم الداى إلى هذه الجهة، ومنها توغلوا نحو منطقة القبائل، وبطلق عليهم إيزينوثيين- أنظر حولهم: شويتام: نهاية، المرجع السابق، ص76. وحول هذه الظاهرة أنظر:

- HANOTEAU et LETOURNEUX : Op.cit, T1, pp 92.94

² العيد مسعود: المرجع السابق، ص 60-61.

³ أبو القاسم سعد الله: أبحاث، مرجع سابق، ص 201-211. وكذلك المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، في: الأصالة، ع 13، السنة 3، 1973، مطبعة البعث، قسنطينة، ص 26.

⁴ العيد مسعود: المرجع السابق، ص61.

محمد بن محمد بن موسى الذي أخذ عن علماء زواوة في حدود سنة 929هـ/ 1523م¹.

وهكذا حدث توازن في التعليم بين المدينة والريف². إذ أصبح سكان المناطق الجبلية والريفية يجدون مؤسسات تستقبل أبناءهم. إن انتشار الزوايا في المنطقة، قد ترك تأثيرا كبيرا في السكان، ونشر التعليم بين الأوساط الشعبية خلال العهد العثماني عامة. ففي هذه الزوايا التي أسسها الخواص من سكان المنطقة، وشرفائهم، والمرابطين، والصلحاء. اختيار نابع من رغبتهم، ولا دخل للحكومات المتعاقبة فيها³، ولا في مراقبة برامجها، أو تموينها، فهي تسير وفق قوانين خاصة بكل زاوية، وتعرف هذه القوانين باسم " السفارة ". وقبل التعرض إلى أنواع الزوايا، وطرق التدريس بها. وقوانينها وغير ذلك، يجدر بي التعرض إلى تعريفها أولا:

02- تعريف الزاوية: الزاوية في بداية الأمر عبارة عن شكل من أشكال المؤسسات الاجتماعية المعدة لإرفاق الواردين، وإطعام المحتاجين من القاصدين⁴، والبعض الآخر، يرى فيها أنها: "...في الجملة مدرسة دينية، ودار مجانية للضيوف، وهي بهذين الوصفين تشبه الدير في العصور الوسطى"⁵. فهذا التعريف ينطبق على الزوايا الطرقية، كما هو حال زاوية الشيخ محمد سعيد الشلاطي، أو زاوية الشيخ الحداد التي لا تزال دار الإخوان بها قائمة إلى الآن، وهي مخصصة لإيواء الزوار، وإقامة الإخوان بها. أما الزوايا العلمية، فإنها مخصصة في الواقع للطلبة، دون غيرهم، فلا توجد محلات لإقامة الضيوف، لكون القرى عادة يكون بها بيت خاص بالغرباء والأجانب، وهي الدار التي تكون قريبة أو ملحقة بالمسجد، وتحتوي على مكان للدواب، ومكان خاص باستراحة المسافرين⁶.

وهذا ما جعل هانوتو (HANOTEAU) و لوترنو (LETOURNEUX)) يقدمان تعريفا للزاوية، ويحاولان فيه التمييز بين المدرسة التعليمية المعروفة باسم " ثيمعمرت " والزاوية. فيرى الباحثان بأنهما مختلفتان. إذ يجزمان بأن هناك عددا من الزوايا لا يوجد فيها تعليم حقا، وأن معظم المعمرات هي بجانب الزوايا، فالزاوية عند القبائل: " قرية يسكنها المرابطون، ويسمونها باللهجة المحلية "تازاويت"، هؤلاء المرابطون يسكنون حول ضريح، أو قبة"⁷. ومن خلال هذه التعاريف، يمكن استخلاص الفرق بين المعمرية والزاوية، فالمعمرة عبارة عن مؤسسة عامرة بالطلبة، ويدرس فيها القرآن الكريم، والزاوية قد لا يكون فيها التعليم أصلا، وتحفظ بتسميتها بمجرد وجود

¹ البستان: المصدر السابق، ص129.

² العيد مسعود: المرجع السابق، ص61.

³ الزواوي: المصدر السابق، ص117.

⁴ - ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماري خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص413.

⁵ - (M) DOUMAS et FABAR : La grande Kabylie, libraires à l'université, Royale de France, Alger, 1847, p 238.

⁶ - الظاهرة سائدة في مختلف الجهات الجبلية، ومازالت إلى الآن، أنظر عنها: - مالتسان: المصدر السابق، ص130، 150.

⁷ - Op.cit, T2 , p108

المرابطين فيها، أو حولها. وهذا ما يظهر في تعريف: تركي رابح الذي يرى بأنها " مجرد عبارة عن مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر، وفي المغرب الإسلامي عامة¹ ".

وعلى كل، فإن الزاوية في منطقة القبائل، تأخذ معنى يراد به الرباطات، والكتاتيب والجوامع، والمساجد والمدارس والمعاهد ذات النظام الداخلي، تأسست من أجل تحفيظ القرآن الكريم أولا، ثم دراسة العلوم المختلفة ثانيا². فمن خلال هذا، يظهر المعنى العام للزاوية، أو المعصرة، لأن الاسمين بالمنطقة يدلان على معنى واحد.³ يتمثل أساسا في أماكن تعليم الطلبة بالدرجة الأولى، والتي تتكون عادة من غرفة للصلاة بها محراب، وضريح لأحد المرابطين، أو الأولياء المتصوفين، تعلوه قبة، وغرفة يتلى فيها القرآن الكريم، ومكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن واستظهاره، ثم غرفا مخصصة لضيوف الزاوية، وللحجاج والمسافرين، والطلبة، وتلحق بالزاوية عادة " قرافة " تحتوي على قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها⁴.

03- أنواع الزوايا:

تنقسم الزوايا في المنطقة إلى:

03-01- زوايا تعليمية: وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية

المتلاصقة، والتي تتكون عادة من عدة غرف، وحجرات للتدريس، ومسجد، وهذا النوع غالبا ما تكون الأراضي التي أقيمت عليها وما حولها حبا عليها، ووقفا لطلبتها الذين يتلقون العلم بها⁵.

فهذا النوع من الزوايا يقوم بتعليم الطلبة العلوم المختلفة، وعلى رأسها تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الشرعية المساعدة على فهم القرآن، إلى جانب علوم أخرى كاللغة، والحساب⁶، والتاريخ، وما إلى ذلك من العلوم التي كانت متداولة في ذلك الوقت، وأمثلة هذه الزوايا كثيرة، لأنها أقيمت وأسست من أجل أداء هذه المهمة⁷.

هذا، ونجد بأن هذه الزوايا تأتي إلى جانب الطلبة، أبناء السبيل، والمحتاجين والفقراء الذين يقصدونها من أجل الحصول على مأوى، خاصة الزوايا التي لها طريقة صوفية معينة. كالزوايا القادرية، والزوايا الشاذلية، وعلى رأسها زاوية ابن علي الشريف⁸، وزوايا الطريقة الرحمانية. فكانت تقوم، إلى جانب مهمة التعليم، بتلقين مريديها الأذكار والأوراد التي تميزها عن غيرها من الزوايا⁹.

¹ - عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر 1984، ص346.

² - محمد الحسن عليلي، لقاء شخصي به يوم 22 نوفمبر 2005، بتيزي وزو.

³ - الشيخ محمد الطاهر آيت علجت: لقاءات متكررة معه ببنته، ويزاوية الشيخ العيدالي بتمقرة.

⁴ - انظر: دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، المجلد العاشر، ص332.

⁵ - يوسف نسيب: المرجع السابق، ص105.

⁶ - AISSANI : Op.cit, p10

⁷ - باعزير بن عمر، الزوايا بالزواوة، في: الشهاب، ج1، جانفي 1933، ص 14- 15

⁸ - H. Aucapitaine: La Zaouïa, op. Cit., P25.

⁹ - بوغزير: أوضاع، المرجع السابق، ص19.

02-03- زوايا الحضرة: فهذا النوع من الزوايا، نجدها لا تختلف كثيرا

عن النوع الأول، غير أن بعضها لا يحتوي على الهياكل المختلفة الخاصة بالطلبة، لأنها تكتفي عادة باستقبال المريرين، في فترات معينة لإقامة الحضرات حول ضريح ولي بها، مما جعلها خالية من بيوت الطلبة، اللهم بعض البيوت التي تستخدم لإيواء الزوار القادمين من المناطق البعيدة¹، وهذا النوع من الزوايا عادة، تقام فيها الحضرات، وترتكب فيها المنكرات من اختلاط النساء بالرجال وهي لا تعينني في بحثي لأنها تعبر عن حالات اجتماعية ودينية لا تغنى من الأمر شيئا.

04- كيفية الالتحاق بالزاوية:

إن الالتحاق بالزاوية يخضع لشروط مختلفة أهمها:

- السيرة الحسنة، والرغبة في التعليم.
- حفظ شيء من القرآن الكريم، وعادة يكون في الكتاب، أو المسجد.
- أن يتصل برئيس الزاوية، أو شيخها بنفسه، أو مع وليه فقط.
- أن يحترم المقدم الذي يقدمه فيما بعد لزملائه الطلبة.
- أن يدفع حقوق الانضمام إلى طلبة الزاوية، والذي يسمى بحق السكن، وتتراوح قيمته ما بين دينار واحد، إلى خمسة دنانير. وبعد ذلك يقدمه المقدم أمام الطلبة الحاضرين، حيث يذكر ابن زكري في هذا المقام أن: " هذا الشخص الوارد القاصد للانتظام في سلك أهل هذه الزاوية قد وقع عليه الإجماع على قبوله، وإلحاقه بزمركم، فادعوا له بالخير والنجاح"². ويتضرع الطلبة بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى: أن يفتح عليهم. ثم على الطالب الجديد أن يقبل رؤوس كل الطلبة الحاضرين عملا بالعرف، وما أن يبدأ بهذه العملية حتى يتعالى دوي الطلبة بإعفائه (سماح، سماح)، ويعد هذا الطالب الوافد واحدا من طلبة الزاوية، وأخيرا تأتي عملية التسجيل³، ويكون منسوبا إلى منطقة سكنه، أو مكان ميلاده، أو قبيلته، أو قريته، ويسبق بكلمة "سي"⁴.
- وأما مدة التدريس: فتختلف باختلاف قدرات الطالب وإمكاناته العقلية. كما أن البرامج الدراسية تختلف باختلاف الأعمار والزوايا، والمشايخ الذين يقسمون الطلبة إلى مجموعتين رئيسيتين، وكل مجموعة إلى فئات حسب التصنيف التالي:

المجموعة الأولى: وتضم الفئات التالية:

- فئة المبتدئين (إقداشن): وهم الذين ختموا سورة البقرة، وشرعوا في الإعادة.

¹ - محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 197.

² - ابن زكري: المرجع السابق، ص 45.

³ - علي أمقران: المعهد السحنوني بأربعاء بني إيراثن بزواوة، في: مجلة سيرتا: ع 5، ص 64.

⁴ - نفسه: ص 65.

- فئة المنتهين (الطلبة) : وهم الذين ختموا القرآن الكريم، ولم يبق لهم إلا الرواية والتجويد.
- فئة المتوسطين: وهم الذين لم يختموا حفظ القرآن العظيم، ولكنهم حفظوا شيئاً من أجزاءه¹.

المجموعة الثانية: تتكون هذه المجموعة أيضا من ثلاث فئات رئيسية

هي:

- فئة الأجرومية وابن عاشر.
 - فئة قطر الندى والرسالة.
 - فئة الألفية والرسالة، ثم شرح خليل².
- ومن خلال هذا التصنيف، والتقسيم يظهر بأن هناك تنظيماً لمستويات الدراسة في هذه الزوايا، والذي يتماشى مع عمر الطالب وسنه. كما أن هناك تدرجاً في البرامج والمواد الدراسية والتي ترتبط عادة بشيخ الزاوية، وميوله. لأنه لا يوجد هناك برنامج موحد بين الزوايا حسب علمي، بل هي عبارة عن اجتهادات شخصية مكتسبة. غير أن هناك بعضاً من الزوايا المتخصصة في تدريس القرآن الكريم وتجويده فقط، وهي التي يطلق عليها، وتعرف بمراكز التجويد التي من أهمها:
- زاوية الشيخ السعدي بغابة ميزرانة القريبة من مدينة دلس³.
 - زاوية آت علي أحرزون بقبيلة بني يترون⁴.
 - زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بأيلولة أسامر.
- فهذه المراكز الثلاثة، تعتبر بمثابة المراكز الأساسية للقراءات القرآنية في منطقة القبائل. وهي التي أنشئت من قبل مشايخ أعلام قيضهم الله سبحانه وتعالى لخدمة القرآن في هذه المنطقة خاصة، وفي المغرب الإسلامي عامة. بعدما بات فن التجويد يشكو نقصاً واضحاً في الرجال المهتمين به. وتراجعا في عدد القراء بالمنطقة.
- وأمام هذه الأوضاع أصبحت الحاجة إلى من يهتم بهذا الجانب العلمي ضرورة - خاصة في تلك الفترة - ومن أجل استدراك هذا النقص، انتقل كل من السيدين: محمد السعدي البهلولي الدلسي، ومحمد العربي الحرزوني البتروني إلى مدينة فاس. حيث سوق العلم نافقة، وبضاعة المعارف رائجة، فقد ظلت هذه المدينة قرناً تعج بالعلم والعلماء، والقراء الذين ورثوا فن التجويد خلفاً عن سلف. كما أن فاس كانت محط رحال فطاحل العلم المتوافدين عليها من الشرق أو من الأندلس، ففي هذه المدينة تلقوا فن التجويد بمختلف الروايات

¹ - ابن زكري، نفسه، ص 37-38.

² - علي أمقران: المرجع السابق، ص 68.

³ - محمد السعدي البهلولي الدلسي: هو الولي الصالح سيدي محمد السعدي البهلولي المتوفى من غير ذرية، المدفون بزاويته من ناحية دلس على شاطئ البحر، ويعتقد بأنه من أهل القرن الحادي عشر الهجري (17م)، ذكره: ابن زكري - المرجع السابق - ص 43.

⁴ - محمد العربي الحرزوني: من عرش بني يترون، اشتهر بإتقانه لفن القراءات، وترك بعضاً من التقايد المخطوطة في هذا الفن، حيث توجد نسخ عنها، وعن القراءات العشر الصغير عند أبناء الشيخ علي السحنوني، أو الذي ذكره: البوجليلي في التبصرة في القراءات العشر. كتاب مخطوط، نسخة منه بمكتبتي الخاصة.

(السبع والعشر)¹، على العالمين: عبد القادر الفاسي، وعبد الرحمن بن القاضي الفاسي.

فإلى هذين الرجلين العالمين يعود الفضل في تأسيس المراكز القرآنية المختصة في فن التجويد، والقراءات القرآنية، بالمغرب الإسلامي عامة، وبمنطقة القبائل خاصة. وذلك بعد عودة هذين الطالبين إلى منطقتهم. وتأسيسهما للمركزين اللذين ذكرتهما من قبل، وهما: مركز غابة ميزرانة، وسيدي علي أحرزون، اللذين استقطبا عددا كبيرا من الطلبة، وهؤلاء بدورهم أسسوا مراكز في مختلف جهات منطقة القبائل سواء الشرقية أو الغربية.

05- مراكز التجويد في المنطقة:

بعد المركزان الأولان بمثابة المراكز الأم للمراكز الأخرى في المنطقة، فمنهما تخرج العديد من الطلبة الذين انتقلوا إلى الجهات المختلفة، ومن بين هؤلاء الطلبة الشيخ عبد الرحمن اليلولي، الذي أمره شيخه بتأسيس زاويته بمنطقتها الحالية القريبة من زاوية الشيخ أحمد بن إدريس.² وغيرها من المراكز التي يوضحها الجدول التالي:

المراكز المختصة في فن التجويد حسب القرى	الناحية - القبيلة-
<p>فرع قرية إغيل حموش. فرع قرية ثيطست. فرع قرية فوملال. فرع قرية زمورة.</p>	عرش بني يعلى
<p>فرع قرية آث أعمر أوزقان ومشدالة. فرع قرية بوجليل بنني عباس. فرع زاوية سيدي أحمد أويحي بأمالو. فرع زوايا بنني وعليس.</p>	مراكز وادي الساحل (الصومام)
<p>فرع قرية ثقابة- بالقرب من رأس سيغلي. فرع قرى وزوايا بنني جناد وزكري.</p>	ناحية فليسة البحرية
<p>فرع قرى وزوايا بنني واقنون وفليسة.</p>	عرش فليسة أومليل
<p>فرع قرى وزوايا بنني إيراثن، وبنني يتورغ، وبنني يللثين وبنني صدقة، وبنني بني، وبنني عيسى، وبنني منجلات وبنني يحي.</p>	ناحية جرجرة

¹ - حول القراءات، أنظر: أبو القاسم البوجليلي: التبصيرة ، وكذلك:
 - أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي،
 وقدم له فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، 1999، ص ص 17، 19.
² ابن زكري: المرجع السابق، ص 43، أحمد ساحي: المرجع السابق ص ص 34، 35.

إن انتشار هذه المراكز، بمختلف جهات المنطقة، إنما يدل على اهتمام علمائها، ومتصوفيها بنشر هذا النوع من العلم الذي بات يشكو نوعاً من النقص في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي¹، غير أنه وبعودة العالمين اللذين قصدا المغرب الأقصى، وتأسيسهما لأهم مراكز التجويد في المغرب الأوسط خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، قد ساعد على إحياء هذا العلم، واشتهر الكثير من المقرئين أمثال: الشيخ محمد بن عنترو الحرزوني (ت: بعد 1145/1732)، وكذلك الحسين بن قري اليعلاوي من آل قري، الذين ذكرهم الورثيلاني في رحلته²، وعبد الله بن الخراط اليعلاوي (ت 1275/1858) وغيرهم³.

06- انتشار الزوايا، وموقف القوى الدينية من نشر التعليم:

إن المتتبع لانتشار الزوايا في المنطقة، يجد بأنها انتشرت في مختلف النواحي والجهات، فلا تكاد تخلو قرية من كتاب، أو مسجد، أو زاوية. يتعلم الناس فيها مبادئ القراءة والكتابة، مما جعل عدد الزوايا بالمنطقة يتجاوز الأربعين زاوية⁴، أما البعض الآخر، فيذكر بأنها كثيرة⁵، دون إعطاء عدد لها. والبعض الآخر، يعد زوايا القبائل الغربية، ويحصيها في أربع وثلاثين زاوية⁶. أما الشيخ: محمد الحسن عليلي: فقد صنفاها في: الزوايا والمعمرات التي يتجاوز عددها الستين زاوية. وأحصى المراكز الثانوية التي هي بمثابة نوادي، وكتاب ويتعدى عددها الثلاثين مركزاً، وهي موزعة في مختلف قرى المنطقة. وهناك زوايا ومعمرات يعود تاريخها إلى ما قبل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ولكنها ظلت تؤدي مهامها في هذه الفترة. وهناك زوايا ومعمرات تأسست بالمنطقة في فترة الحكم العثماني، أي بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري، والتي عدّها في حوالي أربع وثلاثين زاوية ومركزاً لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية.

والجدول الآتي يبين ذلك:⁷

اسم الزاوية	قرن التأسيس	الناحية (الموقع)	المؤسس، الانتماء الصوفي.
-------------	-------------	------------------	--------------------------

³ محمد الحسن عليلي: مراكز التجويد بالزواوة خلال ثلاثة قرون من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، بحث أعده للنشر، أملك نسخة منه.

¹ عليلي: نفسه.

² نزهة الأنظار... المصدر السابق، ص34، و ص ص45، 46.

³ عليلي، المرجع نفسه.

⁴ باعيز بن عمر: المرجع السابق، ص15، وكذلك سعد الله: المرجع السابق، ج1، صص264، 266.

⁵ (A) MERED: op., cit., p60.

⁶ محمد سي يوسف: نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني في، مجلة: أعمال المؤتمر الثالث للدراسات العثمانية "الحياة الفكرية في الولايات الغربية أثناء العهد العثماني"، جمع وتقديم، عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ج1-2، ص 193-194.

⁷ - عليلي محمد الحسن: معمرات (زوايا) ومراكز وكتاتيب في الزواوة- مشروع كتاب غير مطبوع، أملك نسخة منه.

معمره سيدي أحمد بن زروق	10هـ / 16م	بني منصور - أذكار	أحمد زروق - الزروقية-
معمره سيدي أحمد أو معلم	10هـ / 16م	بالقرب من عين الحمام	نفس المؤسس.
معمره سيدي موسى أويدير	10هـ / 16م	أكفادو / سيدي عيش	نفسه - الشاذلية.
معمره سيدي أحمد أولحاج	10هـ / 16م	بني وجليس	نفسه.
معمره سيدي محمود الحاج	10هـ / 16م	بني عيسى / بني دواله	نفسه.
معمره سيدي منصور الجنادي	10هـ / 16م	بني جناد	نفسه.
معمره سيدي أحمد أمسعود	الحادي عشر	إيلولة أوسامر	سيدي أحمد أو مسعود.
معمره سيدي بوبكر الواقنوني	11هـ / 17م	قرية الشرفاء بالقرب من تيقزيرت	نفسه.
معمره سيدي عبد الرحمن	11هـ / 17م	إيلولة	أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي
معمره سيدي عبد القادر		تفرق	يُعتقد بأن مؤسسها هو أحد أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني قادرية.
معمره سيدي علي أو طالب	11هـ / 17م	بني يحيى - كوكو.	علي أو طالب أو ابن طالب
معمره سيدي عمر الشريف	11هـ / 17م	جبل بوبراك - دلس	نفسه.
معمره سيدي محمد السعدي	11هـ / 17م	غابة ميزرانة - دلس	محمد السعدي البهلولي الدلسي.
معمره سيدي أحمد بن عبد الرحمن	11هـ / 17م	بني إسماعيل (بوغني)	أحمد القشطولي الجرجري - رحمانية-
زاوية لوطا	11هـ / 17م	الماين - بني عيدل	سيدي محند اليلمايني
زاوية موسى بن محمد	11هـ / 17م	ثينبذار- بني وجليس	سيدي موسى بن محمد بن موسى.
معمره سيدي يحيى	11هـ / 17م	الشرفاء - زرخفاوة	نفسه.
معمره أقلميم	12هـ /	أقماظ بني ورثيلان	

		18م	
معمرة سيدي أحمد	بني مروة، بني ايراثن	12هـ/ 18م	سيدي أحمد أو منصور.
معمرة الشيخ البشير	معاتقة	12هـ/ 18م	نفسه
معمرة سيدي بوخالفة	بوخالفة - بني بترون	12هـ/ 18م	نفسه
معمرة سيدي أبي داوود	تاسلنت - أقبو	12هـ/ 18م	أحمد بن أبي داوود الزواوي-
زاوية شلاطة	شلاطة - أقبو	12هـ/ 18م	محمد بن علي الشريف - شاذلية
زاوية مسيسنا	صدوق	12هـ/ 18م	سيدي الموفق
زاوية سيدي وارث	ذراع بن خدة	12هـ/ 18م	نفسه
معمرة اسحنونن	إغبيرن - بني ايراثن	13هـ/ 19م	
معمرة بني حالة	ايلماين - بني عيدل	13هـ/ 19م	
معمرة بوجليل	بوجليل - بني عباس	13هـ/ 19م	محمد أبي القاسم البوجليلي رحمانية
معمرة صدوق أوفلة	صدوق - بني عيدل	13هـ/ 19م	الشيخ الحداد - رحمانية.

وهذه من أهم الزوايا التي تمكنت من حصرها، في الفترة الخاصة بالبحث، والتي زرت بعضا منها، وتضاف إليها المراكز، والكتاتيب، والمساجد، التي لعبت دورا كبيرا في حركة التعليم بمنطقة القبائل، والتي أسسها، وأشرف عليها المتصوفون، والطرقيون، الذين وهبوا أنفسهم لخدمة العلم، ونشره بين أفراد المجتمع.

والملاحظات التي يمكن استخلاصها من هذا الجدول، تبين لنا العدد الكبير، من الزوايا التي تأسست فيما بين القرن العاشر، والثالث عشر الهجري، وذلك نتيجة:

- 1- استقرار العديد من المشايخ الذين كانوا يقيمون ببجاية قبل احتلالها، في هذه المنطقة، وذلك لقربها إلى المدينة، وحصانتها الطبيعية، في انتظار العودة إليها. وهذا ما ساعد على تأسيس هذا العدد من الزوايا بهذه الناحية، خاصة حوض وادي الساحل (الصومام)¹.
 - 2- انتشار الأشراف - المرابطين - الذين وجدوا في هذه المنطقة بيئة ملائمة لنشر التعليم وتأسيس الزوايا، خاصة الوافدين إليها من المغرب الأقصى، والساقية الحمراء².
 - 3- إقبال سكان المنطقة على تقبل كل من يحمل لواء العلم، خاصة إذا كان من الأشراف، لكونهم ينصاعون للمرابطين والأولياء أكثر من انصياعهم لذوي السلطة والقوة³.
- فهذه العوامل وغيرها قد ساعدت على انتشار الزوايا والمؤسسات التعليمية في المنطقة بصورة كبيرة، خلال هذه الفترة، وهذا ما يوحي بأن هناك علاقة كبيرة بين انتشار ظاهرتي التصوف والطرقية، وانتشار تواجد الزوايا بالمنطقة وتوسعها.

المبحث الثاني: تأثير القوى الدينية وموقفها في نشر التعليم:

01- نظرة عامة حول التعليم بالمنطقة:

تعتبر مدينة بجاية قبل القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي، من الحواضر المغاربية، والإسلامية الهامة في نشر العلم والفكر، وذلك لما تتوفر عليه من الكتاتيب، والمساجد، والمدارس، والمعاهد، التي لعبت دورا كبيرا في نشر التعليم العربي الإسلامي بالمغرب الأوسط خاصة، وحوض البحر المتوسط عامة. وكان لها دور كبير في استقطاب العلماء والفقهاء، من مختلف البلاد الإسلامية مشرقا، ومغربا. فكانت المدينة بيئة خصبة لبروز الفكر الصوفي، الذي ترك آثاره في سلوك المجتمع المحلي، كما أضحت توجهها دينيا، وتعبيرا ثقافيا جعل مدارس بجاية ومساجدها أماكن رئيسية يلتقي فيها العلماء والفقهاء، والمتصوفون والمرابطون، الذين جعلوا من هذه الأماكن الثقافية

¹ المهدي البوعبدلي: الرباط، مرجع سابق، ص26.

² سعد الله: تاريخ، مرجع سابق، ج1، ص466.

³ ابن زكري: المرجع السابق، ص11.

أماكن للحوار والمناقشة وتبادل الآراء العلمية طيلة القرون التي سبقت القرن العاشر الهجري.

فمنذ اتخاذ أبي مدين البجائي (في حدود القرن السادس الهجري)، لهذه المدينة مقرا له، ومركزا لنشر تعاليم الطريقة القادرية، التي جاء بها من المشرق، بعد لقائه الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتعلمه عليه بالحرم المكي،¹ أصبحت المدينة مقصدا للباحثين، ومستقرا للمتصوفين والعلماء من مختلف الجهات والأقاليم إلا أن الضعف والتدهور الذي آلت إليه الدويلات الإسلامية عامة، والدويلات المغاربية خاصة، وذلك بداية من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، قد جعل دور بجاية يتراجع عما كانت عليه من قبل. فآثر ذلك في انتقال القوى الدينية والفقهاء من مدينة بجاية، إلى الجهات الداخلية الجبلية.

فما هو دور بجاية في انتشار القوى الدينية داخل منطقة القبائل؟ وما علاقة ذلك بنشر التعليم؟ وما هي العلوم الأكثر تداولاً في هذه الفترة؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات، تجعلني استعرض-
أولاً: حالة المدينة العلمية، قبل تعرضها للاحتلال الإسباني (916هـ/1510م). حيث كانت الحياة الفكرية عامة بها قد بلغت ذروتها، حتى أن البعض قد اعتبرها بمثابة مكة الصغيرة²، وذلك نتيجة الوافدين إليها، وزوارها من أجل لقاء علمائها، وفقهائها، وحفاظ المتون بها. وقد ذكرها الورثيلاني قائلاً: " إن بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة، وأما اللائي يحفظن ابن الحاجب³ فلا يحصى عددهن إلا الله " ⁴. وقد جمعت المدينة بين العلم والولاية، فالعلماء بها متميزون بسعة العلم، مما جعل الشريف التلمساني يصفهم عندما دخلها بقوله: " دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها، كالماء الذي ينبع من حيطانها " ⁵، فهذه هي حالة بجاية في القرون الوسطى. إلا أن الفوضى التي عاشت فيها حواضر المغرب الإسلامي عامة، في العهد الأخير من حكم الحفصيين في تونس، والزيانيين في تلمسان. بالإضافة إلى تعرض السواحل المغاربية إلى الغزو الإسباني والبرتغالي، مع بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. من العوامل الرئيسية التي فسحت المجال للأولياء والمرابطين، في منطقة القبائل خاصة، وفي معظم جهات المغرب الإسلامي عامة. في أن يحلوا مكان الفقهاء، والعلماء، الذين تزعموا النخبة المثقفة في فترات سابقة " فملأوا الفراغ، وواجهوا الغزاة " ⁶.

¹ - ابن مريم: المصدر السابق، ص110.

² - ROZET et CARETTE : Op.cit, p14.

³ - ابن الحاجب: هو أبو عمر وعثمان بن عمر المصري، الملقب بجمال الدين (570/646هـ) كان والده حاجبا للأمير عز الدين مسك، وهو من أصل كردي نشأ بالقاهرة، وتعلم بها، ثم انتقل إلى دمشق، وعلم بجامعة، ثم رجع إلى الإسكندرية التي توفى بها.

انظر عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، المجلد 3، ص248.

⁴ - الرحلة: المصدر السابق، ص28.

⁵ - نفسه، ص28.

⁶ - سعيدوني: المرجع السابق، ص12.

فمنذ نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، بدأت الزوايا بالمنطقة تلعب دورا كبيرا في توعية السكان وثقيفهم، بل عملت على تعميق الانتماء العربي الإسلامي لهم، وذلك من خلال المواظبة على العبادة، وتلاوة القرآن الكريم، وحلقات الذكر التي تقام عادة بشكل جماعي، وفي أوقات معلومة ومعينة. فكان لهؤلاء المرابطين والمتصوفين دور كبير في غرس المقومات العربية الإسلامية بين السكان. لما لهم من تأثير روحي وولاء شعبي¹. كما كان للمتصوفين بعد نزوحهم عن بجاية، دور هام في التأثير في السكان، إذ ساهموا في نشر اللغة العربية، وإتمام ما بدأه الفاتحون الأوائل في تعريب الأهالي. فحتى وإن كان هناك من يرى بأن ذلك قد أدخل المنطقة في أزمة كبيرة، بفعل هذا التعريب، إلا أن ذلك كان وجهة نظر استعمارية محضنة، حيث يعتبر هؤلاء بأن الفتح الإسلامي للمنطقة احتلالا².

إن مساهمة القوى الدينية والمرابطين وتأثيرهما في تعريب المنطقة يتضح من خلال انتشار الزوايا التي أنشأها المتصوفون المرابطون في هذه النواحي، فملأوا الفراغ الذي تركته الفوضى السياسية التي آلت إليها حالة البلاد، وأمثلة على ذلك:

- **توجه أحمد بن إدريس** إلى المنطقة الجبلية الداخلية، وتأسيسه لزوايته في جبال جرجرة المنعزلة، وبذلك عمل على نقل أحد المراكز التعليمية الهامة إلى الداخل، فبدأت النهضة العلمية الصوفية تنتشر في هذه الربوع، وبدأ الطلبة الباحثون عن العلوم المختلفة يتوجهون نحو هذه الزاوية. خاصة وأن شيخها يعتبر من الأعلام البارزين الذين أنجبتهم المنطقة، وساهم في تخرج الكثير من العلماء، والمفكرين أمثال: ابن خلدون، والوغيليسي والمشدالي...³

- **تأسيس الشيخ العبدالي** لزوايته بناحية بني عيدل الجبلية، وذلك في حدود القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي. وهي الزاوية التي تحولت إلى قطب علمي توجه نحوه الكثير من الطلبة، والعلماء، خاصة بعدما اتخذها أحد تلاميذ الشيخ مركزا له يدرس فيه علوم عصره. وهو العالم المغربي الصوفي " أحمد زروق البرنسي ". وبذلك تحولت هذه الزاوية إلى قطب لكل الباحثين عن العلوم الباطنية، وأقبل عليها ثلة من العلماء، من بينهم: أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة⁴، وكذلك محمد الصغير الأخضر، ومحمد علي الخربوبي، وغيرهم، الذين كانوا من تلاميذ الشيخ زروق⁵.

ومن خلال هاذين المثالين، يمكن استخلاص الدور الذي لعبه التصوف، ومن خلالها القوى الدينية في انتشار الزوايا، ونشر التعليم داخل منطقة القبائل. بالإضافة إلى تبسيط الدين للعامة، والسعي إلى غرسه في قلوب السكان، و

¹ - عميراوي: المرجع السابق، ص 213.

² - E.F. GAUTIER : Le passé de l'Afrique du nord (les siècles obscurs du Maghreb) nouvelle édition, petite bibliothèque, Payot, Paris, 1952, p 416.

³ - ساجي: المرجع السابق، ص 25-27.

⁴ - سعيدوني، البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص 179.

⁵ - نفسه، ص 179، 181.

يظهر ذلك فيما كتبه " دونوفو " (DENEVEU) في بداية الاحتلال عندما قال: " إن المعلمين الأهالي - شيوخ الزوايا - المتشبعين بمبادئ الإسلام، والذين يغذيهم حقد لا هوادة فيه ضد النصارى، ويعميهم التعصب الأعمى، يحاولون دائما أن يلقنوا الجيل الصاعد - الطلبة - هذه المبادئ، وهو الجيل الذي خرج ضدنا وقاومنا"¹.

إن هذا الحكم الذي أصدره صاحب هذا الكتاب، يرى بأن مقاومة الاستعمار، كانت ناتجة عن الدور الذي لعبته الزوايا عامة، وشيوخها خاصة، فإنه يبين الدور الجهادي الهام، الذي قام به مؤسسو الزوايا بالمنطقة، وفي مختلف المناطق الأخرى من البلاد. لأنها تعد بمثابة مراكز لتلقي الطلبة، والمريدين، والأتباع، التعاليم الإسلامية المبنية على حب الوطن، وجهاد المحتلين الغاصبين. وبذلك استطاعت هذه المعمرات " أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في حضور الجهل والظلمات "²، ونوافق إلى حد ما، ما ذهب إليه هذا الكاتب، لأن النخبة الاجتماعية في المجتمع هي فئة العلماء، والمتصوفين، وهم عادة شيوخ الزوايا، ومؤسسوها.

وبفضل التعليم، الذي كانت تقوم به الزوايا الريفية في المنطقة، سواء تعلق الأمر بالزوايا الطرقية، كالزاوية القادرية بتفرق، أو الشاذلية بأنو (بني ورثيلان)، أو شلاطة، أو الزوايا الرحمانية ببني إسماعيل، أو بوجليل، أو صدوق، أو غيرها، أو تلك الزوايا العلمية التي أسسها العلماء المتصوفون، والمرابطون في جهات مختلفة من المنطقة بغرض نشر التعليم بين الأوساط الشعبية، كزاوية سيدي أحمد بن إدريس، أو زاوية العيدالي، أو زاوية ابن أبي داوود، وكذا زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، وزاوية سيدي منصور وغيرها. فإن هذه الزوايا قد عملت على غرس روح الانتماء الإسلامي للقبائل. فجعلت هذه الزوايا المرابطية العلمية، والطرقية سكان هذه الأرياف الجبلية الوعرة، يتأثرون بما يحدث لإخوانهم المسلمين في أية منطقة من مناطق العالم الإسلامي، لأنها غرست فيهم أسس الانتماء الإسلامي، من خلال تعلمهم الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي وثقت الصلة بينهم، وبين إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. بل أكثر من ذلك، فقد أزال هذه المؤسسات التعليمية التي كان ظهورها، وانتشارها في المنطقة بمثابة جهاد فكري، قام به العلماء والمتصوفون في بداية الأمر، والذين كانوا يبحثون عن الابتعاد على ضوضاء الحواضر، والصراعات السياسية، ففضلوا الانعزال في المناطق الجبلية عن حياة المدن، خاصة في ظل التحرش الإسباني على المغرب الإسلامي، واستيلائه على المدن الساحلية للمنطقة³، والذي زاد في اتساع هوة

¹- DENEVEAU : Les Khouan , ordres relegieux chez les Musulmans de l'Algérie, 3eme éditions, Alger, A.Jourdan, 1913, p109.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص375.

³ جون وولف.ب: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص27، وكذلك:

F. BRAUDEL : la

Méditerranée et le Monde méditerranéen à l' époque de phillipeII,1et2,3e,edition,librairieArmand .colin, Paris 1976 T2, p185

الفراغ الثقافي والتعليمي. فكانت هذه الزوايا بمثابة مراكز رئيسية لنشر التعليم العربي الإسلامي بين السكان.

فالتطالب المغربي خلال العصر الوسيط، كان يسافر في العالم الإسلامي بحثاً عن عالم شهير يقرأ عليه. أصبح يجد في بلده، وإلى جواره شيوخاً، وعلماء يتوفرون على قسط كبير من العلوم النقلية، والعقلية التي يبحث عنها¹، فانتشر بذلك التعليم بين الأوساط الشعبية، وبدأت العلوم تخرج من الإطار الحضري الذي كان عليه الحال قبل القرن العاشر الهجري، والذي كان مقصوراً على عائلات معينة، غالباً ما كانت شريفة مرابطة. فالزواوي يذكر في سياق ذكره لمحامد زواوة بـ: " اتخذ كل قرية ذات جماعة صغيرة أو كبيرة إماماً ومعلماً، ولكن لا يتعلم سوى أبناء الشرفاء والمرابطين"².

هذا الأمر - أعتقد - بأنه لم يكن حال الزوايا في كل الفترة العثمانية، بل نجد بأن هناك تراجعاً لهذه الظاهرة، وذلك نتيجة انتشار الزوايا، وكثرتها. مما ساعد على التآلف والتعايش بين أفراد القبيلة، الأشراف منهم والعامّة³. وبذلك بدأت تزول تلك الفوارق الثقافية بين السكان، وأصبح المقبلون على التعلم من كل الفئات الاجتماعية. غير أن الذين يتمكنون من مواصلة دراستهم، ويتعمقون في العلوم المختلفة. هم الذين تتوفر لديهم الأسباب، خاصة منها المادية. وعادة ما نجدها أكثر توفراً عند المرابطين الأشراف، وذلك يعود إلى طبيعة المجتمع المحلي، الذي كان يعتمد بالدرجة الأولى على الأبناء في تحسين الظروف الاجتماعية. ففئة الأشراف المرابطين يجدون من يخدمهم، ومن يوفر لهم أساليب الحياة، وضروريات المعيشة اليومية، من طرف الخدام، والطلبة، أو الأتباع والمرددين. فيتفرغ أبناءهم للتحصيل العلمي، مما يساهم في مواصلة دراستهم، ونبوغ بعضهم. أما الفئة الثانية - القبائل - أو العائلات غير المرابطة، فإنها تحتاج إلى أبنائها في توفير اليد العاملة، من أجل التغلب على صعوبة الحياة في المنطقة. مما جعلهم يوقفون أبناءهم عند البلوغ، أو وصولهم إلى سن تؤهلهم للعمل، فينقطع هؤلاء عن الدراسة.

ومن خلال هذا، يمكن القول بأن: اقتصر التعليم على أبناء الأشراف في المنطقة، مرده جانب مادي أكثر منه اجتماعي، وهو الجانب الذي بدأ يتراجع أثره بعد تراجع اقتصاد الدولة. فأصبح القبائلي يرى بأن: الأسلوب الوحيد الذي يمكن أن يضمن للولد دخلاً محترماً هو العلم، فأقبل القبائليون على تعليم أبنائهم، وبذلك انتشر التعليم بين السكان، خاصة بعد عودة بعض العلماء إلى قراهم، نتيجة التضخم الذي عرفته الحواضر المغاربية، بفعل كثرة المتخرجين من الجامعات والزوايا المنتشرة في المغرب الإسلامي عامة، فاضطرار بعضهم للعودة إلى قراهم الداخلية الجبلية، جعلتهم يعملون على تأسيس زوايا لتعليم الناس بهذه الجهات⁴، كما هو حال مؤسس الطريقة الرحمانية، الذي لعب دوراً كبيراً في نشر التعليم بالمنطقة، بل وحتى المناطق الأخرى، التي

¹ الفرد بل، المرجع السابق، ص 413.

² المرجع السابق، ص 125.

³ سعيدوني: المرجع السابق، ص 13.

⁴ الفرد بل: المرجع السابق، ص 405.

انتشرت فيها طريقته. كان لها عدد من المشايخ والأساتذة الذين نشروا تعاليم الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن، سواء في فترة حياته، أو بعد وفاته أمثال الشيخ أحمد بن الطيب بن صالح الرحموني، الذي " وضع رجزا في الفقه، ظل قضاة جرجرة - ومنطقة القبائل كلها - يستعملونه"¹، بل أكثر من ذلك، يذكر البعض بأن معظم علماء المنطقة قد تأثروا بالطريقة الرحمانية، سواء في زاوية الغربية، أو زاوية الشرقية، بفعل انتشارها الواسع بين الأوساط الاجتماعية²، وتغلغلها بين طلبة مختلف الزوايا المنتشرة عبر المنطقة، حتى وإن كانت هذه الزوايا أقدم من ظهور الطريقة الرحمانية. حيث يظهر هذا التغلغل في زاوية سيدي منصور بتميزار بين طلبتها، وذلك من خلال بيت شعري لأحد الطلبة وهو الحاج سعيد، الذي يعتبر من ألمع الإخوان الرحمانيين بالناحية، إذ يقول:

إخواني شيخنا سلطان
ورُدنا من محمد بن عبد الرحمن.

وهذا ما يجعلني أعتقد بأن الزاوية تابعة للطريقة الرحمانية. حتى وإن كان مؤسسها لم يكن رحمانيا، بل كان عالما متصوفا، وعاش قبل الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن³. و الشيء نفسه بالنسبة إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي. وهو الأمر الذي يتضح أكثر في فترة المقاومة المسلحة للاستعمار الفرنسي، حيث شكلت معظم زوايا المنطقة تحالفا مع الرحمانيين ضد التوسع الفرنسي بالمنطقة⁴.

موقف القوى الدينية من نشر التعليم:

إن معظم المتصوفين في القرنين الثالث عشر، والرابع عشر الهجريين (18/19م) كانوا من الطرائق الصوفية " الذين تصدروا لتعليم العلوم المختلفة خاصة الشرعية وآلاتها، وقراءة القرآن ورواياته "⁵، فبفضلهم انتشر التعليم في مختلف جهات المنطقة، وأصبحت زواياها مقصدا لكل طلاب العلم من مختلف المناطق، والأقطار، فتحوّلت هذه الزوايا إلى مؤسسات تدعو إلى السلام، وتعمل على نشر الإسلام⁶، وبذلك عرفت المنطقة انتشار التآليف التي لها علاقة بالتصوف والعلوم الدينية، لكون المتصوفين يرون بأن الجهل، والرضا به من أكبر الكبائر، فسخروا كل جهودهم وأوقاتهم لنشر التعليم بين الأوساط الشعبية في المنطقة⁷.

إن الدور الذي لعبته القوى الدينية في نشر التعليم بالمنطقة، يظهر من خلال التحول الكبير الذي طرأ عليها بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية، ونزوح علمائها وبقية متصوفها إلى المناطق الداخلية الجبلية. فانظموا إلى الأشراف المرابطين، الذين كانوا متواجدين بها قبل القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وبذلك توحدت جهود المرابطين مع العلماء والفقهاء النازحين،

¹ سعد الله: المرجع السابق، ص 516.

² - عبد الكريم بوعمامة: المرجع السابق، ص 52.

³ - ساحي: أعلام (1)، ص 52.

⁴ - يحي بوعزيز: ثورة، ص 239-243.

⁵ - ابن زكري: المرجع السابق، ص 38.

⁶ - HADJ SADOK: op.cit p381.

⁷ - العقبى: المرجع السابق، ص 60.

مما ساعد على انتشار التعليم في مختلف هذه الزوايا، والتي لعبت دورا كبيرا في الحياة الثقافية بالمنطقة خاصة- ومختلف مناطق المغرب الأوسط عامة.

02- التعليم في زوايا المنطقة ومستوياته:

لا شك أن التعليم في أي مجتمع من المجتمعات هو مقياس ثقافة هذا المجتمع، والتعليم خلال فترة العثمانيين بالجزائر، كان منتشرًا في المدن والبوادي والأرياف، غير أن نوعية التعليم، والطرق المتبعة فيه، والمناهج الدراسية - تبقى من أهم المؤشرات التي تعكس مستواه ونوعيته. فمنطقة القبائل لا تختلف عن ما كان سائدًا في كامل الجزائر خلال هذه الفترة، سواء من حيث طرائق التدريس، ومناهجه.

01-02- طرائق التدريس: كان التعليم في المؤسسات التعليمية بمنطقة القبائل خاصة، وغيرها من المناطق الأخرى عامة يقوم على حفظ واستظهار المتون نظماً ونشراً¹، كما أن معظم العلوم المدرسة في هذه الفترة، قد كتبت في شكل أراجيز، حتى تكون عملية حفظها سهلة، فنادرًا ما نجد كتابًا لا يحتوي على أبيات شعرية، أو لم يكتب أصلاً بالقافية. ففي التاريخ نجد: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني²، وكذلك التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية³. وفي الرحلات نجد: رحلة المجاجي⁴ وغيره. فعملية الحفظ للمتون هي الأكثر انتشارًا في طرق التدريس، غير أن " الغبريني " يذكر بأن هناك طريقة أخرى حديثة يتبعها بعض الأساتذة (المشايع) وهي المبنية على الحوار والمناقشة. ومن هذا نجد بأن أهم طرق التدريس المتبعة: **أ- الطريقة التقليدية:** والتي تعتمد على الإلقاء، دون المناقشة⁵، فالمتعلم يتلقى المعلومات من شيخه، أو مشايخه فيخزنها، ثم يعيد عرضها وطرحها. وهي الطريقة التي اعتقد بأنها الأكثر انتشارًا بالمنطقة خلال العهد العثماني، خاصة في المستويات الدنيا، حيث يقوم المعلم (الشيخ) بتحفيظ بعض السور القرآنية للصبيان وكذا تلقينهم مبادئ الكتابة واللغة⁶، ومعظم ما يحفظ لا يفهم من طرف الطلبة⁷. وهذا ما جعل أحدهم يصف مستوى التعليم بقوله: " فكل ما يوفره - التعليم - لا يتجاوز القراءة والكتابة وقواعد الحساب العامة، وحفظ سور من القرآن الكريم وبعض التفسير..."⁸.

¹ - العيد مسعود: المرجع السابق، ص 62.

² - كتاب حول فتح وهران الثاني، ألفه: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، حققه وقدم له المهدي البوعبدلي.

³ ألف الكتاب في نهاية القرن الحادي عشر الهجري (17م) من قبل محمد بن ميمون الجزائري، قدمه، وحققه محمد بن عبد الكريم.

⁴ - هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، أنظر عنه: سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 402.

⁵ - المصدر السابق، ص 29.

⁶ - (هـ.ف) مالتسان: المصدر السابق، ص 134، وكذلك ص 114.

⁷ - V. DE PARADIS : op., cit. p:14.

⁸ - كاثكارت: مذكرات أسير الداى كاثكارت- قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 98.

ب- الطريقة الثانية: وهي المبنية على الحوار والمناقشة، والتعمق في الفهم، والتعليل¹، وهي طريقة كانت تقدم بها الدروس في مدارس بجاية وزواياها قبل الاحتلال الإسباني. وقد أخذ بها بعض العلماء الذين نزحوا منها، وانتقلوا إلى المناطق الداخلية، فعملوا على نشرها - دون شك - خاصة في المستويات العليا. وهذا ما جعل بعض الزوايا تجد إقبالا كبيرا عليها، لنوعية التعليم الذي يقدم بها، فبعض المشايخ لا يقتصرون على ما في الكتب المدرسة من مادة علمية، بل كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب.²

02-02- المناهج الدراسية:

تعتبر المناهج الدينية من أهم المناهج المطبقة في مختلف زوايا ومدارس منطقة القبائل، وهي الظاهرة المنتشرة في المناطق الأخرى من البلاد، إذ تغطي العلوم الدينية النقلية،³ على العلوم العقلية. فأهم المواد المدرسة في الكتابات والمساجد والزوايا تتمثل في تحفيظ كتاب الله تعالى، ثم الفقه على المذهب المالكي، حيث يعتبر مختصر خليل⁴ من أهم الكتب الفقهية المتداولة بالمنطقة، وكذلك كتاب الفرائض، هذا إلى جانب العلوم المساعدة على فهم النصوص الدينية كالقواعد، والحساب، والفلك. وما عدا هذه العلوم، لا نجد هناك اهتماما بالعلوم الأخرى، ما عدا علم الأنساب، الذي اهتم به علماء القرن العاشر الهجري (16م) في جميع مناطق المغرب الأوسط، وذلك نتيجة انتشار الأولياء والمتصوفين المرابطين، في المغرب الإسلامي. مما جعل الاهتمام بهذا النوع من العلوم، يجد إقبالا كبيرا، بهدف تحديد أنساب العائلات المرابطية الشريفة، وقد وضعت تراجم عديدة للكثير من المتصوفين، والعلماء. كما ألفت سيرا لكبار المتصوفين.⁵

وعلى كل، فإن المواد المدرسة في زوايا المنطقة، تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- علوم الدراية: والمقصود بها علوم الفقه، وعلم الأصولين (أصول الدين، وأصول الفقه)، وكذلك علم التصوف، والمنطق والفلسفة.⁶

ب- علوم الرواية: وهي العلوم التي تعتمد في تعلمها على السماع، كالتفسير والحديث، وغيرهما.

إن هذه العلوم ظلت في المناهج الدراسية بالمنطقة في العهد العثماني، حتى وإن تراجع بعضها تماشيا مع مقتضيات العصر. والشيء الهام الذي يمكن الوقوف عليه في هذه الفترة، يتمثل في كون هذه الزوايا توفر تعليما متكاملًا للطلبة المنتسبين إليها.⁷

02-03- المستوى التعليمي:

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 29.

² - العيد مسعود: المرجع السابق، ص 66.

³ - كاثكارت: المصدر السابق، ص 66.

⁴ - هو الشيخ خليل بن إسحاق المصري (ت 796هـ/1393م) أنظر: سعيدوني، المرجع السابق، ص 33.

⁵ - الفرد بل بل: المرجع السابق، ص 417. ومن بين الذين اهتموا بهذا العلم، وأرخوا له ليفي بروفنسال

في كتابه (مؤرخو الشرفاء).

⁶ - الغبريني: المصدر السابق، تحقيق عادل نويهض، ص 307.

⁷ سعيدوني: الزوايا...، ص 17.

يختلف مستوى التلاميذ، والطلبة، باختلاف أعمارهم والزوايا التي ينتسبون إليها، وكذلك طبيعة المقررات الدراسية المعتمدة في كل زاوية. وللوقوف على ذلك تستعرض أهم المواد الدراسية المطبقة في أمهات زوايا المنطقة، وهي:

- **التفسير:** ومن أهم الكتب المتداولة في زوايا المنطقة: ابن عطية، والبيضاوي، والجلالين، والجواهر الحسان، والواحدي. وغيرهم.
- **علوم الحديث:** من أهم الكتب الخاصة بالحديث، والتي يعتمد عليها في التدريس بالمنطقة صحيح البخاري الذي كاد يقرأ أكثر من القرآن¹، وصحيح مسلم، والشفاء للقاضي عياض.
- **الفقه والفرائض:** تعتبر كتب ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشروحها، ومختصر الشيخ خليل المعروف في المنطقة بسيدي خليل، ومختصر ابن الحاجب، والوعليسية، وموجز أحمد بن الطيب الرحموني، وأحكام القضاء لابن عاصم، والرحبية في الفرائض وكتاب الموارد لعبد الرحمن الأخضرى. من أهم الكتب المتداولة في زوايا المنطقة.
- **أصول الفقه:** تدرس منظومة ابن جزري، والخراز، والصغرى والكبرى للشاطبي.
- **علم الكلام والتوحيد:** المقاصد وشروحها السعد التفتрани، والمنظومة الجزائرية وعقائد السنوسي الثالث، وأم البراهين وشروحها، وحاشية الشيخ عيسى الكتنائي، والشيخ يحيى الشاوي...
- **المنطق:** يعتمد في تدريسه على: السلم المرونق للأخضري، وتهذيب السعد للخونجي، ومختصر السنوسي.
- **السير والأخبار:** من الكتب التي تدرس في هذا الفن نجد: الوظيفة الزروقية، والبردة، والمنفرجة، وأحزاب الشاذلي، والنووي، وابن سيد الناس...
- **التصوف:** يعتمد على حكم ابن عطاء الله، وكتاب إسقاط التدبير وتأليف القشيري، والشيخ زروق، وكذلك الإحياء للغزالي.
- **النحو والصرف:** نجد أهم الكتب التي يعتمد عليها الطلبة في زوايا المنطقة هي: الأجرومية، وألفية ابن مالك وشروحها، كالماكودي، وابن عقيل، وشذور الذهب، وقطر الندى، ومؤلفات ابن هشام الأنصاري، ومؤلفات خالد الأزهرى، وهي التصريح، والأزهرية...
- **البلاغة والعروض:** وعلى رأسها الجوهر المكنون للأخضري، وحواشي السعد والتفتрани، والخزرجية في العروض وشرحها، والتخليص وشروحه.
- **الفلك وحساب الأعداد:** يعتمد في تدريسه على كتاب علم الفلك لأبي مفرع، والشراح للأخضري، والدرة البيضاء في علم الحساب للقلصادي،

¹ سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص356.

والاستبصار¹. وقد ترتب عن هذا الاهتمام بجمع المقررات الدراسية العديدة² أن أصبحت زوايا منطقة القبائل مقصد لطلبة العلم من كل الجهات. ومن خلال هذا نستطيع أن نستخلص بأن مستوى التعليم في هذه الزوايا، خاصة المشهورة منها كان راقيا، وذلك لما احتوت عليه مكتباتها من المخطوطات، والكنوز العلمية، وكذلك الشيوخ الذين علموا فيها، والمعروفون بغزارة العلم، وسعة الإطلاع، والذين تخرج أغلبهم من زوايا المنطقة، أمثال: أبو زكرياء يحي بن أحمد العيدالي المتوفى في 881هـ/1476م، وتلميذه الشيخ عبد الرحمن الصباغ³، وكذلك الفقيه العالم عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ/1384م) والشيخ أبو القاسم البوجليلي (ت 1307هـ/1898م)، والشيخ محمد السعيد الشريف الشلاطي صاحب الاستبصار، وغيرهم من الشيوخ الذين ساهموا في نشر التعليم في المنطقة خلال العهد العثماني.

وحسب رواية الشيخ " محمد الطاهر آيت علجت " فإن بعض الزوايا تستقدم العلماء الذين يتمتعون بسمعة كبيرة من مناطق بعيدة للتدريس بها، كما أن هذه الزوايا تقوم بعملية ترتيب الطلبة عند العائلات الميسورة، في الأوقات العvisية وذلك حفاظا على المستوى التعليمي في هذه الزوايا⁴.

03- انتشار المزارات والقبب، وموقف بعض القوى الدينية

من زيارتها:

يعتبر انتشار المزارات والقبب في المنطقة من المظاهر الدينية، والاجتماعية، والثقافية السائدة بين السكان، إذ نادرا ما نجد قرية خالية من مزار، أو قبة يقصدها سكانها، أو سكان القرى القريبة إليها من أجل التبرك بها، وإقامة الحضرات حولها.

أ- القبب:

كانت القبب عادة ما تحتوي على قبور الأولياء، أو أحد العلماء المتصوفين المرابطين والذين ينتسب سكان القرية، أو بعضهم إليه، ويطلق عليهم اسم: " إمرابطن " ⁵، ومن بين الذين ذكروا بعض القبب والمزارات التي تشد الرجال إليها، في مواسم معينة، وأيام معلومة. الشيخ الورثيلاني الذي شارك في زيارة هذه القبب شخصا، لأنه يرى بأن زائرها إن صفا قلبه من اللهو والفساد،

¹ - الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، من بين أهم المؤلفات الخاصة بعلم الفلك في المنطقة، ألفه محمد سعيد بن علي الشريف الشلاطي، ويتضمن الكتاب: المقدمة التي يتعرض فيها إلى تاريخ علم التنجيم، وباب يتناول فيه فائدة علم الفلك، أنظر حوله:

- ساحي: المرجع السابق، ص 172، 175. وللمزيد راجع الكتاب المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية، والذي توجد منه نسختين تحملان الأرقام التالية: 2678 - 2694 .

² - سعيدوني: المرجع السابق، ص ص 17، 18.

³ - الورثيلاني: المصدر السابق، ص 8.

⁴ - مقابلة معه ببيته يوم: 29-09-2006.

⁵ جمع أمرباط: كلمة تطلق على الأشراف في المنطقة، وتضم الأشراف والمرابطين والمتصوفين، بخلاف دلالة التسمية في المناطق الأخرى، والتي تعبر عادة عن أبناء الصحابة (ض) / محمد الشريف قاهر: مقابلة معه بالمجلي الإسلامي الأعلى- الجزائر - يوم 25-06-2006

يستفيد من مثل هذه الزيارات وشاهد جموع الزائرين لها¹، إما تعظيماً للمدفونين بها²، أو طالباً للحاجات، أو رغبة في الشفاء من الأسقام. إن سكان هذه المنطقة، يولون هذه القبب عناية كبيرة، فيوقفون لها أوقافاً، ويجددون ترميمها، إذا تعرضت إلى تخريب، محافظين على نمطها الهندسي المتميز من حيث الشكل، واللون. وهو النمط العمراني الإسلامي، الذي يدل على انتماء صاحب القببة، والذي يكون عادة متميزاً عن باقي البنايات الأخرى مثلما هو الحال بالنسبة إلى قببة الولي " سيدي موسى " الجري بني يجر³. وأما بالنسبة إلى ظهورها بالمنطقة، فيعود إلى ما قبل القرن العاشر الهجري (16م) غير أن الفترة العثمانية، قد ساهمت في انتشار الظاهرة ليس فقط بالمنطقة، بل في مختلف مناطق البلاد فكثرت هذه القبب. إن الانتشار الواسع لهذه الظاهرة، وندرة المصادر التاريخية حولها، اقتضت على ذكر بعضها فقط، أملاً أن تكون هناك وثائق جديدة تنفض الغبار عن هذه الظاهرة بالمنطقة، والجدول التالي يبين بعضها:

جدول يبين بعض القبب المشهورة في منطقة القبائل

اسم القببة والولي المدفون بها.	قرن بنائها أو وفاة الولي.	القرية أو العرش.
قببة سيدي يحي العيدالي	التاسع هـ / الخامس عشر م	تمقرة - بني عيدل
قببة سيدي بهلول	العاشر هـ / السادس عشر م	شرفة بهلول - عزازقة
قببة سيدي عبد الرحمن اليلولي	الثاني عشر هـ / الثامن عشر م	أيلولة أومالو
قببة سيدي منصور الجنادي	العاشر هـ / 16 م	ثيمزار - بني جناد.
قببة سيدي أمحمد السعدي البهلولي	الحادي عشر هـ / 17م	ميزرانة - دلس.
قببة سيدي أعمر الشريف	بين القرن 11هـ، 12هـ / 16م، 17م	
قببة سيدي سعيد المسيسي	يعتقد بأنه توفي قبل القرن 10هـ / 15م	صدوق
قببة سيدي موسى تنبذار	العاشر هـ / 16م	تينبذار - بني وغليس
قببة سيدي موسى	قبل القرن العاشر	بني يجر

¹ - الرحلة: ص 482.

² - زكي مبارك: المرجع السابق، ص 485.

³ - محمد الحسن عليلي: مقابلة شخصية معه ببيته (براقبي 25-09-2006)، وهو الذي قدم لي هذه المعلومات المتعلقة بسيدي موسى، الذي حل بعرش بني يجر القرن 8هـ، وأقيمت على ضريحه قببة، وإليه يعود نسب مرابطو العرش.

	ولعله الثامن هـ / 14م	اليجري
ايزناغن، تيمزيرث	قبل القرن العاشر ولعله الثامن هـ	قبة سيدي السعدي الصنهاجي
بني زيكي	لم أتمكن من تحديده	قبة ايقر مهدي
كوكو، بني يحي	الحادي عشر هـ / 17م	قبة سيدي على أو طالب
بني يجر		قبة سيدي أمحمد أومالك
بالقرب من عزازقة		قبة سيدي عبد الرحمن هندو ¹
أمالو والقرى القريبة منها	القرن 9 هـ / 15م	قبة سيدي أحمد أويحي
نواحي بوقاعة وأولاد خليفة ²		قبة سيدي الجودي
ناحية بني يعدل، ألماين ³		قبة روضة أحمد أوغوية
		قبة سيدي أحمد بن مزيان ⁴
		قبة بديمان ⁵

إن هذه القباب يعتقد الناس بأنها تحتوي على قبور الأولياء الذين سميت بأسمائهم، كما أن بعضها يحتوي على أضرحة بعض أفراد عائلة الولي، وكذا طلبته، كما هو الحال بالنسبة إلى ضريح الشيخ العيدالي⁶ وابن علي الشريف وغيرهما.

ب- المزارات وموقف القوى الدينية من زيارتها:

تنتشر المزارات في مناطق إستراتيجية، تكون في العادة على قمم الجبال، والمناطق المنعزلة. وهي بمثابة مراكز عسكرية قديمة، تمثل رباطات جهادية، ثم تحولت إلى نقاط للحراسة والمراقبة. مستخدمين لها في الاتصال بين مركز وآخر، وسائل مختلفة أهمها إشعال النار. فهي عبارة عن أماكن للمراقبة

¹ تروي الثقافة الشعبية بالمنطقة بأن هذا الولي من كراماته ترويض الأسود المتوحشة، وهي الكرامة التي خلدوها في صورة تذكارية رخامية بالقبعة التي يعتقد بأنه دفن فيها.

² معلومات جمعتها من زيارتي لبعض القرى، وكذلك من أعيان المنطقة.

³ ذكره الورثيلاني الذي قال بأن " قبره مزار معلوم لدى الخاصة والعامة يقصده الزوار من بعد ". أنظر الرحلة، ص41.

⁴ الذي ذكره الورثيلاني قائلا: " خلوة للشيخ الولي أحمد بن مزيان الذي له اليد العليا في العلوم " ص16 من الرحلة.

⁵ خلوة يزورها أهل بني ورثيلان حسب الشيخ الورثيلاني، الذي يقول بأن: " رجال الغيب، وأهل السياحة " ص35.

⁶ الورثيلاني: المصدر السابق، ص11، وكذلك: نفسه: شوارق الأنوار، المصدر السابق، ص4

والإعلام، ثم تحولت في عرف السكان، إلى أماكن مقدسة يشدون الرحال إليها، ويتبركون بها، معتقدين فيها اعتقادات خرافية في بعض الأحيان. وعادة تكون هذه المزارات عبارة عن بيت منفرد، في قمة الجبل، يشبه إلى حد ما المصلى، وبعضها يحتوي على أضرحة قديمة غير معروفة، يقوم السكان بزيارتها في مواسم معينة، وفي أيام معلومة، بعضها دينية كعاشوراء، وبعضها موسمية كاستقبال فصل الربيع مثلا، وأقدم مزار في المنطقة هو مزار " تامغوط"¹ والجدول الآتي يبين بعضها، والجهات التي تقصدها.

اسم المزار	العروش والقرى التي تعمل على زيارته.
تامغوط	ناحية ثيفريث ناث الحاج، آزفون، بني جناد، بني شافع، بني فليق
سيدي أبي اللواء (بالوة)	عرش عمراوة
أزرو يفلان	عرش آث ورثيلان
سيدي موسى أوشثوغ	بني جمهور، بني عيدل
ثلا سوس	بني بوذرار، مشدالة، بني منجلات
لالا خديجة	إقواون كيني منقلات، بني صدقة...
يامة قوراية	بني يجر، بني زيكي، أهل بجاية
تاقينطوشت	بني وجهان
أذرار إيولان	ناحية بني عيدل

إن زيارة هذه الأماكن تعتبر بالنسبة للسكان مناسبات هامة، ففيها يلتقون، وخلالها يحدث التعارف بين العائلات، ويتم تبادل الأخبار. فلها أهمية اجتماعية، واقتصادية، وثقافية كبيرة في المجتمع المحلي. كما أن الزائرين لهذه المزارات يقومون بذبح الذبائح تقربا إلى الله تعالى، ويوزعونها على الفقراء والمساكين، ويتخذون منها مصليات لإقامة بعض الصلوات الخاصة كصلاة الاستسقاء التي تقام خارج المساجد.

إن العامة يتبركون بهذه الأماكن، وبقدسونها، ويروون عنها قصصا مختلفة، وكرامات الأولياء بها متعددة في نظرهم. وعلى كل، فإن هذه المزارات من بين المظاهر الاجتماعية التي تأثرت بالقوى الدينية، واتخذها الأولياء للخلوة في المناطق المنعزلة. مما جعلها أماكن يجتمع فيها أهل الغيب (الأولياء)، ولا زالت تحافظ على هذه المكانة بين السكان خاصة العامة منهم.

¹ تامغوط: أعلى قمة جبلية في الجبال الساحلية لمنطقة القبائل، والقريبة إلى آزفون، والتي كانت مركزا هاما من المراكز العسكرية لمراقبة الساحل البحري للمنطقة

المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في انتشار الحلقات والأذكار والشعر الديني.

لقد تركت المظاهر الطبيعية في منطقة القبائل، تأثيراتها السلبية في السكان الذين وجدوا أنفسهم منعزلين جغرافيا عن المناطق الأخرى، ومتفوقين على تراثهم الشفوي المحلي الموروث. إلا أن احتلال الإسبان لمدينة بجاية جعل الكثير من العلماء المتصوفين والمرابطين ينتقلون إلى الجهات الداخلية، والجبالية الصعبة. وذلك من أجل نشر العلم وتعليم الناس أمور دينهم، وتفقيهم فيه. إلا أن الفئة العامة من السكان وجدوا صعوبة في استيعاب العلوم الدينية بالمساجد، والزوايا الموجودة في مختلف جهات المنطقة، كما أن أوقاتهم لا تناسب عادة الحضور في الحلقات العلمية التي تكون حول عالم، أو شيخ. مما دفع بهؤلاء المشايخ والعلماء إلى البحث عن وسيلة، أو طريقة يستطيعون من خلالها تبليغ العلوم الدينية، إلى عامة الناس. فظهرت حلقات الذكر بالمنطقة، وتنوعت أوقاتها ومضامينها¹ وأقبل عليها السكان، ومن مختلف الأعمار.

فما هي حلقات الذكر؟ وما هي الأماكن التي تقام فيها؟

أولا: مفهوم الحلقة: الحلقة في اللغة هي: دائرة فارغة الوسط.

وفي الاصطلاح: فهي تجمع مجموعة من الناس، على شكل حلقة، حول شيخ، أو عالم لتلقي المعارف أو الوعظ والإرشاد، أو من أجل الذكر². وهي الطريقة المتبعة في التعليم بالمساجد، والزوايا خلال هذه الفترة³ والتي بقيت تمارس بين المعلمين والمتعلمين إلى يومنا هذا، في كثير من الزوايا بالمنطقة. أما بالنسبة إلى العوام، فإن لهم حلقات من نوع خاص، تستجيب لحاجاتهم، وتناسب مستوياتهم. ومن هنا بدأت حلقات الذكر تنتشر في المنطقة، وبدأ الإقبال عليها من أجل تعلم المبادئ الأساسية للعقيدة، حتى وإن كانوا أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، لأن هذه الحلقات موجهة أساسا إلى هذه الفئة من السكان. وبفضلها انتشرت الأخلاق الفاضلة واكتسب الناس معرفة ودراية بالدين، دون أن يتفرغوا إلى العلم. وقد لعب المتصوفون والعلماء الذين انتشروا في مختلف جهات المنطقة، دورا كبيرا في الحفاظ على توازن المجتمع عن طريق نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة،⁴ وأتقن الأميون الكثير من الجوانب الدينية، والأحكام الشرعية دون دخولهم إلى المدارس، أو الزوايا التعليمية، وهي ظاهرة ظلت منتشرة حتى في الفترة الاستعمارية، وهذا الأمر لا يقتصر على الرجال فقط، بل يتعداه إلى النسوة، كما هو حال قرى الجهة الشرقية من منطقة القبائل⁵.

¹ ساحي: أعلام من زاوية، ص 34.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 327، وكذلك ص 343.

³ AUCAPITAINE : la Zaouia, op.cit, p24.

⁴ - محمد أرزقي فراد: " القراءة الدينية للأغنية القبائلية " في: الملتقى الوطني الأول حول: البعد الروحي في التراث الأمازيغي. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الإمام، الجزائر.

⁵ حول فضل هذه الأوقات: أنظر: الورثيلاني: شوارق، وكذلك: ابن الحداد، المصدر السابق، ص 30.

ثانياً: أنواع الحلقات:

إن حلقات الذكر لا تقتصر على المنطقة فقط، بل نجدتها في مختلف المناطق، والمجتمعات، وتختلف أنواعها باختلاف الشعوب، والمناسبات. وما يهمني منها ما يتعلق بمنطقة القبائل خلال العهد العثماني، والتي يمكن تصنيفها في الأنواع التالية:

01-02- الحلقات التي تعقد في المساجد: يعتبر المسجد من أهم

الأماكن التي يجد فيها المواطن ما يحتاج إليه من العلوم الدينية، وهو المكان الأساسي الذي عرف انتشاراً لحلقات الذكر، التي تكون عادة في أوقات محددة ومعلومة، خاصة عقب بعض الصلوات، كصلاة الفجر، أو عصر الجمعة، أو بعد صلاة المغرب، لما ورد من فضل هذه الأوقات¹، وفيها يجتمع المصلون لقراءة الأذكار، والوظائف الصوفية التي وضعها متصوفو ومرابطو المنطقة. ومن أهم هذه الوظائف:

أ- وظيفة الشيخ يحي العيدالي: تعتبر هذه الوظيفة من بين أهم الوظائف التي انتشرت في الناحية الشرقية لمنطقة القبائل. فحتى وإن كانت في القرن التاسع الهجري (15م). إلا أن ترديدها في حلقات الذكر، وقراءتها من قبل المصلين، بقيت إلى الآن². وهي عبارة عن أذكار، وابتهالات وأدعية مستمدة من القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم³، وتنقسم إلى:

- **الافتتاحية:** مطلعها " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله...". ثم بعد ذلك الدعاء، والصلاة على سيد الخلق، وجميع الأنبياء والمرسلين.

فلافتتاحية، عبارة عن مجموعة من الابتهالات التي تفتح بها الحلقة، وبعد ذلك يشرع في الوظيفة التي تتضمن:

- **الاستغفار:** فالاستغفار في وظيفة الشيخ العيدالي كذلك مستمدة من بعض الآيات القرآنية الكريمة، والأدعية المأثورة عن السلف الصالح، في طلب الغفران للحاضرين في الحلقة، ولجميع المسلمين والمسلمات.

- **الذكر:** ويتضمن مجموعة من الأدعية والآيات القرآنية التي تذكّر المصلين بالله سبحانه وتعالى، وقوته وقدرته، وذلك بأسلوب يجعل القارئ والمستمع يتأثر بوقعها، فيزداد إيمانه، وارتباطه بالله سبحانه وتعالى.

- **وأما الخاتمة:** فهي عبارة عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتسبيح بحمد الله سبحانه وتعالى رجاء القبول⁴.

كما أن هناك مجموعة من الابتهالات، التي وضعت في قالب شعري من البحر الكامل المجزوء، والتي يعتقد بأن أحد طلبه الشيخ هو الذي وضعها،

¹ حول فضل هذه الأوقات: أنظر: الورثيلاني: شوارق، وكذلك: ابن الحداد، نفسه.

² ما زالت هذه الوظيفة تقرأ في كثير من مساجد عرش بني عيدل إلى الآن، وقد حضرت في بعضها، خاصة عند حفدة الشيخ العيدالي.

³ - أنظر الوظيفة كاملة في الملاحق.

⁴ - الورثيلاني، شوارق، مصدر سابق، ص 86.

وأضافها للوظيفة. أما عن وقتها، فقد ذكر الشيخ الورثيلاني معتمدا على ما تركه الشيخ الخروبي¹.

بأن وقتها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس². والوظيفة قد ألفت حولها عدة شروح، فكان أول شارح لها هو الشيخ محمد علي الخروبي³. غير أن هذا الشرح الذي ذكره الشيخ الورثيلاني يعتبر مفقودا ولم أعتز عليه. أما الشرح الذي لا يزال مخطوطا، فهو للشيخ الورثيلاني الذي سماه " شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار، وشرح وظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار". وذلك في حدود سنة 1265هـ/1752م، وتوجد منه عدة نسخ⁴.

ب- وظيفة الشيخ زروق: وهي كذلك من الوظائف المنتشرة في منطقة القبائل، والتي ذكرها الشيخ الورثيلاني، وأشار إلى أن زوجته " عيوشة " تحفظها⁵ فإذا كانت النسوة يحفظنها، فإن الرجال أكثر ترددا على هذه الحلقات، وهم يقرؤونها في المساجد مثلها مثل وظيفة شيخه وأستاذه يحي العيدالي. فالوظيفة من بين الآثار الهامة التي خلفها الشيخ زروق بمنطقة القبائل⁶ خاصة بمدينة بجاية التي أقام بها مدة من الزمن متعلما، ومعلما. وقد حظيت هذه الوظيفة بأزيد من عشرين تعليقا وشرحا، ونظما في المشرق والمغرب⁷، ووقتها لا يختلف عن وقت قراءة وظيفة شيخه السابقة، أي ما بين صلاة الفجر، وطلوع الشمس⁸.

والوظيفة عبارة عن مجموعة من الأذكار، والأدعية التي وضعها الشيخ زروق، مستندا إلى أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد وضعها الشيخ ليقراها أتباعه، ويتخذونها وردا ودعاء يوميا لهم. وقد أطلق عليها اسم: " سفينة النجا لمن إلى الله التجأ "، وبدايتها: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، باسم الله الرحمن الرحيم، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم... " فالوظيفة من حيث محتواها لا تختلف كثيرا عن وظيفة الشيخ العيدالي، مما

¹ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري عالمها الكبير، وإمامها الشهير، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف، جمع من التصوف والأذكار والأوراد كتبها منها شرح الحكم، وله تفسير للقرآن الكريم. وقد أخذ عن الشيخ زروق تلميذ الشيخ العيدالي وغيره من العلماء، كما قدم إلى مراكش سنة 959هـ / 1552م سفيرا للجزائر، توفي سنة 963هـ/1556م. أنظر عنه: محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب بالعربي، بيروت، 1349، ص 284.

² - شوارق، مصدر سابق، ص 8، وعن فضل هذا الوقت، أنظر الحديث الذي رواه ابن أبي الدينار والبيهقي والأصفهاني عن أنس (ض) قال، قال رسول الله (ص): " لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها. " الحداد، المصدر السابق، ص 35.

³ - نفسه، ص 12-13.

⁴ - جمال مشهد: فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة. بجاية، الجزائر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004، ص 287-288.

⁵ - الرحلة، توجد نسخة مخطوطة عنها في م. و. ج. تحت رقم 1087 ضمن مجموع.

⁶ من بين أشهر هذه الشروح، شرح عبد الرحمن بن محمد العياشي: الأنوار السنية على الوظيفة

الزروقية، مخ: م. و. ج. رقم 826.

⁷ - عزوزي، المرجع السابق، ص 119.

⁸ - نفسه، ص 120.

يدل على تأثر الشيخ زروق بشيخه، الذي يمكن بأنه أخذ عليه هذه الوظيفة، وزاد عليها بعض الأشياء¹.

ج- الصلاة الشاذلية: وهي من مظاهر التأثير الصوفي في المنطقة، إذ نجد ترديدا للمصلين في شكل حلقات، عقب صلاة العصر، من يوم الجمعة لقراءة الصلاة الشاذلية، المعروفة بين الناس: "بالصلاة الأمية"²، والتي مطلقها: "اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما"³. فقراءة هذه الصلاة تتم جماعيا، وتكرر ثمانين مرة. وقد أدخلها إلى المنطقة المتصوفون، والمرابطون، والعلماء الذين درسوا في مدارس ومعاهد بجاية، وبقيت بالمنطقة إلى الآن. غير أن هذه الصلاة لا تقتصر على منطقة القبائل فقط، بل نجدها منتشرة في عدة مناطق، وذلك مرتبط بانتشار الطريقة الشاذلية، أو الطرق المتفرعة عنها والمتأثرة بها⁴. ومن أجل الحفاظ على استمرارية هذه الحلقات، في المنطقة. يقوم بعض الأئمة بتعيين من ينوب عنهم عند غيابهم، وإلزام المداومين على ذلك⁵، خاصة في شهر رمضان الكريم الذي تكون فيه المساجد عامرة بالمصلين، مما يساعد على انتشار حلقات الذكر، واتساع المقبلين. مما جعل هذه الحلقات تدوم شهرا كاملا فتعقد في ليالي رمضان حلقات لها صلة مباشرة بالدين الإسلامي، كالذكر الذي يركز على أصول العقيدة، من تسبيح، وتهليل، وتحميد، وتكبير، ودعوة إلى الزهد في الحياة، والتعلق بالروحانيات، وكذا عدم الاغترار بمفاتيح الدنيا ومباهجها، وهي كلها صفات عمل المتصوفون على انتشارها والدعوة إليها. وهذا نموذج منها:

سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
سبحان الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله... إلخ
اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، رضينا بالله
ربا، وبالإسلام ديننا... إلخ
ربنا تقبل منا الصلاة والصيام، واحشرنا في زمرة المصطفى خير
الأنام... إلخ

وتختتم هذه الحلقات بالصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم⁶.

02-02- الحلقات التي تعقد في الزوايا: تختلف الحلقات بين

الزوايا العلمية، والزوايا الطرقية. ففي الزوايا الطرقية، وعلى رأسها بالمنطقة - الزوايا الرحمانية - فإن المريدين (الإخوان) الذين يحضرون لزيارة الشيخ، فإنهم يعقدون حلقات خاصة للذكر مع الطلبة، وهي الحلقات التي تدوم لمدة معينة، ثم يفترق الجميع. أما التجمعات التي تعقد دوريا، وفي مناسبات دينية

¹ - عزوزي: المرجع السابق، الذي نقلها عن مخطوط بالخرانة العامة بالرباط، رقم 1060د.

² - محمد الشريف فاهر: مقابلة شخصية معه بالمجلس الإسلامي الأعلى يوم 20/09/2006م

³ - أحمد التجاني: أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني سيدنا ومولانا، الشيخ أحمد التجاني، حققه وعلق عليه محمد الحافظ التجاني، الطبعة الخامسة، مصر 1312هـ/1972م، ص 114.

⁴ - سعد الله: تاريخ، ج 1، ص 466.

⁵ - سي حاج محمد محمد الطيب، حلقات الذكر ببلاد زواوة ودورها في التربية وترسيخ العقيدة في: الملتقى الوطني الأول، نفس التاريخ.

⁶ عن شيوخ المنطقة خاصة ناحية بجاية، وهي الأذكار التي ما زالت إلى الآن.

فإنها تدوم لأيام وليال بدون انقطاع، كحال زاوية الشيخ أمقران ببني زلال، وزاوية الشيخ محند ولحسين ببني إيراثن¹. وما يلفت الانتباه إلى مثل هذه الحلقات، فإنها تلقى باللغتين العربية والقبائلية. فإذا كانت الحلقة مرتبطة بالعبادات فإنما تلقى باللغة العربية إكراماً لها، ونزولاً عند الرأي السائد بأن العبادة إنها تؤدي بلغة القرآن الكريم². أما الحلقات التي تجمع طلبة الزوايا العلمية، فإنها تتناول جوانب دينية، وعلمية، تكون لها علاقة بالمواد المدروسة، وهي التي يكون عليها شيخ الزاوية، أو أحد المقدمين.

03-02- في المناسبات الدينية:

خلال المناسبات الدينية المختلفة، كالأعياد والمناسبات الأخرى، تعقد حلقات للذكر تجمع بين أفراد العائلة الواحدة، أو مجموعة من العائلات، وفيها تعرض قصائد شعرية باللغة القبائلية، وهي عادة ترجمة لمعاني الأذكار باللغة العربية، وذلك من أجل تعميم الفائدة، وتسهيلاً للفهم، خاصة وأن للكلمة المنطوقة مكانة هامة في حياة السكان، باعتبار أن العامة يعتمدون على المشافهة، وهي أهم وسيلة حافظت على التراث الشعبي بالمنطقة، وانتقل هذا التراث من جيل إلى آخر. كما أنها الوسيلة الرئيسية التي استخدمها المتصوفون، وغيرهم من أجل التعبير عن أحاسيسهم³. ومن هنا اشتهر بعض المتصوفين بشعرهم القبائلي، وحكمهم التي استمدوها من القرآن الكريم أمثال الشيخ يوسف أوقاسي⁴، والشيخ محند ولحسين⁵، والشاعر محند وامحمد، والحاج السعيد ناث فليق⁶، والحاج السعيد ناث جناد⁷.

¹ - سي حاج محمد: المرجع السابق.

² شيوخ المنطقة خاصة الذين ينتمون إلى الزاوية الرحمانية وطريقتها، وعادة تكون هذه الحلقات تحت إشراف مقدم الطريقة. وقد كتب عن حكم هذه الحلقات الشيخ الحداد في رسالة التصوف، المرجع السابق، بابا حول أهميتها، أنظر ص 17-25. وهو بمثابة موقف من مواقف القوى الدينية بالمنطقة.

³ - أحمد سعيدوني: البعد الروحي في الثقافة والتراث الأمازيغي في الملتقى الوطني الأول حول البعد الروحي، المرجع السابق.

⁴ - يوسف أوقاسي: عاش في القرن 17م، في عرش بني جناد، وقد اشتهر بقصائده الشعرية الدينية، غير أن آثاره شفهوية ضاع الكثير منها، وعليه أخذ الذين جاؤوا بعده. أنظر عنه محمد أرزقي فراد: الحاج محمد السعيد تازروت. إطلالة على الشعر الصوفي القبائلي، في: جريدة الشروق اليومي، الصادرة يوم 11/10/2006م، ع1814.

⁵ - محند ولحسين: من مواليد 1830 بعين الحمام، عرش بني منجلات، ترك أشعاراً دينية واجتماعية كثيرة. توفي سنة 1901، أنظر عنه: رابح خيدوسي: المرجع السابق، ص254، وكذلك: =

- Abd ELNOUR ABDESSALAM : cheikh Mouhand oulhoucine, AMOUSSNAW, ou la renaissance de la pensée kabyle, édition de l'imprimerie HASNAOUI, Alger, 2005, pp56-57.

⁶ الحاج أسعيد: ولد في أواخر القرن 19 بقرية ألما قشثوم، نواحي أزفون، التي استقطبت الكثير من الزهاد، والمتصوفين. يعتبر من أهم الذين عملوا على تجديد، وبعث الشعر الديني في منطقة القبائل، توفي في جانفي 1946، ودفن بقرية التي ولد فيها. أنظر حوله: محمد أرزقي فراد: أزفون، مرجع سابق، ص122.

⁷ الحاج السعيد ناث جناد: (1883-1963) ولد بقرية تازروت ناث جناد من عائلة فلاحية فقيرة، وقد توفي والده مبكراً، تاركاً له مسؤولية إعالة إخوته، وأمه، وقد ظهرت عليه علامات التصوف، ونبغ في الشعر الصوفي باللغة القبائلية، وتأثر كثيراً بالذين سبقوه، حول حياته. وقد أخذت، عن ابن عمه السيد: الطيب تازروت بحي محمد بلوزداد، بعض القصائد والأشعار التي تبين اهتمامات الشيخ.

ثالثاً: دور القوى الدينية في انتشار الشعر الديني:

يعتبر الشعر الديني من بين الميادين التي طرقها الشعراء، خاصة المتصوفين منهم، وذلك من خلال القصائد الشعرية، التي تبرز ارتباط هؤلاء بالله سبحانه وتعالى، خاصة في أوقات الشدة، والعسرة. كما انتشرت القصائد الشعرية الخاصة بمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومدح الأولياء والصالحين، أو رثائهم.⁸ فاشتهر الكثير من الشعراء باللسان القبائلي، وقد ذكر بعضهم الورثيلاني، وأثنى على شعره كثيراً، واعتبره من النوايع لو أنه كان باللسان، العربي.⁹ فانتشار الشعر الديني عامة، والصوفي خاصة، يبرز لنا العديد من الذين اشتهروا في المنطقة، أو الذين تعلموا في زواياها، وتأثروا بالفكر الصوفي، أمثال: عبد الرحمن الأخضر، الذي ترك قصيدته الشعرية باللغة العربية، والمعروفة بالقدسية¹ التي جمع فيها أفكاره، ونظرته إلى التصوف عامة.

هذا وقد ظهر العديد من الشعراء، الذين نظموا الكثير، من القصائد الدينية، وفي مختلف المجالات ومن هؤلاء الشعراء: الشاعر " يوسف أوقاسي " الذي ترك تراثاً شعرياً هاما ظل يردده المتصوفون والإخوان طيلة القرون السابقة. بينما عرف النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (18م). الكثير من الذين حاولوا تنظيم أذكار الطريقة الرحمانية. التي عرفت انتشاراً كبيراً وواسعاً في المنطقة. وقد أثر ذلك في نبوغ بعض الشعراء من الجنسين، ومن أبرزهم الشيخ "محمّد أولحسين"، الذي وضع الكثير من الأشعار والحكم الدينية، والتي مازالت متداولة إلى يومنا.²

ميادين الشعر الصوفي في المنطقة:

إن الشحنة الدينية، والتأثير الصوفي يظهر جلياً في أشعار " يوسف أوقاسي " الذي اخترت مقطعا من قصيدة طويلة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي:

أُصَلَاةٌ عَفَزَ رَسُوْلُ آيِّنِيْنَ رَشِيْدَعُكُ أَيُوْلِيُو قَارِسُنْ.
دَدُّوَا الْقَلْبُ أَمْوَضِيْنَ يَسَّرْذُ الْعَبْدُ مَا يُومَسُنْ
أَتَقَطُ أَسِيْنَ مَا كَاوِيْنَ أَسْدُوْطُ دَظْمَانَةُ يَنْسُنْ
إِفُوْعَزُ أَرْكََا الْمُؤْمِنِيْنَ أَلْأَشُّ الْقَصَا أُنْجَسُنْ³

ترجمة المقطع:

الصلاة على الرسول (ص) الأمين أتوجه بقلبي إلى الاستزادة

من ذلك.

تنظف العباد إن كانوا نجسين.
وتسير في ضمانته (ص).

دواء لقلوب المرضى
تجدها يوم الموت

⁸ - سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص 253.

⁹ - الرحلة، ص 35، وهو المرابط على بن درار من الشعراء الذين مدحوا الرسول (ص) باللغة القبائلية.

¹ القدسية: تعتبر من القصائد الصوفية الهامة في القرن العاشر الهجري، وهي قصيدة متينة العبارة، اختلفت المصادر في تحديد عدد أبياتها ورسمها. أنظر عنها: سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 261، وكذلك ج 1، ص 507-510، والقدسية مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 929.

² - ABDESSALAM : op.cit, p46.

³ - IBID, p8.

القبر صعب أيها المؤمنون لا أحد ينجو منه.

إن المتمعن في هذا القطع يمكن أن يستخلص:

-الترغيب: بين الشاعر في هذا المقطع، وبأسلوب متين، وكلمات قوية تؤثر في السامع، أهمية الصلاة على الرسول (ص) من قبل المسلمين، ودورها في حياة المؤمن، كما أنها تنجي المكثّر في الصلاة، والتسبيح من عذاب القبر، وهذا ما يجعل الناس يكثرّون من ذلك.

- الترهيب: الذي يظهر من خلال الإشارة إلى عذاب القبر، وما ينتظر المرء يوم وفاته، فإن كان من أهل الطاعة، كان من أهل اليمين، وإن كان غير ذلك، فإن له العذاب الأليم.

وهنا يظهر مدى الاستناد إلى الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، في صياغة هذه المقاطع، ودورها في إرشاد الناس إلى الاهتمام بالآخرة، وترك ملاذ الدنيا، ففي هذا المقطع لا نجد انتماء إلى أية طريقة صوفية، بينما عكس ذلك في القرنين التاليين، ومثال ذلك: قصيدة الحاج محمد السعيد تازروت،¹ التي يمكن تسميتها بالألف بائية، أي أنها مرتبة حسب الحروف الهجائية، ومطلعها:

بسم الله أدنبدو انصلي ذي ليف أرايا سلهمز عد

الحروف

عن وجه الرحمانية ذ النبي أشفع ليّ حين نوقف

بين صفوف

النار بعدها علي والسامعين لي يا نظير بلاما

يشوف

هذه المقدمة التي مزج فيها بين القبائلية والعربية، وهذا مما يؤكد تعلق هؤلاء باللغة العربية، وارتباطهم بها. كما أن هذه المقدمة تبين انتماء الشاعر إلى الطريقة الرحمانية التي عرفت انتشارا واسعا في مختلف جهات المنطقة، أما معنى البيت الأول فيتضمن بعد البسمة، ذكر الشاعر لبناء قصيدته حسب الحروف العربية وترتيبها، ويبدأ بالحرف الأول (الألف) قائلا:

أضلاة فلاك عدّ نليف - إزرؤ يتيفيف مك مدحع

ألو يفرخ.

أدعكين سيث العلم أشريف - يترلن أمسيف

سيدي خليل أدو فشرّاخ - عثقع الله أدّي لحيف

أغيكسن أغليف جعّلع

أمدم نصباح

ترجمة:

الصلاة عليك عدد حروف الألف : عيني تتدفق عندما مدحك قلبي

انشح

¹ تمكنت من جمع هذه القصائد الشعرية، عن طريق السيد: طيب تازروت، وهو من عائلة الشيخ، وبملك ديوانا لشعر الحاج غير مطبوع، وهذا من خلال مقابلي له يوم: 26-12-2006، وكان من رجال التعليم، وطالب الزيتونة في الأربعينات من القرن الماضي.

دعوتك باسم العلم الشريف : والمصلين في الصفوف، وسيدي خليل وما شرح.

اعتقنا يا رب من الشر : وانزع عنا الغبن، واجعلنا مثل نور الصباح.

يواصل الشاعر مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) حسب الحروف الهجائية وترتيبها، ولكل حرف دعاءه الخاص به، وفي الأخير يختم قصيدته هذه التي تعدت التسعين بيتا بخاتمة مطلعها:

أصلاة فلاك متخيق بالله يا توفيق * أئشبيح عوز**

تغني

تثرو تغد كل أمضيق ذ * أذنوب لتخريق متترك**

أبريد أسني

عثقع د قمضيق يطيق * ألوحش أك د ضيق د**

لجبك أئتمني

ترجمة:

الصلاة عليك عند شوقنا يا الله أيها الموفق أيها الجميل

من أجلك نشعر

نبكي في كل مكان نتيجة الذنوب التي نرتكبها وذلك

بتركنا للطريق السني

اعتقنا من مكان العسر المتوحش والضيق حبك الذي

نترجاه.

إن هذا الارتباط الوثيق بالله سبحانه وتعالى، وبنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، من الجوانب الرئيسية التي يتناولها الشعر الصوفي في منطقة القبائل، وهي الظاهرة المنتشرة في مختلف جهات المنطقة، وتردد هذه الأشعار في حلقات الذكر، والتجمعات الدينية، التي تنعقد خلال المناسبات المختلفة¹.

ولا يتوقف الشعر الشعبي على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما يتعدى ذلك إلى مدح الأولياء، والصالحين وضرورة إتباع طريقهم، والتمسك بهم، والاستغاثة بهم، من أجل قضاء حاجاتهم، ومثال ذلك ما تركه الحاج أسعيد ناث فليق الذي قال:

كل تاموزت أد قسن ألتيا

وأيض ذي سيدي يحي

مي ذكرن المؤمنين

أسمي وذاك تثرور

الشيخ سيدي منصور

أسمي اللان لخوان نصح

أدثسرن

الله يرحم بن سحنون

الولي أشيخ بن صالح

وترجمته إلى العربية:

في كل بلد تسود

في وقت تبرك الأولياء

النية.

¹ عمل السيد: محمد أرزقي فراد على ترجمة مقطعين من قصيدة أخرى، الشاعر نفسه على النسق نفسه، وتحت العنوان نفسه، أنظر جريدة الشروق اليومي الصادرة يوم: 11-10-2006، المرجع السابق.

هذا الولي سيدي منصور (ولي آخر)

بسيدي يحي

في الوقت الذي كان فيه الإخوان الحقيقيون عندما يتذاكر
المؤمنون يتباكون
مثل الولي الشيخ بن صالح اللهم ارحم ابن

سحنون¹

إن هذا المقطع يبين مدى ارتباط سكان المنطقة عامة، ومتصوفيه خاصة بالأولياء والصالحين، فيرون فيهم الفلاح وبسببهم الأمن والاستقرار في ربوع المنطقة. غير أن هناك من يرى بأن هؤلاء الأولياء والصالحين، خدموا مصالحهم بالدرجة الأولى، فاستحوذوا على خيرات المنطقة، وساهموا في تضليل السكان والعامة من الناس، الذين تبركوا بهم، وجعلوا منهم وسطاء يتقربون بهم إلى الله سبحانه وتعالى، تاركين أعمالهم ومصالحهم، أي أن المتصوفين ساهموا في نشر التقاعس، والتخاذل، والتواكل. بينما يرى الآخرون بأن أساس العمل الصالح هو العلم الصحيح. فالعلم يسبق العمل². لكننا نرى أن المتصوفة والمرابطين قد لعبوا دورا ايجابيا في بعض الجوانب وسلبيا في أخرى. خاصة ما يتعلق بالتبرك وتقديس القبور. وكذلك الشاعر " سي محند أومحمد " الذي علا صيته في منطقة القبائل، والذي لا يختلف عن غيره من الشعراء الذين تأثروا بالأولياء، والمرابطين المتصوفين.

بل أكثر من ذلك أننا نجد يستنجد بأحدهم، في ضرب خصومه فيقول:

أَسِيدِي حَنْدُ أَوْ مَالِكُ عَنَّا عُنْ عَوْرَكُ
أُتْعِيوُنْصِي فَآكْرَمَدَّنْ تَرْبَاخْتُ نَالْحَآجِ مَبَارِكُ³

وترجمة ذلك:

سيدي حند أو مالك (مرابط) جئتكَ قاصدا
أعني على البعض جماعة الحاج مبارك

وهذا دليل آخر عن التجاء الناس إلى الأولياء والمتصوفين المعروفين في المنطقة، والذين يقصدون في حل المشاكل والصعاب، معتقدين بأنهم ينفعون أو يضررون بهم غيرهم من الناس.

كما نجد الشيخ محند ولحسين يشيد بالأولياء، ويمدح زمان انتشارهم لاعتقاده بأنهم يساعدون على انتشار الخير، والبركة في الرزق والولد، ومن أشعاره هذا المقطع، الذي يعبر فيه عن مدى تمسكه بالصالحين:

نُورِجَا إِقْوُزْجَا أَوْ فَلَاحُ أُمْتَبْدُوا أَمَشْتُوا
نَسَاوَلْ إِصْلَاحُ أَعَسَّعَنْ أَلْمَصْبَاحُ
فَلَاحُ أَتْفُوكُ أَشَدَّه أَعْدَعَرَنْ أَمَفْتَاخُ
أَزْلُولِيَا تَرْبَاخُ

¹ محمد أرزقي فراد: أزفون، مرجع سابق، ص 130.

² يوسف القرصاوي: في الطريق إلى الله (1) الحياة الربانية والعلم، مكتبة وهبة، القاهرة 1995، ص 85.

³ فراد: المرجع السابق، ص 39.

أَذْ قَلَاغُ أَلْدِينِ ثِيْبُورَا¹

ترجمته:

انتظرنا ما انتظره الفلاح فكثرت حركاته
سواء في الصيف أو في الشتاء
نكلم الصالحين ليوقدوا المصابيح
حتى تنتهي علينا الشدائد.
أيها الأولياء الصالحون نادوا للفاتحين ليفتحوا
علينا الأبواب

فهذا الرجل الشاعر المتصوف، تعلق كثيرا بأهل الفلاح معتقدا فيهم ما كان يعتقد من قبله الوريثيلاني، الذي يرى بأن مجرد التقرب إلى الأولياء والوقوف عندهم سواء كانوا أحياء أم أمواتا تستجاب دعواتهم². فكان ذلك من العوامل التي جعلت الشعر الصوفي خاصة، والديني عامة ينتشر في المنطقة، وحتى يكون سهلا للفهم والحفظ، رده الشعراء بأسلوب بسيط، وقافية تجعل المستمع يستطيع حفظه. وهذا ما جعل هذه القصائد متداولة بين الناس، وباقية إلى يومنا، حيث يحتفظ التراث الشعبي على كثير من القصائد الدينية والمدائح التي تردد في الحفلات والمناسبات المختلفة، والأعراس.

ولقد ترك سقوط بجاية بيد الإسبان تأثيره في انتشار القوى الدينية البجاية في المناطق الداخلية والجبالية، مما ساعد على اتساع المراكز التعليمية بهذه المنطقة، خاصة في تلك الجهات التي أقيمت بها بعض الزوايا، كجهات بني وغليس، وبني مليكش، وبني مشدال. فهذه الجهات كانت مهياة لاستقبال القوى الدينية الصوفية، لما تتوفر عليه من رصيد علمي وديني، بفعل الأسر العلمية التي أقامت بها. كما أن مناعة الجهات الأخرى، خاصة منها جبال جرجرة، جعل المتصوفين الذين يبحثون عن الابتعاد عن ضوضاء المدينة، وأعين الأمراء يؤسسون فيها مراكز تعليمية وصوفية بين عشائر الناحية، كما هو حال بني منقلات، وبني يحي وغيرهما.

فتحولت المنطقة إلى قطب علمي، في كثير من التخصصات كالقراءات والفلك واللغة وغير ذلك. وتخرج منها علماء ساهموا في نشر هذه العلوم في مختلف جهات العالم الإسلامي، كالشيخ محمد التواتي، وأحمد برنار، وغيرهما من الذين قصدوا المنطقة ونهلوا من علوم علمائها. وبفعل المكانة التي اكتسبها المتصوفون والمرابطون قدسهم السكان، إلى درجة كبيرة مما جعل قبورهم بمثابة مزارات يقصدها العام والخاص، فانتشرت المزارات في مختلف جهات المنطقة، وانتشرت حولها البدع والخرافات، التي لا صلة لها بهؤلاء الأولياء والمتصوفين. وأصبحت في عرف العامة أماكن لها قداسة خاصة، ويقصدونها للتبرك بها.

كما انتشر في المنطقة الشعر الديني باللغة المحلية والذي يعبر عن حالات اجتماعية ودينية وثقافية تبين مدى ارتباط السكان بدينهم، ومدى تأثيرهم بالقوى الدينية المحلية، أو الوافدة إلى المنطقة.

¹ Abdesselam : op.cit, p 46.

الخاتمة

لقد تناولت في مذكرتي هذه، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10هـ_13هـ/16-19م، وهو الموضوع الذي تبين لي بعد البحث فيه، وتحليل جوانبه بأن:

- طبيعة منطقة القبائل الجغرافية، كانت مساعدة على توجه العلماء الذين يفضلون العزلة إليها، والاستقرار فيها، بغية التفرغ للعبادة، لما توفره من العزلة، والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى.
- كما أن سكان المنطقة، قد أبهرهم سلوك هؤلاء المتصوفين المرابطين، القادمين إليهم، ففتحوا لهم قلوبهم، والتفوا حولهم، بعدما تأكدوا بأن هدفهم هو خدمة الدين الإسلامي الحنيف، ونشر التعليم بين أوساط المجتمع الريفي الذي انتشر فيه الجهل، والامية. مما زاد التآلف بين الفئتين.

فالقوى الدينية كانت بحاجة إلى من يؤازرها، ويوفر لها ظروف الاستقرار، والحماية لنشر أفكارها التي تؤمن بها. كما أن سكان المنطقة، كانوا هم أيضا بحاجة إلى من يتولى تعليم أبنائهم، وتنظيم أمور حياتهم، من خلال ترشيدهم، وتبسيط عقيدتهم. وبذلك تمكنت القوى الدينية من الإنتشار في المنطقة، وإيجاد

بيئة ملائمة لاستقرار العائلات الشريفة الوافدة إليها، خاصة إذا علمنا بأن أفراد هذه العائلات، لم يكن لهم اهتمام بالسياسة في بداية حلولهم بها، وهو الجانب الذي ساعدهم على نيل ثقة السكان، والإخلاص في إتباعهم، والاستجابة لأوامرهم، وتوجيهاتهم. فتكونت بين الفئتين علاقة وطيدة قليلا ما نجدتها في المناطق الأخرى، وهي العلاقة التي ساعدت على تأثير القوى الدينية في مختلف الجوانب الحياتية لسكان المنطقة، والتي برزت من خلال فصول البحث. كما أدوا أدوارا هامة في مختلف الجوانب الحياتية، والتي تتلخص فيما يأتي:

I - **سياسيا:** تظهر أدوار ومواقف القوى الدينية في الحياة السياسية بالمنطقة، من خلال تأثيراتها:

أ- الإيجابية: والتي يمكن تلخيصها في كونها:

* تمكنت من تعويض الفراغ السياسي الذي كان سائدا في المنطقة، بعد الضعف الذي آلت إليه دويلات المغرب الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

* ساعدت العثمانيين ووقفت إلى جانبهم، في بداية الأمر. فهيأت لهم الظروف المختلفة، للاستقرار بها.

* ساهمت في مطلع القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي، في ضياء على الإمارات المحلية، من خلال تحالفهم مع الأتراك العثمانيين، وبذلك في إسقاط الزيانيين بتلمسان.

* حرصت السكان على المشاركة في الجهاد، والتصدي للأخطار المسيحية، التي أضحت تهدد المنطقة بل أشركتها في تحرير الثغور المحتلة من قبل الإسبان، وذلك من خلال الدعوة إلى الجهاد، ضد الكفار.

* ساهمت في الإبقاء على القوى السياسية المحلية، لما لاعتقادها بأن زوالها يمكن أن يؤثر في مصالحها.

* عملت على تعويض الفراغ الإداري الذي كانت تعيش فيه المنطقة، وبذلك أصبح أفرادها بمثابة أعوان الإدارة المحلية.

* لعبت دور الوسيط بين السلطة المركزية، والسكان في المناطق الخاضعة. وكذلك بين الإمارات المحلية، وسكان الجهات الداخلية.

* تمكنت من تأمين الطرق الرئيسية، التي تربط المنطقة بالمناطق الأخرى، أو الطرق السلطانية التي تمر بها.

* لعبت دورا كبيرا في إخماد الصراع الذي كان سائدا بين الأعراس المختلفة. وكذا الحد من ظاهرة الصفوف، التي كانت سائدة في المنطقة، والتي عملت السلطة المركزية على استغلالها لخدمة أغراضها، وأهدافها بالمنطقة.

وعلى كل، فقد لعبت القوى الدينية في المنطقة، دورا هاما في استقرارها، ولو لفترة محدودة. وبذلك قدمت للسلطة المركزية خدمة كبيرة في التفرغ للقضاء على المناوئين لها، والمعارضين لها سواء داخل المنطقة، أو خارجها.

ب- أما سلبياتها، فإنها تظهر في:

* عدم سعيها إلى توحيد القوى السياسية المحلية، تحت زعامة سياسية واحدة تتولى تسيير أمور المنطقة، وتسعى إلى تشكيل حكم محلي، يوحد القبائل الأخرى، ويساهم في وحدة وطنية سياسية.

* كونها تفرغت إلى الاهتمام بالجوانب الدينية والتعليمية، دون الاهتمام بالجانب السياسي رغم أهميته، في توحيد الشعوب.

* مساهمة بعضها في التمرد على السلطة المركزية، أو على الإمارات المحلية، عندما تتعرض مصالحها، أو امتيازاتها إلى الخطر.

* تجنب الخوض في المسائل الدينية التي خالفت بعض الأعراف في المنطقة، وذلك حفاظاً على العلاقة التي تجمعها مع السكان.

* استعانة السلطة المركزية ببعض أفرادها، في إخضاع بعض جهات المنطقة، وبسط نفوذها عليها.

* وقوفهم إلى جانب بعض المعارضين للسلطة عندما تتعرض امتيازاتهم، أو مصالحهم إلى الخطر.

II - اجتماعيا: لقد لعبت القوى الدينية في الحياة الاجتماعية بمنطقة القبائل، دوراً هاماً، ويظهر ذلك في:

* ربط أواصر الأخوة، والتعارف بين السكان من خلال اللقاءات الدينية التي يعقدونها في مختلف جهات المنطقة، خلال المناسبات الدينية، وغيرها.

* تنظيم المجتمع المحلي، وقبولهم الخضوع إلى هؤلاء، وبذلك نشروا في المنطقة الأحكام الشرعية بين السكان، وحاول بعضهم السعي إلى التوفيق بين الشرع الإسلامي، والعرف المحلي.

* التخفيف من معاناة السكان، وذلك بالعمل على تقديم المساعدات للفقراء في أوقات الحاجة، وفتح الزوايا للمحتاجين، وعابري السبيل.

* تسهيل عملية تسجيل العقود، والمواثيق التي يدونها الفقهاء، والمتصوفون، الذين يؤدون دور الكتاب، والقضاة.

* تيسير أمور الزواج، والتخفيف من غلاء المهور، وهو الشيء الذي ساهم في التقليل من ظاهرة العنوسة بالمنطقة.

* المساهمة في حل المشاكل، والخلافات بين السكان دون اللجوء إلى القوى السياسية المحلية، أو المركزية. وبذلك جنبوا السكان من تدخل الإدارة المركزية في الشؤون الداخلية للمنطقة، واكتفوا بحماية الضرائب الشرعية.

غير أنهم ساهموا في انتشار ظاهرة الاعتقاد بعصمة المرابطين، والأولياء، وتقديسهم، وتقديس ذريتهم. مما ساعد على انتشار البدع، والخرافات لاستمالة العامة.

III اقتصاديا: يظهر دور القوى الدينية في الحياة الإقتصادية بمنطقة القبائل

في:

- انتشار الحبس، والوقف على المؤسسات التعليمية، وبذلك تمكنوا من توفير مورد هام، ودائم لطلبة هذه المؤسسات.
 - المساهمة في عدم تدخل السلطة المركزية في أوضاع العروش، والقبائل المحلية، خاصة في القرى التي توجد بها العائلات المرابطة المشهورة.
- IV تعليميا:** لقد لعبت القوى الدينية دورا هاما في نشر التعليم في الجهات الداخلية من منطقة القبائل، ويظهر ذلك في:
- 1- نشر التعليم العربي الإسلامي داخل الجهات الداخلية والجبلية، والمساهمة في التخفيف من الجهل بين أفراد المجتمع المحلي.
 - 2- تحويل الزوايا المحلية إلى منارات علمية، قصدها الطلاب من كل حدب، وصوب. وبذلك وفرت هذه الزوايا الوقت في نشر التعليم.
 - 3- بروز شخصيات علمية بارزة تركت أثارها في المغرب، والمشرق.
 - 4- غرس الانتماء الحضاري الإسلامي بين السكان.
- أما أهم ظاهرة سلبية في الجانب الثقافي بالمنطقة فتتمثل في التركيز على العلوم النقلية بالدرجة الأولى، ولم يعملوا على تطوير التعليم، وجعله يتماشى مع التطور الذي عرفته البشرية خاصة القارة الأوروبية، وبذلك عجزوا عن الإبداع، والاكتشافات الحديثة. فهذه الظاهرة لم تكن مقصورة على منطقة القبائل، بل كانت سائدة في كل العالم الإسلامي.
- ويستنتج أيضا مما تقدم ما يلي:
- * تغيير أوضاع المجتمع المحلي، وجعله أكثر استقرارا، وقناعة بأن القوى الدينية، تمثل بالنسبة إلى العامة وسيلة للخلاص مما كانوا يعانون من تسلط الحكام الإقطاعيين عليهم. فالتفوا حولهم، نتيجة سلوكهم، وأسلوب معيشتهم.
 - * أن العلاقة بين القوى الدينية، وعلى رأسها فئة المرابطين، بالمجتمع المحلي، قائمة على احترام كل ما هو قادم من الشرق، والذي يمثل العنصر العربي الذي حمل الرسالة الإسلامية إلى البلاد المغاربية عامة، فاتحا لها لا مستعمرا كما تذهب إليه بعض الآراء، وهو العامل الذي جعل السكان يبجلونهم، ويتفانون في خدمتهم، وينظرون إليهم نظرة احترام وتقديس، حتى وإن كانت الظاهرة في بعض الأحيان تتجاوز المعقول.
 - * إخراج سكان المنطقة من العزلة الجغرافية، وجعلهم أكثر احتكاكا بالمناطق الأخرى، فساهموا بذلك في التمازج البشري، بين عناصر المجتمع، وذلك من خلال استقرار العناصر الوافدة بالمنطقة.
- وبعد البحث المعمق، في تأثيرات القوى الدينية، وأدوارها، ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية، يمكن الإقرار بما يلي:
- إن زوايا المنطقة قد لعبت دورا كبيرا في نشر التعليم العربي، وغرس الانتماء العربي الإسلامي لسكانها. مما يدفع بنا إلى القول بأنه من الضروري إعادة الاعتبار لها حتى تعود إلى تادية دورها الذي تأسست من أجله.
 - ضرورة البحث عن الرصيد الحضاري للمنطقة، والذي ما زالت تتوفر عليه، من خلال المخطوطات العائلية التي تشكل ذاكرة الأمة، وذلك من أجل كتابة تاريخ المنطقة، ونفض الغبار على الكثير من الحقائق التي ما زالت مجهولة.

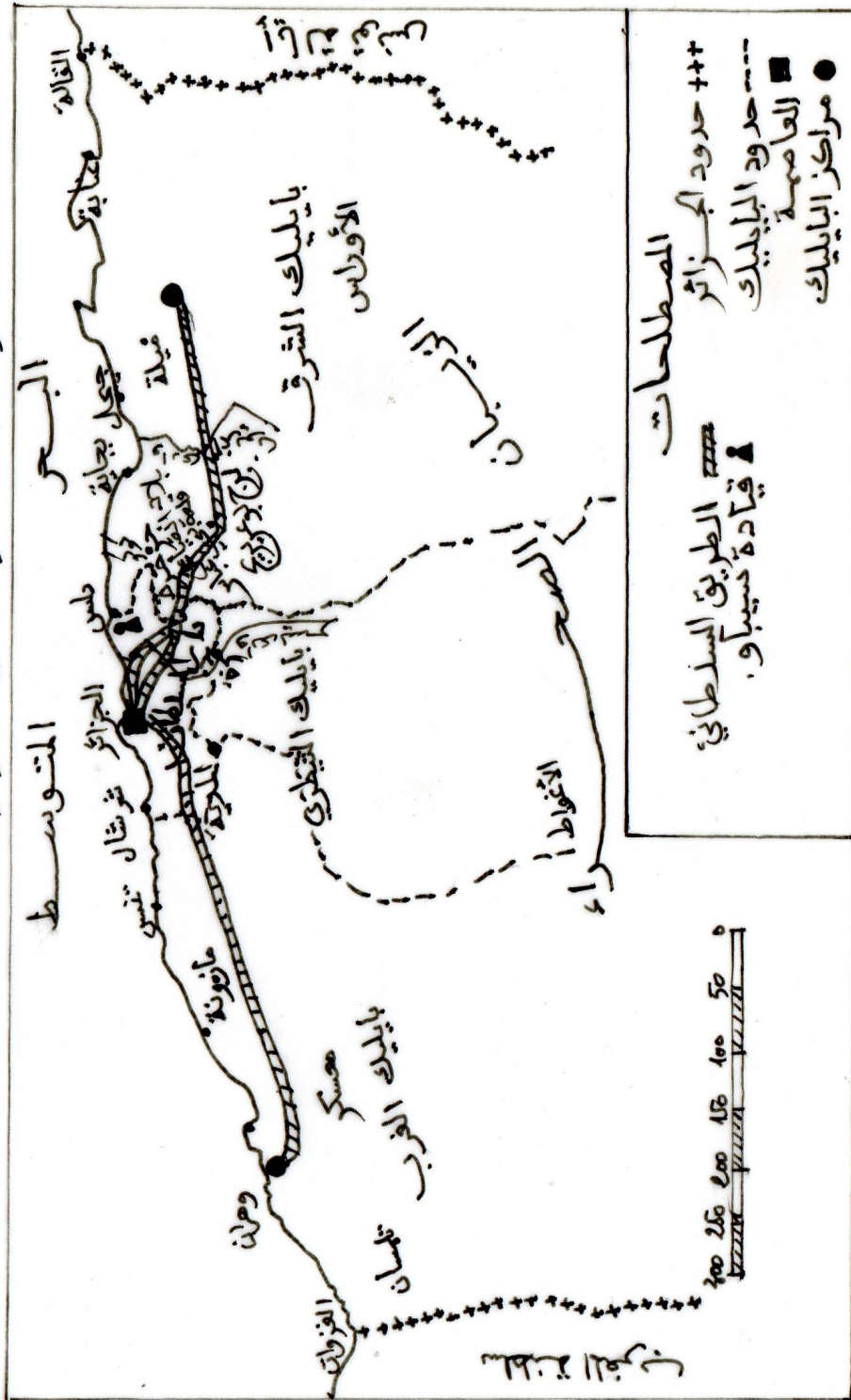
وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بتضافر الجهود، بين جميع الهيئات التي لها علاقة بإعادة كتابة التاريخ الوطني.

وعلى كل، فإن البحث الذي أنجزته حول الموضوع، أعتقد بأنه لم يستوف كل جوانبه، خاصة الجانب السوسيولوجي، وهذا ما يجعلني أقر بأن هذا البحث يعد بمثابة بداية للإفصاح عما تزره بالمنطقة، أملاً أن تتوفر لي الإمكانيات في مواصلة التنقيب، والإطلاع على الجوانب الهامة التي لعبتها المنطقة، على الصعيد المحلي المغربي أو على الصعيد الإسلامي مغرباً ومشرقاً.

الملاحق

الملحق الأول: خريطة منطقة القبائل.

خريطة التسمية الإدارية للجزائر أثناء العهد العثماني



الملحق الخامس: نسخة عن مخطوط شوارق الأنوار للشيخ الورثيلاني.

بسم الله الرحمن الرحيم وصاله على سيدنا محمد وعلى آله

يقول عبيد الله سبحانه وحيد عصره وبريد ملائكة العار
 الربانة والكوكب النوراني سيد العبيد نجل الشيخنا محمد الشيبان
 النوراني رضي الله عنه ومنع بطول خيالنا المسكين من أن
 له الذي نور قلوب العارفين بانوارهم ويريدهم يسرنا الوطيق بما
 نبش علوه اللدونية بحميم صدرهم فلففتنا انكاره واذا اصباح
 مشكلات اسرارهم في حضرة العنق ومسل جندنا الله بانوارهم
 وارواحهم في احب الاوقات من لياليهم وظهاره بيان وضوهم ان يسلم
 وما تمنعتنا بهم من مريرهم ومجسم فيكون ذلك طارة ونظارهم
 لما لظوى عليهم بواكهم من الاغيار حتى انشجحت لاسرارهم وبذلا
 تكنت شجرت اليفيق وانثرت عندهم نكته اللهبان والحارث للزاد
 وصنعت ثم انقضت نسيم الصباح والمساء والبعثار مما رقت
 تجارة لهم يظن تلك البضائع وثبت يده من يبعه باليمن من
 استعوض جانبا فيما لا انقلده له من نعم وسرور وداره بالذرة
 كاشقوا على الملوف وما شقوا بشا طهدة المحبوب حتى اغتنام عن ذوق
 الاضجاع عجين طارنا اراهم جرد هذا بقصا اليه نالي رجب مسته
 في دار فراره غير ان اهل الداية ومن له نعلق بطن من له حكي من الحب
 وعلافة في الشوق وراحة في العشق احتلجت احراهم وطرفهم الا ان
 الاقوى بيها انكاره لانه هو سيب الميدي وبديع انلون انكاره
 حتى ترى النور بيضا صرعى كما نهم اعجاز نخل قراوينه بهل لهم بلقية
 من عندك ردم ورفنداره فدعنا انهم مشتم بهم من عبيد اليفيق ونح
 التوجير ونجته التي بيديك انوارهم وهذا العنق فيق والخبثين
 سا ارضاره والصلالة والسلا على عبيد الوجود وسر
 الكلبين والاسنان عبي الاعيان ومن سوارهم من جميع خاتم من
 برزت عن مغز ومن بقراره ومحل الله وحكمه التلايم كما انجوز ما فتنس

حيث

1

الملحق السادس: جدول يبين أهم الطرائق الصوفية في منطقة القبائل وأتباعها.

Ωü				Δήτης	Δήδός ΔΣϜ
ωϜϜ	ϑ IXC	hüjϑ	Υ σός		
70	69	1	1	ΔΘΥΕής	εί σϑ üϑI
303	492	11	10	ΔΘΥΕής	Δ Ϝϑ Δϊ Ϝ ϑIϑ
209	10	-	-	Δέϑϑ	Δ Ϝϑ Δϊ Ϝ β ϑΩ
	197	2	-	ΔΘΥΕής	
6589	6556	27	27	ΔΘΥΕής	Δ Ϝϑ Δϊ Ϝ ηϑIϑ
	5	1	-	ΔϑIδς	
289	283	6	5	ΔΘΥΕής	Δϊ Ϝ ϑ üϑω έΥ Δ Ϝϑ
207	205	2	2	ΔΘΥΕής	ϜΔP c ϑIϑ hυ Tϑ hΔήjϑ Δ
732	703	2	2	ΔΘΥΕής	Δϊ Ϝ ϑϑ έϑ Δ Ϝϑ
266	10	-	-	Δέϑϑ	ήδj
	20	1	1	Δϑϑ	
	5	-	-	ΔϑIϑ	
	224	6	1	ΔΘΥΕής	
8665	ωIϑϑ				
	ϑ IXC	hüjϑ	Υ σός	Δήτης	φήτης Iϑ Kϑhüj c σϑIϑ ϑ
	894	23	60	Δέϑϑ	
	3450	64	20	Δϑϑ	
	710	10	1	Δέϑϑ	
	1754	54	3	Δϑϑ	
	217	6	-	Δϑϑ	
	10	1	-	ΔϑI ϑIϑ	
	115	5	1	ΔϑIϑ	
	19735	177	79	ΔΘΥΕής	
	20	1	-	Δϊϑ	
	10	1	-	ΔϑIδς	
	60	2	-	Iϑ c γ ΥγIjϑA	

Δϑϑϑϑ ϑ

Ἀρχὴ καὶ Ἔθ

Ἄδ				φῆτ	ἄσϛ ἰῖῖῖ
ἄϛ	ϛ	ἰῖῖ	ῖῖ		
558	50	1	-	ἄῖῖ	ἄῖῖ
	150	1	-	ἄῖῖ	
	91	1	-	ἄῖῖ	
	261	3	-	ἄῖῖ	
3328	150	4	-	ἄῖῖ	ἄ ἄῖῖ ἄῖῖ
	3160	14	37	ἄῖῖ	
427	2	-	-	ἄῖῖ	ἄ ἄῖῖ ἄῖῖ
	419	6	-	ἄῖῖ	
237	50	-	-	ἄῖῖ	ἄ ἄῖῖ ἄῖῖ
	20	1	-	ἄῖῖ	
	6	-	-	ἄῖῖ	
	136	2	-	ἄῖῖ	
	20	2	-	ἄῖῖ	
132	130	2	-	ἄῖῖ	ἄῖῖ ἄῖῖ ἄῖῖ ἄ ἄῖῖ
297	295	2	-	ἄῖῖ	ἄ ἄῖῖ ἄ ἄῖῖ
1180	340	12	3	ἄῖῖ	ἄ ἄῖῖ ἄῖῖ
	785	22	4	ἄῖῖ	
	20	1	-	ἄῖῖ	
780	40	1	-	ἄῖῖ	ἄῖῖ ἄῖῖ ἄῖῖ ἄ ἄῖῖ ἄῖῖ
	84	1	1	ἄῖῖ	
	575	7	6	ἄῖῖ	

.538.537:α θ ἡμ ἄῖῖ

الشرعية والصلوة والسفاح على رسول الله

رايت حبس سبيد اكرم بن الشيخ الصدوق في خط
العقبة القران سبيد وكسر ابن مصباح حبسه على ليرة الوجود
سبيد وهو هو في داره في شهر رمضان عام ١٠١٠ هـ
هو صحيح المبتدأ وشركه في مرجعه فيمن انقض من اولاده القس
لحيث لا ينجب الشقيق في الاما والاعز احقر الاخ ونصيب كل احد
لغيره انخر او نفرد واما بعد ان فرضهم عن اخرهم بالمرجع ايت
ملكه الا رجوع لافرن عصبته بصفة تفضل امره افعاله
هو ليكن وشركه والمائة ان عقبة ان فرض من ضم الصاعون
الوارث في حوزة نفرد واخضع بعض العصبة وتيقن الوقف واعطوا
لولوة سبيد وكسر بن الشيخ ثلثا من متروك المنفرض في الاملاك
العصبية والاثاث والحالة امر سبيد على ابن ابيه اورد ترك ثلثا من
سبيد وكسر جوار الحلال وسبيد وسبيد على امر صاحب الوقف
المتنار اليه المنفرض عقبة اما سبيد وكسر بن الشيخ طرقت وتوك سبيد
احقر بن الشيخ وسبيد وكسر الواسم باسم ابيته تولد في بقر موته واما
سبيد وسبيد مات وترك سبيد وكسر بن عمر الله وسبيد اكرم ثم مات
صاحب الوقف وكان الاخر بن اليه ولور سبيد وكسر وهما سبيد احقر
وسبيد كسر ابن كور بن دور وسبيد وسبيد الله وهو سبيد وكسر بن عمر الله الا
ان الارثير ولم تسلسل واخره والثاني فولد ويقسم الوقف انصار جلا
اذ يفسخ على السلاسل ويهجرى الفرد عنونا ولو كان الخلاص موجود
بيننا صر والكتاب هل يقسم على البر او المصلح والجملة الفلف
في الحقيق ولا حيا في الاحياء من كمال القبول ان الامام يغيرها
في لواحي نصره الحق من ذكره رجحوا الحمة ولا سبيد العقبة
لنص الوقف والله يحول الحق ويملك في اليك الدينية وكنته وكسر
المشرب بين تركة نادر الله عليه واسم على سبيد وكسر وسبيد

الحمد لله
وصل الله على نبي وآله وصحبه

المشار اليه العلامة السيد محمد الشريف بن حمود بن فسيمة الوقف
ابن الشيخ الوقوف واحيم اذ به صاحب اسر وما استغله فيه يتبع به ويرد مستعد
ان اشبهه هذا واسم وكنته محمد بن سبيد من الرمال ان خالده لوجه القبة ابي

الخبر لثمة وحده وعلى الله وعلى سيدنا محمد وعلى

عقد السباع

أما سيرة العز بن عبد الرحمن وأولاده الثلاثة فقد

اشتهروا بسيرهم المسماة بلعرج من باب عبد الرحمن بن

الحسين الزر زفر بعز الدلالة والتغليب والزوية =

بشتم فذرة ومنتهاها خمسة أرباع مبنو غنة فبلغ إبراهيم

واستيقا. ثمرا. صحبها أسالما من المباشرة كلها ومن المباشرة

يا مشرها دون شرك وخيار وثنيا جده من جوف ملك ولد

محمد بن جالوح مع سيرة البشير بن محمد ومن السجل صغير محمد بن

سبع علي وفي الحجة كبيرة ومن أحد الجبانين سيرة محمد

ابن عبد العزيز وذلك بحضرة أحمد بن الحاج وأحمد بن شهاب

وسيرة محمد بن عبد العزيز وسيرة الحسين بن أحمد زفر وعلي =

الكتابوش وغيرهم لتاريخ أوّل ١٢٩٦

الكتب إلى أوّل ١٢٩٦

الله به أسين وعلى الله على سيدنا محمد وعلى

الشيخ الحداد
١١٦٥-٨-٥

الملحق الثامن: عقد تحييس أرض مصور عن محكمة سيدي عيش.

١٨٨١

٢٧٣



الحكومة المغربية
 محمد الفاسم التبريتي من الوكيل في وكيله الحاج مفاخ الفاضل الخاوي الخاوي الخاوي الخاوي
 النيابة الواضع خاتمه أملا وفيه الله وشهيد يدا حد ما نيابة ما مسكرة بينه
 نايف موسى وفيه العري نايف المرح وفيه الموهوب وفيه الحفص وفيه الحفص
 وفيه التبريت نايف يحيى وفيه على في الحفص ما منبستع احالة ونوجه الفوضا
 في جملة اخوتهم المتكثرون بحد نسر اولاد سيدي الحاج احسيتك مسرفة امناك
 بينه وكليد الحلاكون حرفة تلمتة رسم حمنة عتيف با كافك مكلن تخصصت
 جدهم سيدي الحاج احسيتك على ابنه السيد احمد في الوهوب واولاد السيد عتيف
 احمد في موسى جميع املاكه العفانية وكلمة املاكه احد في التبريت
 الرسم صيانة له من الضياع واحماله ملك البقية النافله الذي هو الظلمة الذي
 الموهوب في له الفاسم التبريتي المرح وفيه خصه وعده الله لدى اجاب التبريت
 وتيات مرسومة بيده ونح الغرض منه بعد التبريت ليعلم الراوي في هذا الامر
 والمخاطب الواضع المحسبم النايد اسره العليوي شانه وفدرة سمده الله اشيع امانته
 على اولاد الفكيك الربانة العلامة النوراني سيدي الحاج احسيتك فيها الله به ودا
 وفيه السيد المولود واولاد حبه سيده عتيفه في احمد في موسى في تيفة التبريت
 جدهم المتفرد فلذا افترق مرسومة في ذلك خجرو وقتة وقامت زمانه سيده
 ابراهيم التبريتي في ١٧٦٥ عام حمنة ونسبه وبسماية وذلك في الفري اثنان والثاني
 الكريمة المذكورة مرفومة في زمان الفاضل الامام التبريتي اللاحق سيدي الحاج احسيتك
 ثم تنقلت سلك اليه اخر والي زماننا هذا ثم كولد منه ايضا على لتفصيل اليه

Three decorative horizontal lines at the bottom of the page.

بسم الله الرحمن الرحيم

وظيفة الشيخ سيدي يحيى العيدالي أوصى أولاده و طلابه و محبيه بقراءتها بعد صلاة الصبح

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، الصلاة و السلام عليك يا رسول الله - الصلاة و السلام عليك يا حبيب الله الصلاة و السلام عليك يا خير خلق الله - اللهم ارض عن أصحاب رسول الله. الله أكبر (ثلاث مرات) و لا اله إلا الله - الله أكبر (ثلاث مرات) و لله الحمد يا لطيف يا كافي يا حفيظ يا شافي (ثلاث مرات) يا الله - لا اله إلا الله (عشر مرات) - سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما - ثبتنا يا ربي بقولها و انفعنا يا ربي بفضلها واجعلنا يا ربي من خيار أهلها (ثلاث مرات) آمين (ثلاث مرات) يا رب العالمين (ثلاث مرات) .
- اللهم صل و سلم على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد و بارك على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد (عشر مرات) آمين - آمين - يا رب العالمين سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : إن الله و ملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما - صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم تسليما (عشر مرات)
- اللهم صل على سيدنا محمد عبدك و نبيك و رسولك النبي الأمي و على آله و صحبه و سلم تسليما (عشر مرات)
- اللهم صل على ملائكتك المقربين و على أنبيائك و المرسلين و على أهل طاعتك أجمعين (حمر مرات)
- اللهم ارض عن ساداتنا الخلفاء أبي بكر و عمر و عثمان و علي و على الصحابة أجمعين وأمهات المؤمنين و عن عبادك الصالحين و عن التابعين و تابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (حمر مرات) .
- أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه (ثلاث مرات)
- أستغفر الله العظيم لي و لوالدي و لجميع المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات الأحياء و الأموات (ثلاث مرات)
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفاتحة سورة الناس. سورة الفلق. سورة الإخلاص. سورة الكافرون. آية الكرسي - سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم
- اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم و على آل سيدنا إبراهيم و بارك على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم و على آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
- اللهم اغفر لنا و لوالدينا و لجميع المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات ، إنك أنت الجواد بالخيرات - اللهم افعل بنا و بهم عاجلا و آجلا في الدين و الدنيا و الآخرة ما أنت له أهل و لا تفعل بنا و بهم يا مولانا ما نحن أهل إنك أنت الغفور ، الحلیم الجواد الكريم الرؤوف الرحيم . رضيت بالله ربا و بالإسلام دينا و بالكعبة قبلة و بالقرآن إماما و بسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم نبيا و رسولا و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.
- لا إله إلا الله قبل كل أحد و لا اله إلا الله بعد كل أحد و لا إله إلا الله تفني الخلائق كلها و يبقى (ثلاث مرات) الحمد لله قبل كل أحد و الحمد لله بعد كل أحد و الحمد لله على كل حال (ثلاث مرات) سبحان الله و بحمده عدد خلقه و رضاه نفسه و زنة عرشه و مداد كلماته (ثلاث مرات) سبحان الله و الحمد لله و لا اله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق و زنة ما خلق و ملء ما خلق (ثلاث مرات) - الله معي - الله حاضري - الله ناظري - الله شاهدي (ثلاث مرات) السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته السلام علينا و على عباده الصالحين (ثلاث مرات)

- تحصنت بذى العزة و الجبروت و اعتصمت برب الملكوت و توكلت على الحي الذي لا يموت ، اصرف عنا اليبلاء إنك على كل شيء قدير- اصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير ، اصرف عنا الوباء انك على كل شيء قدير (ثلاث مرات)
- بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض و لا في السماء و هو السميع العليم. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاث مرات) ، أعوذ بالله من الشقاق و النفاق و سوء الأخلاق و من أمر لا يطاق (ثلاث مرات) ، يا حفيظ ، يا حفيظ ، يا حفيظ ، احفظنا فإله خير حفظا و هو أرحم الراحمين ، حسبنا الله و نعم الوكيل(ثلاث مرات)
- حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم (سبع مرات) ،
- اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما(ثلاث مرات) ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

الابتهاال الذي وضعه أحد طلبة الشيخ سيدي يحيى العدلي

يا ذا المكارم والوفاء	يا ذا الجلال الأحد
المؤمنون تجمعوا	يرجون عفوك سيدي
بسطوا إليك اكفهم	والرامقات مع اليد
و توسلوا ببيهم	سر الوجود محمد
عساك تقفر ذنبا	يا خير من هو مقتد
يا خالقي يا رازقي	يا ثقتي يا أملي
أنت المولى أنت الرجاء	أنت القديم الأزلي
أنت المحيب لمن دعاك	أنت الطيب للمبتلي
أنت الحليم أنت الكريم	أنت الغفور الزليل
أنت الشافي لمن سقم	أنت البارئ العلل
أنت العليم لمن خفي	فلا تحيب أملي
فاغفر ذنوبا سلفت	و اختتم بخسر عملي
و ثبتنا يوم اللقاء	عند حضور الأجل
بجاه أبي بكر و عمر	و بجاه عثمان وعلي
و بجاه طه و يس	و سورة المزمل
و بجاه سيد الورى	محمد المفضل
و ارزق لنا حسن الممات	عند حضور الأجل
و بجاه سيد السادات	محمد المشرف
و ارزق لنا حسن الممات	عند حضور الأجل
بجاه أشرف الورى	محمد المشرف

صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم تسليما، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات والوثائق أ- الوثائق

- 1 - رسالة بقسم المخطوطات، م.و.ج، رقم 3206، ورقة 16.
- 2 - رسالة بقسم المخطوطات، م. و. ج، رقم 3206 ، ورقة 43.
- 3 - رسالة بقسم المخطوطات م. و. خ، رقم 3206 ورقة 44
- 4 - مجموعة من الوثائق ، سلمها لي السيد عبد الكريم بودة . من مدينة صدوق.
- 5 - مجموعة من العقود صورتها على السيد زيد بن قاسمي.
- 6 - مجموعة من العقود والوثائق الخاصة بزاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي، موجود عند القائمين عليها.
- 7 - عقود التحبيس ، وعقود الملكية مستخرجة من محكمة سيدي عيش، وكذلك: مصلحة أملاك الدولة ببجاية.
- 8 - مخطوطات خزنة الشيخ أولحبيب، بثالة نترارث. بني ورثيلان. خاصة ما يتعلق منها بالتصوف.

ب - المخطوطات:

- 1- **الأنصاري ابن سعد** : كتاب روضة النسرين في التعريف بالأشياخ، الأربعة المتأخرين مخ.م.و.ج، رقم 2596.
- 2- **البرنسي أحمد زروق**: كتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح المبين، مخ.م.و.ج، رقم: 2330،
- 3 - **البرنوسي**: كتاب القواعد: مخ. ب: م.و.ج، رقمه: 2230
- 4- **البرنوسي**: الكناش، م.م.و.ج، رقم 581،
- 5- **بن الحداد محمد أمزيان**: كتاب التصوف، مخ ب: مكتبة الشيخ محمد الشريف بن الشيخ، ببجاية، غير مطبوع. -
- 6- **بن عاشور محمد الفاضل**: كتاب أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مخ.م.ج، رقم: 15267،
- 7- **التمبكتي أحمد بابا** : نيل الابتهاج في تطريز الديباج، ط.ح، م.و.ج، رقم: 340.
- 8- **الشلاطي محمد سعيد بن علي الشريف**: الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار مخ.م. و. ج. رقم 2678، و 2694
- 9- **الصباغ أحمد القلعي**: "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ.م.و.ج، رقم: 2230

- 10- **العياشي عبد الرحمن بن محمد**: الأنوار السننية على الوظيفة الزروقية، مخ: م. و. ج، رقم 826.
- 11- **الورثيلاني الحسين**: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار، شرح وضيعة الشيخ العارف بالله النبراس المختار. مخ، مصور عن خزنة الشيخ أو لحبيب بنني ورثيلان.
- 12- **المجهول**: سيرة الزواوة، مخ. م. و. ج، رقم 3012.

المصادر العربية والمترجمة

- 1- **الأفراني (محمد الصغير)**: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صححه هوادس، مطبعة بوردين وشركاه 1888-angers ،
- 2- **الأنصاري، محمد**: فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
- 3- **ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)**: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد الشام، الطبعة 3، المكتبة العتيقة، تونس: 1967.
- 4- **ابن حمادوش (عبد الرزاق الجزائري)**: رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في البناء على النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق: د/أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 5- **ابن خالوية (أبي عبد الله الحسين بن أحمد)**: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، وقدم له فتحي جازي، دار الكتب العلمية، 1999
- 6 - **ابن خلدون (عبد الرحمن)**: شفاء السائل في تهذيب المسائل. نشره وعلق عليه الأب: أغناطيوس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 2002
- 7- **ابن خلدون (عبد الرحمن)**: تاريخ ابن خلدون - العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى بطبعه أبو صهيب الكرامي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ب.ت.
- 6- **ابن خلدون (يحي)**: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر.
- 9- **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، المجلد 3.
- 10- **ابن زكري (محمد السعيد)**: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا بلاد القبائل، مطبعة بيبير فوتتانه، الجزائر، 1903
- 11- **ابن الفكون (عبد الكريم)**: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، لبنان، د.ت.

- 10- **ابن منظور (محمد بن مكرم)**: لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د. ت.
- 12- **ابن مريم (أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد)**: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د. م. ج، الجزائر، 1986.
- 13- **التجاني، أحمد**: أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني سيدنا ومولانا، الشيخ أحمد التجاني، حققه وعلق عليه محمد الحافظ التجاني، الطبعة الخامسة، مصر 1312هـ/1972م
- 14- **التلمساني، ابن مرزوق**: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 15- **الحفناوي، أبو القاسم محمد**: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني 2ج، موفم للنشر، الجزائر، 1991.
- 16- **خوجة، عثمان بن حمدان**: المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982
- 17- **الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)**: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1973.
- 18- **الزهار، الحاج أحمد الشريف**: مذكرات الحاج أحمد الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 01 98
- 19- **الزواوي، أبو يعلى**: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 2005،
- 20- **الزياني، محمد بن يوسف**: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، ش. و. ن. و. الجزائر 1970.
- 21- **شالر، وليام**: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب و تقديم و تعليق: إسماعيل العربي ش. و. ن. ت الجزائر 1982
- 22- **الشفشاوني، ابن عسكر**: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، الطبعة الحجرية، 1309.
- 23- **العشاب، عبد الصمد**: القطب الرباني مولاي عبد السلام ابن مشيش، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، د. ت.
- 24- **الغبريني (أحمد أبو العباس)**: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية، حقق وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات الآفاق الحديثة، الطبعة 02، بيروت، 1979.
- 25- **الغزنوي علي بن عثمان بن أبي علي (الهجويري)**: كشف المحجوب، دراسة و تحقيق و ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.
- 26- **القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري)**: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد معروف رزيق، و علي عبد

- الحميد أبو الخير، ط2، دار الجيل للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، بيروت، 1995
- 27- **كاثكارت، جيمس لندر**: مذكرات أسير الداى كاثكارت- قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 28- **كربخال، مارمول**: إفريقيا، 3ج، تعريب محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط 1984 .
- 29- **مالتسان، هاينريش فون**: ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، 2ج، ش.و.ن.ت، الجزائر 1999.
- 30- **مجهول**: غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، رودسي قدور، الجزائر، 1934
- 31- **الورثيلاني الحسين بن محمد**: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تقديم محمد بن شنب، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1908

المصادر الأجنبية

- 1- **BRANSCHVIC** la Bérberie orientales sous les Hafside, France (1940 1947)
- 2- **DAN(p)**: Histoire de Barbarie et de ses corsaires, des royaumes et des villes d' Alger, et de la Tunisie, de Salé, et de Tripoli. 2eme édition revu et augmenté par le même auteur, PIERRE ROCALET, imprimeur et libraire, Paris, 1648.
- 3- **Deneveau .**, Les Khouan , ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie, 3eme éditions, Alger, A.Jourdan, 1913..
- 4-**Depont octave et Coppolani xavier**:Les Confréries Religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie Adolphe Jourdan , Alger
- 5-**GRAMMONT (H.D. DE)**: Histoire d'Alger sous la domination turque, édition LE ROUX, Alger, 1887.
- 6-**GRAMAYE JEAN BOPTISTE**; ((évêque d'Afrique 1635)) AL17^{eme} siècle,(son journal), prése GER 16^{eme} , ntation de ABD EL HADI BEN MENSOUR,les édition du CERF Paris,1998.
- 7-**HaëDO (F.D.)**, Histoire des rois d'Alger, trad. Française de H.de Grammont, Alger, 1881.
- 8- **Marcais (G.)**, La Bérberie Musulmane et orient, in, Moyen age, édition, montagne, Paris, 1946.
- 9- **Rozet(M) et Carette(E)** : Algérie , Etats tripolitains , 2^{eme} Edition,-9 Edition: Bouslama, Tunis, s.d
- 10- **RINN(L)**: MARABOUTS et KHOUAN Etude sur l'islam en Algérie,-10 .Adolph, Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1884

11-Venture de Paradis-. (J.M): ALGER au XVIII, 2^{eme} Edition, Edition: Bouslama. tunis, s.d,

المراجع العربية والمعربة

- 1- **أبو زهرة، محمد:** محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971.
- 2- **ابن خروف، عمار** ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر لميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2006،
- 3- **ابن الشيخ، الحسين أث ملويا:** القانون العرفي الأمازيغي، 3 ج ، دار هومة، الجزائر 2000 .
- 4- **بروكلمان، كارل** : تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومدير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1968 .
- 5- **بسيوني، إبراهيم:** نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف المصرية، مصر، 1969
- 6- **بلحميسي، مولاي:** الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط:2 ، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981 .
- 7- **بوعزيز، يحي:** أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، 2 ج ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995
- 8- **بوعزيز:** ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد) ش.و.ن.ت، الجزائر د،
- 9 - **بوعزيز:** دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد. دار هومة، الجزائر، 2002.
- 10- **بوعمامة، عبد الكريم:** بني يعلى. لمحات من التراث اليعلاوي. عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية (ب ت).
- 11 - **التر، عزيز سامح** : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989،
- 12- **تركي، رابح:** عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر 1984.
- 13- **ترمنقهام، سبنسر:** الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1997
- 14- **جون ب، وولف** : الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
- 15- **الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد:** تاريخ الجزائر العام، 2 ج، ط 2 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 .،
- 16- **حليمي، عبد القادر:** جغرافية الجزائر: طبيعة بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، 1968.

- 17- **الراوي، عبد الستار عز الدين**: التصوف و الباراسايكولوجيا، مقدمة أولى في الكرامات الصوفية، و الظواهر النفسية الفائقة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الأردن 1994
- 18- **ركيبي، عبد الله**: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
- 19- **الزبيري، محمد العربي**: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة ما بين 1792 - 1830، الطبعة الثانية، م.و.ك، الجزائر 1984.
- 20- **الزبيري**: مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، ط2، م. و. ن. ت، الجزائر 1985،
- 21- **الزركلي، خير الدين**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992،
- 22- **ساحي، أحمد**: أعلام من زواوة إيقواون 1، مطبعة الثورة الإفريقية، الجزائر، (ب ت)
- 23- **ساحي**: ميراث المرأة بين المنع والشرع مداولة 1749 (أعلام الزواوة 2)، دار التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1995،
- 24- **السحمراني، أسعد**: التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس، بيروت، 1407هـ، 1987م،
- 25- **سعد الله، أبو القاسم**: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ / 1981م.
- 26- **سعد الله أبو القاسم**: تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (20-16)، ج2، ط2، م.و.ك، الجزائر 1985.
- 27- **سعد الله، أبو القاسم**: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
- 28- **سعد الله**: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
- 29- **سعيدوني، ناصر الدين**: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، م، و، ك الجزائر، 1984،
- 30- **سعيدوني**: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
- 31 - **سعيدوني**: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 - 1830)، ش، و، ن، ت الجزائر 1970.
- 32- **شوفالييه، (ك)**: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر (1510-1541)، ترجمة: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر 1991، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر
- 33- **الصدّة، عبد المنعم فرج**: مبادئ القانون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1982.
- 34- **عبد الخالق، عبد الرحمن**: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط4، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، 1993.

- 35- **عزوزي، إدريس** : الشيخ أحمد زروق آراءه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه عدة المرید الصادق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، 1998.
- 36- **العقبي، صلاح المؤيد**: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. تاريخها ونشأتها، دار البرق، لبنان 2002.
- 37- **العروي، عبد الله** : مجمل تاريخ المغرب ، من الغزو الإيبيري إلى التحرير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت 1999،
- 38- **فراذ، محمد أرزقي**: أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 .
- 39- **فرج، محمد الصغير**: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954 ، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر 2002.
- 40- **الفيلاي، مختار بن الطاهر**: رحلة الورثيلاني: عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، (د.ت)،
- 41- **قاهر، محمد الشريف**: الأنوار في آيات النبي المختار، 3ج، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ / 2005م.
- 42- **القرضاوي، يوسف**: في الطريق إلى الله (1) الحياة الربانية والعلم، مكتبة وهبة، القاهرة 1995
- 43- **كحالة، عمر رضا**: معجم المؤلفين. جمعه و أخرجه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1411 / 1993م .
- 44- **الكسنزاني، الشيخ محمد السيد عبد الكريم**: التصوف الأنوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، مكتبة مدبولي، مصر، 1990،
- 45- **لقبال ، موسى**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ش. و. ن. ت. الجزائر 1979.
- 46- **مبارك، زكي** : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، 2ج، ط2، مطابع دار الكتاب المصري 1373هـ/1954م.
- 47- **مخلوف، محمد بن محمد**: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب بالعربي، بيروت، 1349.
- 48- **المدني، أحمد توفيق**: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وفرنسا (1492 - 1792) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ش، و، ن، ت، الجزائر، ب، ت.
- 49- **المدني، أحمد توفيق**: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
- 50- **مشهد، جمال**: فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة. بجاية، الجزائر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2004،
- 51- **ميتز، آدم** : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد الهادي أبو ريبة، 02 ج، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
- 52- **النووي ، محي الدين**: متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، منار السبيل، دار المصحف الشريف، الجزائر، 2000،

- 53 - **نسيب، محمد:** زوايا العلم- الزبيرى: مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، ط2، م. و. ن. ت، الجزائر1985.
- 54- **الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي:** الحل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، 02 ج ، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1984،

المراجع الأجنبية

- 1-**ABDESSALAM:** (A.): cheikh Mouhand oulhoucine, AMOUSSNAW, ou la renaissance de la pansée kabyle, édition de l'imprimerie HASNAOUI, Alger, 2005,
- 2- **ANDRE:** (P.j): contributions a l'étude. des confréries religieuses musulmanes, préface Soustelle, la maison des livres, Alger, 1956,
- 3- **BEL,(A):** L'Islam mystique, Jules CARBONAL, imprimeur éditeur, Alger, 1928,.
- 4 - **Ben Oudjit (Y),** La Kalaa des Béni Abbas du 16 siècle, Edition Dahlab, Alger, 1993
- 5 - **Berbrugger (A) :** Les époques militaires de la grande Kabylie , bastide libraire- éditeur Alger, 1857,
- 6 - **Boulifa (S.A):** le Djurdjura a travers l'histoire (depuis l'antiquité jusque 1830), - rganisation et indépendance des Zouaoua (grande Kabylie), imprimeur éditeur,Alger, 1925
- 7- **COUR_ August :** l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur révalité avec les Turcs d'Alger 1509-1830, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1904,
- 8-Deneveau: Les Khouan , ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie, 3eme éditions, Alger, A.Jourdan, 1913..
- 9 -**DERMENGHEM Emile:** Le culte des saints dans l'islam Maghrébin, Galimard, Paris, 1954
- .10- **DEVEAUX (Ch.):** Les kbailes du Djurdjura, études nouvelle sur les Pays vulgairement appeler la grande Kabylie, librairie éditeur chaldaïque, Paris, 1859
- 11-**DOUMAS,(M) et FABAR :** La grande Kabylie, libraires à l'université, Royale de France, Alger, 1847.
- 12 -**EVELYNE YAMINA GOUBA:** soufisme et psychanalyse, préface: MOHAMED LAHLOU, l'interdisciplinaire, Lyon Limonest, 2004
- 13- **FERAUD_(ch.) :**histoire des villes de la province de Constantine (Jigelli), in, Recuil des notice et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, 04^{ante} Vol, Constantine, 1870

- 14 -**GAID (M)**: Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jusque à 1954 2^{ème} Edition, Edition : MEMOUNI , Alger : 1991
- 15- **GAID(M)** : l'ALGÉRIE SOUS LES TURCS. Edition Mimouni, 2eme Edition, Alger, 2002.
- 16- **Gautier E.F**: Le passé de l'Afrique du nord (les siècles obscurs du Maghreb) nouvelle édition, petite bibliothèque, Payot, Paris, 1952.
- 17- **HANOTEAU(A)** , et **LETOURNEAUX(A)** : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN ,3 T, Edition Bouchene, Paris 2003
- 18- **Jules(L)** : Kabylie de Djurdjura, Paris ERNEST Leroux, Editeur, Paris, s.d, 1^{er} livre,
- 19 -**MAGALI Zurcher** : la pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, Paris – s l'Édition les belles lettres, France, 1948
- 20-**MAHE(A)** : histoire de la grande Kabylie XIX^e XX Siècles Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises , Editions Bouchene, France 2002
- 21- **Massignon Louis**: (TARIKA) in: encyclopédie de l'islam, t6, (s.z), layd, librairie et Imprimerie, C. KSSIEK, Paris, 1934,
- .22 - **Mercier (E)**: Histoire de l'Afrique septentrionale, T 03, Paris, 1891
- 23-**Mered Ali**: Le réformisme Musulman en Algérie de 1925,1940 (ESSAI D'HISTOIRE RELIGIEUSE ET SOCIALE) Edition EL HIKMA, Alger 1999
- 24_ **MIQUEL André**: L'Islam et sa civilisation 07-20^{ème} siècle, Armand Colin, Paris, 1977.
- 26- **Planiol- Marcel**: Traité élémentaire de droit civil, L.D.J, Paris, 1950
- 27-**Robin** : la grande Kabylie sous le régime turc, présentation et notes de Alain Mahé, Edition Bouchene, Paris, 1998.
- 28- **STORA Benjamin** et **Akram Ellyas** : Les 100 portes du Maghreb (l'Algérie, le Maroc, la Tunisie), trois voies singulière pour allier Islam et Modernité, les éditions de l'Atelier, éditions Ouvrières, Paris, 1999

الرسائل الجامعية

- ابن تونس، مخلوف**: المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل - تحليل نفسي واجتماعي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - جامعة الجزائر
- بعارسية، صباح**: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي. بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث. جامعة الجزائر

- **ساحي، أحمد** : الزواوة من القرن 16 حتى 18، عهد الإمارة 1512-1767، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1999.
- **سيدي موسى، محمد شريف** : الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر (13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000/2001.
- **شويتام، أرزقي** : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 - 1246 هـ / 1519-1830م، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2005-2006 .
- **شويتام، أرزقي** : نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1988.
- **مايمون، محمد**: زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي. دورها التعليمي، وراثتها الفقهي وأثرهما في منطقة القبائل، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 2000-2001.
- **يسلي، مقران**: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920/1954)، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1411/1991.

الدوريات العربية، والجرائد

التاريخية المغاربية

- **بلغيث، محمد الأمين** : النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدواني، في المجلة التاريخية المغاربية (العهد الحديث والمعاصر) ع: 117، السنة 32، جانفي 2004، م.م.ت.ب.ع.و. زغوان، تونس
- **سي يوسف، محمد**: نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني في، مجلة: أعمال المؤتمر الثالث للدراسات العثمانية "الحياة الفكرية في الولايات الغربية أثناء العهد العثماني"، جمع وتقديم، عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ج1-2،

الأصالة:

- **البوعبدلي، المهدي** : الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، في: الأصالة، ع 13، السنة 3، 1973، مطبعة البعث، قسنطينة،
- **طالبي، عمار**: "الحياة الفكرية في بجاية. الفلسفة والكلام والتصوف"، في: الأصالة، السنة 4، صفر، ربيع الأول، 1394، مارس، أبريل، 1974.
- جامعة الأمير عبد القادر**
- **حميسي، ساعد**: حول حقيقة التصوف، في: مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. ع 12، رجب 1423، سبتمبر 2002، دار البعث، الجزائر

الحياة

- **سعد الله، أبو القاسم:** وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين (الوقف والزكاة) في: مجلة الحياة، ع8، تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، رمضان 1425/نوفمبر 2004،

سيرتا

- **السحنوني، علي أمقران:** المعهد السحنوني بأربعاء بني إيتران بزواوة، في: مجلة سيرتا: ع5.
- **مسعود، العيد:** المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني. في مجلة سيرتا، ع10، الجزائر 1998.

الشهاب

- **بن عمر، باعزیز:** " الزوايا بالزواوة "، في، الشهاب، ج1، الجزائر، جانفي 1933

دراسات إنسانية

- **قاسيمي، زيدین:** "الوقف بمنطقة القبائل من 1817 إلى 1878"، في دراسات إنسانية، بجامعة الجزائر، عدد خاص، الجزائر، 2001-2002م
- **كنتور، رابح:** " وثائق أوقاف مدينة البليدة وفحصها (1792-1873) "، في مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص، الجزائر، 2001-2002.

الدراسات التاريخية

- **السحنوني، علي أمقران:** هذا الشيخ المجهول أبو زكرياء يحي العبدالي 881هـ/1476 م، في: مجلة الدراسات التاريخية، ع4، جامعة الجزائر، 1408/1988

المجلس الإسلامي الأعلى

- **عميراوي، حميدة:** الطرق الصوفية والسياسية في: مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، السنة الأولى، العدد الأول، الجزائر، جمادى الأولى 1419، سبتمبر 1998.

الجراند

البصائر: ، ع 130، ص 07.

- **علي، محمد الحسن:** مراكز التجويد بالزواوة خلال ثلاثة قرون من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، في جريدة الخير. على حلقات، 1994.

- **فرا، محمد أرزقي:** الحاج محمد السعيد تازروت. إطلالة على الشعر الصوفي القبائلي، في: جريدة الشروق اليومي، الصادرة يوم 11/10/2006م، ع1814. القديسية مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم: 929.

- **بوعزیز يحيى:** " أوضاع الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 م " في، جريدة الشعب اليومية، ع 7661، 13 06 1988م.

- **علي، محمد الحسن:** "أملاك زاوية سيدي عبد الرحمن الوقفية"، في: جريدة الشعب، العدد: 11016، الصادرة يوم 16/01/1417هـ/ 03/06/1996.

- **آيت عجلت، محمد الصالح:** " زوايا الولاية الثالثة ودورها في ثورة نوفمبر 1954"، في، جريدة المستقبل، ع608، يوم 9 جوان 2005.

الندوات والمحاضرات

- **سعيدوني، أحمد:** البعد الروحي في الثقافة والتراث الأمازيغي في الملتقى الوطني الأول حول البعد الروحي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف دار الإمام الجزائر.

- **سعيدوني، ناصر الدين:** القبائل، محاضرة غير منشورة، 1992 وكذلك:

- مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل) ، عمل

ونشر في:

International Congress On learning And éducation IN The Ottoman World, ISTANBUL 12-15 April 1999

- **سي حاج محمد، محمد الطيب:** حلقات الذكر ببلاد الزواوة ودورها في تربية وترسيخ العقيدة ، في الملتقى الوطني الأول حول البعد الروحي في التراث الأمازيغي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الإمام، الجزائر.

- **سي يوسف، محمد:** الشريعة الإسلامية كمصدر للقانون العرفي في بلاد القبائل، في: الملتقى الذي نظمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حول البعد الروحي في الثقافة الأمازيغية. باتنة يومي 3 و4 ديسمبر 2005.

- **فرداد، محمد أرزقي:** الصلح في المجتمع الجزائري، منطقة القبائل نموذجاً. قدمها في، المجلس الأعلى للغة العربية، وصدرت في منشورات المجلس السلسلة 13، الجزائر. 2005.

- **فرداد، محمد أرزقي:** " القراءة الدينية للأغنية القبائلية " في: الملتقى الوطني الأول حول: البعد الروحي في التراث الأمازيغي ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الإمام، الجزائر

الدوريات باللغة الأجنبية

INSANIYAT

- **FILALI (K):** sainteté maraboutique et mysticism ((contribution a l'étude du mouvement maraboutique en ALGERIE sous la domination OTTOMANE) IN, INSANIYAT, Revue Algérienne d'antropologie et de sciences sociales No,3, hiver, 1997_ 1998

Revue Africaine

1- **Aucapitaine(H)** ";Les colonies noires en Kabylie I" N, R.A., N° 4 ;
Années 1859-1860, o.p.u, Alger,

2-**Aucapitaine(H)** : « notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titerie »,IN ,R.A., n°9, o.p.u, ALGER, 1865.

3 - **Aucapitaine (H)**: « une expéditions turque aux beni – rathen »
IN :R.A N° 20, o.p.u, Alger, Année 1876.

4 - **DÉLPECH(A)** " la zaouïa de sidi ALI N'FOUNAS" ,IN,R.A.,no,18,
Alger, 1874

5 - **FERAUD (ch)**: Conquête de bougie par les espagnole (occupation de bougie),IN , R.A., N°12, o.p.u, Alger, année 1868.

6 - **FERAUD** : ((époque de l' établissement des turcs à Constantine)),In, R.A ,no,10,année,1866, OPU, Alger

7 - **FERAUD** : " Exploitation des forets de la Krasta dans la Kabylie oriental sous la domination turque" IN , R.A., N° 13, o.p.u, Alger, Année 1869..

8 - **FERAUD** : ((époque de l' établissement des turcs à Constantine)),IN , R.A ,no,10,année,1866, OPU, Alger

9 - **FERAUD**: " Note sur Bougie, légendes tradition (occupation Espagnole) ,IN : R.A., N°3 et 4, _ année 1858 et 1859, o p u, Alger

- 10 **GUIN (M)**: "Guechtoula, guerre entre cheikh Gacem et son fils Ramadan" , IN R.A., N° 5, Année:1861, o.p.u, Alger.

- 11 **GUIN(M)** " notes historiques sur les Nezlioua, cercle de DRA EL MIZAN",IN, R.A ,
N° 6 , Année, 1862.

12 - **HADJ SADOK MOHAMED**: " A travers la Berbérie orientale du 18eme siècle avec le voyageur AL-WARTHILLANI" , IN, R.A, N: 95, o.p.u, Alger, année: 1951.

13 – **JOLY**: «saints de l'islam», IN ,RA, n°,52,annee,1908,opu,
alger,1986

14 - **.MURATI (P)**: Le Maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébessa, extrait de la R.A., n° 371, Alger, 1937,

15 – **ROBIN (J.N)**, " le Bey Mohamed ", IN R.A., N° 17, o.p.u, Alger, 1873 .

16 - **ROBIN**: " Soumission des BANI YALA",IN : R-A., N° 42, Année 1898, o.p.u, Alger

- 17 **ROBIN** : " Notes sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie" , IN, R.A N° 17, o.p.u, Alger, Année 1873

18 - **TAUXIER** : " une expédition des turcs contre les flissa" IN R.A N° 19, o.p.u, Alger, Année 1875.

19 -**WATBLED (E)**" Etablissement de la domination turque en Algérie" IN : R.A N° 11 Année 1873, o.p.u

Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de constantine

_ **FERAUD(ch.)** : Histoire des villes de la province de Constantine (Jigelli), in, Recueil des notice et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, 04^{ème} Vol, Constantine, 1870

Revue de la méditerranée

- **AUGUSTIN BERQUE**: «esquisse d'une histoire de la seigneurie Algérienne» IN:R. M, janvier et février, 1949, tom 07, N° 01, publie par l'université d'ALGER

- **BIBESCO(N)**: Les kabyles du DjurDjura, la société kabyle avant la conquête",IN ,R. M, Impremrie , J.chaye année 1865, T56

Revue de l' occident musulman et de la méditerranée

- **BOYER (P.)**:" la politique religieuse des turcs", in: R. O. M. M, N°11, 1^{er} semestre, 1966, archives d'outre mer, AIX EN PROVENCE,

المحاضرات

- **AISSANI Djamil** : Le Soufisme au sein du Mouvement Intellectuel à Béjaia et sa Région (×1-×× siècles), Mouvement Intellectuel et Chemins de la vérité, Béjaia17-18 septembre 2003,

-**AISSANI (DJ)**: Timⵎemmert n' Ichellaten Un Institut Supérieur au Fin Fond de la Kabylie, Association GEHIMAB ,Laboratoire LAMOS Université de Béjaia (Algérie).

الموسوعات

دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت ألفندي وآخرون،
المجلد الخامس

فهارس الأعلام والقبائل والجماعات والأماكن

- ابن خلدون 10, 15, 21, 22, 24, 40, 57, 60, 63, 66, 152.
- ابن الخطيب 136.
- ابن زعمون 99 .
- ابن زكري 112, 113, 119, 142, 143, 144, 145, 149, 155.
- ابن سبعين 63.
- ابن سحنون 174.
- ابن سيد الناس 159.
- ابن شنب 10.
- ابن الشيخ 121.
- ابن عاصم 160.
- ابن عربي 63.
- ابن عسكر 9, 43.
- ابن عطاء الله 159.
- ابن عطية 159.
- ابن عقيل 159.

الفهارس العامة

01- فهرس الأعلام¹

- أ -

- إبراهيم بن عبد القادر (الجيلاني) 80.
- ابن أبي داوود 82, 153.
- ابن الأحرش 90.
- ابن إدريس أحمد 63, 64, 137, 149, 147, 152, 153.
- ابن بركات 90.
- ابن تيمية 57.
- ابن جزري 159.
- ابن خروف 12, 29, 43, 45, 51, 52, 94, 98, 121.

¹ اعتمدت في فهرسة الأعلام على الاسم ثم اللقب أو الانتساب.

- ابن علي الشريف 71, 80,
106, 121, 130, 134, 163.
- ابن القاضي 51, 78, 102,
121.
- ابن مالك 62, 159.
- ابن مريم 10, 139, 150.
- ابن مثنيش 62.
- أبو حامد (الغزالي) 62, 136.
- أبو زكرياء يحيى بن أحمد 63,
160.
- أبو زيد القيرواني 160.
- أبو صهيب 10, 15.
- أبو العباس عبد العزيز 26.
- أبو القاسم سعد الله 9, 23,
62, 63, 65, 67, 69, 75,
77, 78, 82, 84, 86, 87,
89, 93, 94, 100, 105,
106, 110, 112, 126, 137,
138, 139, 146, 153, 155,
157, 159, 165, 169, 171.
- أبو مقرع 159.
- أبو يعلى (الزواوي) 15, 21,
23, 28, 71, 73, 114, 119,
140.
- أبي الحسن... الشاذلي 81,
82.
- أبي مدين البجائي 64, 68,
150.
- أحمد (سلطان تلمسان) 94.
- أحمد أبو العباس الغبريني 10,
23.
- أحمد أمسعود 147.
- أحمد أوغوبة 162.
- أحمد أوفارس 122.
- أحمد برناز 176.
- أحمد بن إبراهيم 63.
- أحمد بن إدريس 63, 138,
140, 148, 153, 154.
- أحمد بن خدة الراشدي 152.
- أحمد بن زروق 147.
- أحمد بن صالح الرحموني 86,
155.
- أحمد بن كانون 99.
- أحمد بن يوسف 9, 64, 66,
68, 82, 136, 152.
- أحمد تواتي 65.
- أحمد التونسي 118.
- أحمد زروق البرنسي 11, 57,
58, 59, 63, 64, 69, 136,
152, 159, 167, 168,
169.
- أحمد الزواوي البجائي 79.
- أحمد الصباغ 136.
- الأخضرى 64, 66, 136,
152, 159, 171.
- أرزقي شويتام 12, 48, 74,
98.
- إيزابيللا 93.
- أعراب (شيخ) 50, 99, 106.
- عمر أولقاضي 118.
- عمر الشريف 161.
- الأغا يحيى 98.
- أغناطيوس اليسوعي 10, 60.
- الأفراني 43.
- الإمام علي رضي الله عنه 63.
- الإمام مالك 122, 128.
- أمحمد أومعلم 147.
- أمحمد أومالك 162.
- أمزيان بن موهوب 106.
- أولحبيب (الموهوب) 11, 82,
167.
- ب**
- باي التيطري 49.
- الباي عثمان 90.
- الباي علي خوجة 27, 50,
106.
- باي قسنطينة 49, 90, 96.

- الحاج عبي بن أمين 85.
 - الحاج مبارك 175.
 - الحاج محمد الجعدي 87.
 - الحداد محمد أمزيان 11، 12، 45، 58، 68، 82، 88، 124، 149، 166، 167، 170.
 - حسن آغا 103.
 - حسن بن باديس 78.
 - حسن بن خير الدين 45، 51، 53، 103، 110.
 - حسن قورصو 52.
 - الحفناوي (الشيخ) 83، 85.
 - الحفناوي أبو القاسم 63، 64، 83، 117، 136.
 - حسين بن عثمان خوجة 48.
 - حسين بن قري 146.
 - الحسين بن محمد الورثيلاني 10، 20، 30، 65، 66، 68، 70، 74، 78، 80، 82، 83، 115، 117، 118، 121، 122، 123، 124، 131، 146، 151، 160، 161، 163، 166، 167، 168، 171، 176، 189.
 - حمودي 121، 124.
 - حند أومالك 162، 175.
 - حيدر باشا 105.
- خ**
- خالد الأزهرى 159.
 - الخراز (فقيه) 159.
 - خليل (الشيخ) 143، 158، 159، 172، 173.
 - الخونجي 159.
 - خير الدين بربروس 9، 43، 44، 45، 50، 51، 52، 53، 102، 103، 110.
- د**
- دونوفو 152.
 - ديبو 80، 87.
- الباى محمد 27، 48، 49، 74.
 - الباى المملوك 96.
 - البخاري (الإمام) 126، 137، 159.
 - برا نشفيك 24.
 - بكري (شركة) 37.
 - بلقاسم الحافظ المعاتقي 87.
 - بن صالح (ولي) 174.
 - بن عبد الرحمان (امحمد) 67، 84، 85، 87، 148، 155.
 - بوبكر الواقفونى 147.
 - البوجليلي (أبو القاسم) 88، 121، 144، 159، 160.
 - بوجناح (شركة) 37.
 - بودة عبد الكريم 11.
 - بوليفة (سي عمار) 53، 73.
 - بيري رايس 65، 110.
 - البيضاوي (مفسر) 159.
- ت**
- تركي رابح 140.
 - توفيق دحماني 12.
- ث**
- الثعالبي (عبد الرحمن) 63، 64، 66، 68، 77، 82، 136، 139.
- ج**
- الجداوي (عالم الأزهر) 84.
 - الجرجري (امحمد) 67، 84، 148.
 - الجيلاني (عبد القادر) 79، 80، 147، 150.
 - الجيلاني إبراهيم 79.
- ح**
- الحاج البشير 87.
 - الحاج سعيد (شاعر) 155.
 - الحاج سعيد ناث جناد 170.
 - الحاج سعيد ناث فليق 170.

- سيدي عبد الرحمن اليلولي
88, 132, 138, 144, 145,
- 153, 155, 162.
- سيدي علي أوطالب 97, 118.
- سيدي علي بن موسى 106,
- 115, 148.
- سيدي علي نتغلاط 137.
- سيدي عمار بوستة 89.
- سيدي لمبارك بن قويدر 86.
- سيدي محمد أمزيان 86.
- سيدي محمد أمقران 79, 94,
- 104.
- سيدي محمد بن مصباح 125.
- سيدي محمود الحاج 147.
- سيدي محند اليماني 148.
- سيدي منصور الجنادي 47,
- 72, 77, 78, 97, 118, 147,
- 162.
- سيدي موسى أوشثوغ 164.
- سيدي موسى اليجري 162.
- سيدي الموفق 114, 148.
- سيدي الموهوب 125.
- سيدي يحيى 148, 173, 174.
- سي محمد أمزيان 87.
- سي مصطفى باش طرزي 87.
- سي مقران 105.
- ش**
- شالر 22, 31, 39, 41, 95,
- 102, 103.
- الششتري 63.
- الشريف التلمساني 151.
- شعيب الأندلسي 62, 79, 81.
- شعيب بن لحسن 62.
- الشيخ أعراب 50, 99.
- الشيخ أو لحبيب 81.
- الشيخ البشير 148.
- الشيخ التواتي 78.

ذ

- الذباح (محمد) 49, 100.

ر

- رايح بونار 10.
- رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) 58, 59, 166, 167.
- رين (RINN) 80, 83, 87,
- 88.

س

- سالم النفراوي 84.
- سعد التفنزاني 159.
- السعيد بن أبي داود 82.
- سنان باشا 52.
- سيدي أبي داود 148.
- سيدي احمد أومسعود (زاوية)
149.
- سيدي احمد أومنصور 148.
- سيدي احمد أويحي 122,
- 145, 162, 163.
- سيدي احمد بن يوسف 9, 63,
- 64, 66, 68, 82, 136.
- سيدي امحمد 86, 148.
- سيدي امحمد أولحاج 147.
- سيدي بوبكر الواقنوني 147.
- سيدي بوجملين 28, 112.
- سيدي بوخالفة 148.
- سيدي الجودي 162, 163.
- سيدي حساين 129.
- سيدي صدوق بلحاج 87.
- سيدي عبد الرحمن... أويذير
147.
- سيدي عبد الرحمن... بن
موسى 139

- عبد الله بن الخراط اليعلاوي
146.
- عبد الوهاب العيفي 83.
- العربي الأخداشي 88.
- العربي الدرقاوي 90.
- عزيز السامح التر 51، 52.
- علي بن أحمد (أستاذ
الورثيلاني) 83.
- علي بن أمين (مفتي الجزائر)
85.
- علي بن طالب (ولي) 119.
- علي بن عيسى (شيخ) 86.
- علي خوجة 27، 50، 107.
- عمر البجائي المغربي 79.
- عمر بن الخطاب (رضي الله
عنه) 126.
- عمر الشريف 147، 162.
- غ**
- الغبريني أحمد 10، 23، 43،
61، 63، 79، 136، 157،
158.
- الغزنوي 56، 57.
- ف**
- فارس بن عبد العزيز 25.
- ق**
- قاسمي زبدين 130، 133.
- القشيري (الصوفي) 57،
159.
- ك**
- كوبولاني (Coppolani) 87، 80،
88.
- ل**
- لفقي (لقب) 120، 124.
- ليتورنو (Letournaux) 95.
- ليوناردو فيوناشي 136.
- م**
- الشيخ الحداد 11، 68، 82،
124، 130، 133، 140، 149،
166، 167، 170.
- الشيخ الخروبي 65، 167.
- الشيخ السعدي 100، 145.
- الشيخ الورثيلاني 30، 80، 82،
118، 123، 131، 161، 163،
167، 168.
- ص**
- الصادق البجاوي 69.
- صالح راييس 28، 51، 52، 95،
103، 104.
- الصغير بن محمد الأخضر
63.
- ط**
- الطلحاوي (عالم أزهرى) 84.
- ع**
- عادل نويهض 10، 23، 158.
- عبد الجبار الشاذلي 81، 104.
- عبد الرحمن (الأمير) 43.
- عبد الرحمن الأخضرى 64،
136، 159، 171.
- عبد الرحمن بن القاضي
الفاصي 144.
- عبد الرحمن الثعالبي 64، 66،
68، 82، 136.
- عبد الرحمن الصباغ 160.
- عبد الرحمن هندو 162.
- عبد الرحمن الوغليسي 63،
78، 160.
- عبد العزيز (الأمير) 25، 42،
43، 51، 52، 53.
- عبد القادر (الأمير) 80.
- عبد القادر الجيلاني 79، 80،
147، 150.
- عبد القادر الفاسي 140.
- عبد الكريم بن الفكون 23،
66، 69، 168.

- محمد بن عيسى (الغيساوية) 89.
- محمد حجي 9, 29 .
- محمد الحسن عليلي 12،
121، 124، 132، 134، 141،
146، 161.
- محمد السعيد البهلولي 146،
148.
- محمد السعيد تازروت 170،
172.
- محمد السعيد بن علي...
الشلاطي 66، 68، 141،
161.
- محمد الطاهر آيت علجت 12،
69، 83، 141، 160.
- محمد العربي العربي
الحرزوني 144.
- محند وامحند 27، 170.
- محند ولحسين 169، 170،
175.
- ن**
- الناصر بن علناس 39.
- نور الدين عبد القادر 9، 51،
116.
- هـ**
- هانوتو (Hanoteau) 140، 95.
- هايدو (Haëdo) 53.
- الهجويري 56، 57.
- الهواري (متصوف) 136.
- و**
- الورثيلاني (محمد بن الحسين)
10، 11، 21، 20، 30، 63،
65، 66، 68، 70، 74، 78،
79، 81، 82، 83، 84، 115،
116، 117، 118، 119، 121،
122، 123، 124، 125، 131،
132، 146، 147، 151، 152،
160، 161، 162، 163، 164.

- مارمول كرخال 9، 29، 31،
36، 37، 42، 44، 21، 52،
53، 94، 103، 107، 116.
- مالتسان هاينريش فون 17،
28، 29، 42، 140، 157.
- المجاجي (رحالة) 157.
- المختار بن خليفة (مقدم
رحماني) 87.
- المشدالي (الفقيه) 136،
152.
- مصطفى باشا 85.
- مصطفى صفطة (باي) 50.
- موسى بن محمد 148.
- موسى نتنبدار 162.
- الموفق (الأمير) 43.
- الموهوب بن بلقاسم 125.
- محمد أمقران (مرابط) 79،
94.
- محمد أوقاسي 99.
- محمد باشا 122.
- محمد بن أحمد بن قاسم 9.
- محمد بن سالم الحفناوي 9.
- محمد بن صالح راييس 53.
- محمد بن عبد الودودي...
الزموري 80.
- محمد بن أحمد (قاضي) 121.
- محمد بن البشير 87.
- محمد بن السيد الحسين
123.
- محمد بن عبد الله الكيناني 25.
- محمد بن عثمان (داي) 50.
- محمد بن عزوز 87.
- محمد بن علي (باي) 49.
- محمد بن علي بن مالك 88.
- محمد بن علي الخروبي 65.
- محمد بن علي الشفشوني 9.
- محمد بن عنتر الحرزوني 147.
- محمد بن موسى 139، 148.

- إرجن 38.
- الإسبان 24, 25, 26, 28, 34, 37, 42, 50, 51, 52, 53, 64, 65, 66, 71, 75, 76, 92, 93, 94, 95, 97, 137, 138, 150, 151, 153, 156, 157, 165, 176, 179.
- الأسر الثرية 37.
- أسرة أوقاسي 27.
- الأسر الأندلسية 23, 24.
- الأسر العريقة 26.
- الأسرة القاضوية 45, 118.
- الأسر
- الموريسكية (الموريسكيون) 25

- الأغوات 72.
- إقداشن 143.
- آل عباس 45.
- آل مقران 53, 71, 110.
- إمارة الثعالبية 22, 40, 74.
- الأمازيغ 21, 22, 26, 33, 39, 113, 166, 170.
- أهل الخير 86, 117.
- أولاد أورابح 48, 104.
- أولاد ثابونداوث 122.
- أولاد خليفة 19, 162, 163.
- أولاد سيدي خروف 122.
- أولاد سيدي علي الشريف 104.
- أولاد سي شريف 104.
- أولاد الشيخ سيدي بهلول 117.
- أولاد ناصر 96.

ب

- البحرية الجزائرية 98.
- البربر 10.
- البكداشية 157.
- بنو سليم 22.
- بنو هلال 22.

- 166, 167, 168, 169, 171, 172, 176.
- وزان (الشيخ) 90.
- الوغليسي (عبد الرحمن) 63, 78, 136, 152, 159, 160.

ي

- يامة قوراية 164.
- ياقوت الحموي 137.
- يحيى الشاوي 159.
- يحيى العيدالي 25, 64, 68, 119, 131, 134, 139, 140, 161, 166, 168.
- يوسف أوقاسي 170, 171.

-02- فهرس القبائل والجماعات:

- الأتباع 60, 67, 69, 76, 81, 86, 87, 88, 89, 99, 138, 153, 154.
- الأثراك 9, 27, 28, 50, 51, 53, 54, 99, 102, 103, 105, 106, 129, 179.
- آث إسماعيل 84.
- آث ايراثن 120, 124, 125.
- آث بوشعيب 107.
- آث زلال 107.
- آث قاسي 46.
- آث القاضي 45.
- آث لربعا 36.
- آث ورثيلان 164.
- آث واندلوس 25.
- آث يحيى 97, 118, 120.
- الإخوان 61, 81, 86, 87, 88, 89, 140, 155, 169, 171, 174.
- الإخوة بربروس 9, 42, 43, 44, 50, 73, 92, 93, 110.

- بني ولفان 96.
- بني يحيى 38, 97, 118, 120,
- 145, 147, 162, 176.
- بني يجر 48, 107, 161, 162,
- 164.
- بني يعلى 86, 145.
- ت**
- التجانية 108.
- الترك 43.
- ج**
- الجنوبيين 43.
- الجنيدية 82.
- الجيش الإنكشاري 99, 107.
- ح**
- الحامية التركية 102, 108.
- الحفصيين 25, 40, 74, 100,
- 151.
- الحماديين 39.
- خ**
- الخلواتية 61, 62, 67, 83, 84,
- 85.
- خوارج (خارجي) 60.
- د**
- درقاوة 70, 90.
- الدولة الحفصية 24, 40.
- الدولة العثمانية 43, 48, 72,
- 110.
- الدوناتية 70.
- ذ**
- الذميون 28.
- ر**
- الرحمانية 8, 55, 57, 58, 67,
- 68, 84, 86, 87, 88, 89,
- 90, 91, 142, 153, 155,
- 169, 170, 171, 173.
- الرومان 22.
- ز**
- الزروقية الأحمدية 69.

- بني الأحمر 25.
- بني إيراثن 49, 50, 70, 74,
- 84, 89, 99, 106, 114, 138,
- 145, 148, 169.
- بني بوذرار 121, 164.
- بني بوهالي 34.
- بني جلاب (إمارة) 94, 103.
- بني جناد 47, 120, 145, 147,
- 162, 164, 170.
- بني حالة 132, 148.
- بني خلفون 17.
- بني دواله 49, 147.
- بني زيكي 162, 164.
- بني سليمان 34.
- بني شافع 164.
- بني صدقة 47, 145, 164.
- بني عباس 34, 35, 36, 43,
- 45, 46, 50, 51, 52, 53, 66,
- 71, 93, 94, 97, 99, 102,
- 103, 105, 121, 132, 145,
- 149.
- بني عيدل 29, 131, 132,
- 148, 149, 152, 161, 164,
- 166.
- بني عيسى 145, 147.
- بني فليق 164.
- بني القاضي 46.
- بني مسعود 104.
- بني منقلات 164, 176.
- بني هني 45.
- بني واقنون 49, 99, 102,
- 145.
- بني وجهان 164.
- بني ورثيلان 11, 35, 83, 84,
- 117, 121, 148, 153, 163,
- 197, 198.
- بني وجليس 28, 29, 69, 104,
- 132, 145, 147, 148, 162,
- 176.

- الطريقة الرحمانية 8, 55, 58, 68, 84, 87, 88, 90, 142, 155, 171, 173.
- الطريقة الشاذلية 55, 67, 69, 81, 82, 83, 84, 89, 90, 169.
- الطريقة القادرية 8, 55, 64, 68, 79, 80, 83, 89, 150.
- الطوائف الدينية 60.

ع

- العثمانيين 9, 46, 50, 51, 53, 54, 63, 64, 65, 76, 81, 82, 92, 94, 95, 99, 104, 105, 106, 109, 110, 111, 129, 156, 178, 179.
 - العجم 10.
 - العرب 10, 22, 39.
 - العشائر السودانية 28.
 - العلماء 10, 23, 24, 25, 29, 56, 58, 64, 65, 66, 67, 68, 71, 72, 76, 77, 82, 83, 84, 94, 98, 100, 109, 119, 120, 122, 123, 124, 131, 134, 136, 139, 144, 150, 151, 152, 153, 154, 156, 157, 158, 160, 161, 165, 169, 178.
 - علماء الزواوة 124, 139.
 - علماء الشريعة 72.
 - العيساوية 89.
- ### ف
- الفاطميين 39.
 - فئة العلماء 25, 29, 153.
 - الفرق الإسلامية 27, 60.
 - فرق الصباحية 47.
 - الفرنسيون 5.
 - الفقراء 61, 71, 78, 114, 142, 164.

- الزعامات المحلية 54, 71, 72, 74, 92, 96, 102.
- الزمالة 48.
- الزوانة 101.
- الزواوة 11, 15, 16, 21, 23, 24, 28, 33, 38, 49, 89, 101, 107, 117, 118, 119, 120, 122, 141, 145, 146.
- الزبانيين 40, 51, 52, 74, 100, 151, 179.

س

- إسحنون 148.
- السعديين 94.
- السكان الخاضعين 27, 46.
- السكان الممتنعون 46, 111.
- السلف الصالح 60, 61, 167.
- السلطة المركزية 5, 9, 27, 28, 33, 34, 44, 45, 46, 47, 49, 50, 53, 72, 73, 74, 85, 90, 91, 92, 97, 98, 99, 100, 101, 103, 104, 105, 106, 107, 109, 110, 122, 123, 124, 179, 180, 181.
- السودانيون 26.

ش

- الشعوب الإسلامية 56, 113.

ط

- الطرق الصوفية 8, 30, 55, 59, 60, 61, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 73, 76, 78, 79, 82, 87, 89, 90, 98, 100, 106, 109, 110, 111, 113, 119, 122, 124, 134, 141.
- الطريقين 30, 61, 73, 111.

- قبائل المخزن 27, 28, 50, 99, 101.
- قبيلة بني وغليس 104.
- قبيلة عمراوة 46.
- قبيلة قشطولة 9, 48.
- القوى الدينية 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 47, 48, 55, 56, 65, 67, 75, 78, 90, 91, 92, 93, 94, 98, 99, 100, 101, 105, 106, 109, 111, 113, 115, 117, 119, 120, 122, 125, 126, 135, 136, 146, 150, 152, 155, 156, 160, 163, 164, 165, 171, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182.
- القيادة الأتراك 102.
- ك**
- كتامة 15, 39.
- الكراغلة 138.
- م**
- المتصوفون 7, 11, 59, 75, 76, 90, 92, 98, 105, 108, 110, 114, 133, 134, 149, 15, 152, 153, 165, 169, 170, 171, 176, 180.
- المرابطين 5, 6, 10, 12, 23, 30, 42, 48, 56, 66, 71, 72, 75, 76, 77, 94, 99, 100, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 123, 124, 125, 129, 133, 134, 137, 138, 140, 141, 149, 151, 152, 154, 156, 158, 161, 165, 175, 178, 180, 181.
- المغاربة 25, 62.
- الفقهاء 10, 25, 58, 61, 65, 67, 71, 72, 76, 82, 113, 120, 126, 136, 150, 151, 156, 180.
- ق**
- القادرية 8, 55, 58, 64, 66, 68, 79, 83, 89, 142, 143, 150, 153.
- القبائل 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 14, 15, 16, 17, 18, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 56, 59, 64, 65, 70, 71, 74, 77, 79, 80, 85, 86, 87, 88, 90, 92, 95, 98, 99, 101, 102, 104, 105, 108, 109, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 118, 119, 120, 122, 123, 124, 126, 128, 129, 131, 133, 134, 135, 136, 137, 139, 141, 142, 145, 146, 148, 149, 150, 151, 152, 154, 155, 156, 158, 160, 161, 165, 166, 168, 169, 170, 171, 173, 174, 175, 178, 179, 180, 181.
- القبائل الشرقية (الصغرى) 18, 20, 23, 29, 32, 45, 50, 51, 72, 87, 120, 124.
- القبائل الغربية (الكبرى) 29, 45, 46, 49, 50, 73, 120, 139, 146.

- إغيل حموش 145.
 - إفريقيا 9, 17, 22, 25, 27,
 - 29, 40, 42, 50, 70, 75,
 - 79.
 - أقبو 19, 28, 38, 82, 87,
 - 88, 89, 148.
 - أقماط 148.
 - أقلميم 148.
 - إقوفاف 120.
 - إكس أونبروفانس 127.
 - أكفادو (جبل) 17, 107, 147.
 - الإمارات المحلية 9, 52, 74,
 - 101, 105, 179.
 - أمالو 106, 122, 131, 145,
 - 162.
 - إمحمودن (قرية) 96.
 - أنو 83, 153.
 - الأندلس 62, 63.
 - أوربا 37, 75.
 - أم نايل (ب.منايل) 44, 89,
 - 101.
 - أولاد جلال 87.
 - أولموثن (قرية) 121.
 - أيلة الجزائر 37, 146.
 - إيزناغن (قرية) 162.
 - إيلماين (قرية) 148.
 - إيلولة أوسامر 147.
 - إيلولة أومالو 162.
 - إيقر مهدي 162.
- ب**
- البابور (جبال) 15, 18, 46.
 - بايلك التيطري 43, 45, 47.
 - بايلك الشرق 36, 37, 43,
 - 45, 53, 101, 108.
 - بايلك الغرب 45.
 - بجاية 10, 11, 15, 17, 18,
 - 19, 23, 24, 25, 26, 28,
 - 29, 36, 37, 39, 40, 42,

- المقرانيين 34, 104, 106.
- الموحدين 22, 39, 40, 56,
- 70.

ن

- النصارى 25, 28, 43, 65,
- 70, 75, 79, 94, 100, 105,
- 110, 152.
- النوبة 107.

هـ

- هاشم (قبيلة) 101.

ي

- اليوسفية (طريقة) 82.
- اليهود 28, 29, 37.

-03- فهرس الأماكن والبلدان:

أ

- الأبراج العسكرية 26, 44, 45.
- أبواب الحديد 19.
- الأخضرية 138.
- أذكار (جبل) 61, 83, 147.
- الأردن 10.
- الأرشيف الوطني 11, 128.
- الأربعاء بني إيراثن 89.
- أزرو يفلان 164.
- إيزروغن 69.
- أزفون 24, 25, 26, 36, 37,
- 73, 120, 164, 170, 174.
- الأزهر 84.
- الإسكندرية 73, 151.
- أسواق الهضاب العليا 32.
- إشرعيون 120.
- أشلام 46.
- أضرحة الأولياء 114, 115.
- أعالي سيباو 107, 117.
- إغبيرن 148.
- إغندوسن 87.

- البويرة 32, 117.
- البيبان (جبال) 16, 18, 19,
- 43, 46, 48, 52, 83, 103.
- ت**
- تاسلنت 82, 148.
- تامدة 50.
- تامدة لبلاط 27.
- تامدوين (قمة) 17.
- تامغوط (قمة) 33.
- تدلس 15.
- تركيا 84.
- تقرت 24, 25, 45, 50, 51,
- 94, 103.
- تقزرت 73.
- تلمسان 10, 43, 45, 51,
- 52, 62, 74, 94, 100, 103,
- 151, 179.
- تمقرة 64, 83, 131, 132,
- 141, 161.
- توزر 65.
- تونس 25, 30, 40, 46, 49,
- 51, 87, 100, 151.
- تيزا 97.
- تيزي وزو 11, 27, 45, 47,
- 48, 50, 70, 89, 128.
- التيطري 22.
- تيميزار 99, 155.
- ث**
- ثاحريقت نطلبة 132.
- ثاجماعث 41, 73, 96.
- ثازاويث 140.
- ثاقينطوشث 164.
- ثاقاعت 121.
- ثالة أمقران 121.
- ثفرق 80, 147, 153.
- ثقابة 145.
- ثاقا ناث يحي 120.
- ثنية بني عائشة 102.

- 43, 44, 45, 50, 53, 63,
- 64, 65, 66, 67, 68, 69,
- 70, 71, 73, 76, 77, 78,
- 79, 80, 81, 89, 90, 93,
- 94, 95, 97, 101, 103,
- 106, 107, 108, 113, 117,
- 122, 123, 128, 136, 137,
- 139, 149, 150, 151, 156,
- 157, 164, 165, 168, 169,
- 176.
- البحر المتوسط 15, 20, 29,
- 31, 150.
- البرتغال 151.
- برج بوغريبرج 19, 70, 81,
- 101, 133.
- برج بوغني 26, 44, 48.
- برج حمزة 26, 28, 36, 44.
- برج دلس 44.
- برج زمورة 28.
- برج سيباو 44, 47, 48, 104.
- برج مجانة 28.
- برج منايل 44, 89.
- بسكرة 87.
- بلاد الزواوة 15.
- بلاد القبائل 20, 22, 26, 28,
- 31, 53.
- بلاد المغرب 24, 40, 79, 80,
- 128.
- البلدية المختلطة لآقبو 87,
- 88.
- البلدية المختلطة جرجرة 87.
- البلدية المختلطة دلس 81.
- بوبراك (جبل) 147.
- بوجليل 88, 145, 149, 153.
- بوغلاوة (قرية) 84.
- بوغني 47, 70, 73, 89,
- 148.
- بوقاعة 162.
- بوني (جبل) 52.

- ششتر 63.
- ص**
- صدوق 11, 121, 148, 149, 153, 162.
- صدوق أوفلة 68, 88, 133, 1149.
- الصومام 18, 19, 20, 29, 49, 69, 99, 108, 131, 146, 150.
- ع**
- العالم الإسلامي 24, 51, 56, 58, 60, 62, 82, 136, 137, 153, 176, 181.
- ك**
- كوكو 15, 46, 47, 96, 97, 102, 103, 110, 118, 147, 162.
- ل**
- لالا خديجة 17, 164.
- لعزيب أومعمر 80.
- م**
- متيجة 22, 40.
- مجانة 15, 36, 38, 44, 53, 73, 98, 101.
- مراکش 167.
- مشدالة 19, 96, 104, 136, 145, 164.
- المدرسة البجائية 63.
- مدرسة قسنطينة 78.
- المدينة 22, 47.
- المرسي الكبير 25.
- المزارات 88, 110, 114, 115, 135, 160, 161, 163, 176.
- المساجد 48, 75, 112, 136, 137, 141, 149, 150, 158, 164, 165, 166, 168, 169.

- ثودار 132.
- ثيطست 145.
- ثيفريث ناث الحاج 164.
- ثيمعمرث (ثيمعمرين) 77, 137.
- ثينبذار 148.
- ج**
- جبال الحصنة 18.
- جبل بالوة 70.
- جرجرة 17, 18, 34, 46, 48, 49, 70, 86, 152, 155.
- الجزائر 9, 10, 15, 16, 17, 21, 25, 27, 29, 36, 37, 43, 45, 46, 47, 50, 51, 52, 53, 64, 65, 67, 68, 74, 84, 85, 86, 90, 92, 93, 94, 98, 100, 105, 108, 109, 110, 111, 128, 129, 133, 141, 156, 157.
- الجلفة 68.
- جمعة (وادي) 18.
- جمعة الصهاريج 27, 38, 48, 50, 121.
- خ**
- خراطة (خوانق) 18.
- خلوة الشيخ العيدالي 131.
- خليج بجاية 17.
- خنقة سيدي ناجي 87.
- ش**
- الشرفة 117.
- الشرق الجزائري 68, 87, 90, 108.
- شبه الجزيرة العربية 59.
- شعبة لحمر 28.
- شلاطة 48, 71, 83, 106, 107, 121, 148, 153.
- شمال إفريقيا 23, 28, 40, 42, 70, 75.

,168 ,166 ,165 ,161 ,160
 ,180 ,178 ,175 ,174 ,169
 .181

ن

- نزيوة 47.

هـ

- الهضاب العليا 18, 31, 32.
 - الهند 67, 84, 89.

و

- وادي أغريون 15,
 - وادي أولاد خليفة 19.
 - وادي بوبهير 107, 132.
 - وادي بوسلام 18.
 - وادي تفرق 19.
 - وادي الزهور 90.
 - وادي الزيتون 138.
 - وادي الصومام 16, 48, 104,
 .149, 145
 - وادي عيسي 27.
 - وادي يسر 46, 47, 74.
 - واضية 18, 32.
 - ورقلة 45, 50, 51, 52, 94,
 .103
 - وهران 29, 53, 102, 136,
 .139, 156

ي

- يسر 43, 47, 81, 83,
 .101

- المشرق 56, 62, 79, 80,
 ,81 ,84 ,93 ,105 ,117,
 .150 ,168 ,181
 - مصر 56, 58, 81, 84, 85,
 .151, 158
 - معاتقة 47, 87, 148.
 - المغرب الأقصى 56, 66, 77,
 ,79 ,81 ,84 ,146 ,149.
 - المغرب الأوسط 8, 22, 24,
 ,40 ,44 ,55 ,59 ,62 ,63,
 ,64 ,66 ,78 ,79 ,80 ,81,
 ,92 ,105 ,131 ,146 ,150,
 .148, 156
 - مقلع 48, 50.
 - مكة الصغيرة 150.
 - مليانة 64, 152.
 - منطقة القبائل 5, 6, 7, 8, 9,
 ,10 ,11 ,12 ,14 ,15 ,16,
 ,17 ,18 ,20 ,21 ,24 ,25,
 ,26 ,27 ,28 ,29 ,34 ,35,
 ,36 ,37 ,38 ,40 ,41 ,43,
 ,44 ,45 ,48 ,49 ,52 ,54,
 ,56 ,59 ,64 ,65 ,70 ,74,
 ,77 ,79 ,80 ,86 ,87 ,88,
 ,90 ,92 ,95 ,98 ,101 ,105,
 ,108 ,111 ,112 ,113 ,114,
 ,115 ,116 ,119 ,122,
 ,126 ,123 ,128 ,129,
 ,131 ,133 ,134 ,135 ,136,
 ,138 ,141 ,144 ,149 ,150,
 ,151 ,152 ,155 ,156, 158

فهرس الموضوعات

.....المقدمة	5
.....قائمة المختصرات	13

الفصل الأول

التعريف بمنطقة

.....القبائل	54 - 14
.....المبحث الأول: المؤثرات والخصائص الطبيعية	21 - 15
.....المبحث الثاني: المؤثرات والخصائص البشرية	30 - 21
.....المبحث الثالث: المؤثرات والخصائص الاقتصادية	39 - 31
.....المبحث الرابع: المؤثرات والخصائص السياسية	54 - 39

الفصل الثاني

القوى الدينية في منطقة لقبائل بين القرن 10-13هـ/16-

.....19م	90 - 55
.....المبحث الأول: لمحة حول التصوف والقوى الدينية في المنطقة	70 - 56
.....المبحث الثاني: أسباب دخول التصوف إلى المنطقة	78 - 70
.....المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية في المنطقة	90 - 78

الفصل الثالث

تأثير القوى الدينية ومواقفها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.....	91 - 134
المبحث الأول: تأثير القوى الدينية ومواقفها في الحياة السياسية.....	92 - 111
المبحث الثاني: تأثير القوى الدينية في الحياة الاجتماعية.....	111 - 126
المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في الحياة الاقتصادية.....	126 - 134
الفصل الرابع	
تأثير القوى الدينية ومواقفها في الحياة الثقافية في منطقة القبائل.....	135 - 176
المبحث الأول: تأثير القوى الدينية في انتشار الزوايا في المنطقة.....	136 - 149
المبحث الثاني: تأثير القوة الدينية وموقفها في انتشار التعليم.....	150 - 164
المبحث الثالث: تأثير القوى الدينية في انتشار الحلقات والأذكار والشعر الديني.....	164 - 176
الخاتمة.....	177
الملاحق.....	182
قائمة المصادر والمراجع.....	196
فهرس الأعلام.....	214
فهرس القبائل والجماعات.....	221
فهرس الأماكن والبلدان.....	226
الفهرس.....	232